

٥٢

مخنارات الاسرائيلية



ترجمات عبرية

- صورة العري في الأدب العبرى
- الدين والقومية والليبرالية في إسرائيل
- لماذا تتسلح مصر؟

كتابات عربية

- المأزق الإسرائيلى فى الجنوب اللبناى



مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية
السنة الخامسة - العدد الثاني والخمسين - أبريل ١٩٩٩



مختارات إسرائيلية

Israeli Digest

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

إبراهيم نافع

مدير المركز

د. عبد المنعم سعيد

مدير التحرير

د. عماد جاد

المنسق

أيمن عبد الوهاب

المدير الفني

السيد عزمي

الخراج الفني

حامد العويضي

وحدة الترجمة

أحمد الحملي

د. جمال الرفاعي

عادل مصطفى

محب شريف

محمد إسماعيل

منير محمود

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة

جمهورية مصر العربية

ت: ٥٧٨٦٢٠٠ / ٥٧٨٦١٠٠ / ٥٧٨٦٢٠٠

فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣

مطابع الاهرام بكورنيش النيل

مقدمة

ترجمات عبرية

أولاً: دراسات :

- ١- الدين والقومية والديمقراطية في إسرائيل أ. روخ كيرلينج ٣
- ٢- صورة العربي في الأدب العبري إيهود بن عزيز ١٣

ثانياً: إسرائيل/ لبنان:

- ١- الخروج يونيل ماركوس ٢٣
- ٢- إعادة الانتشار في لبنان زئيف شيف ٢٤
- ٣- الفشل له ابوين يونيل ماركوس ٢٥
- ٢- أي مفتاح في يد سوريا زئيف شيف ٢٥
- ٥- هكذا لا نبني جدار أمني موشيه ايشون ٢٦
- ٦- تعليق على أحداث جنوب لبنان دافيد مكوفسكي ٢٧
- ٧- حزب الله للاستقلال رونين برجمان ٢٨

ثالثاً: إسرائيل/ شؤون داخلية

- ١- فشل التأمين أمنون دينكر ٣١
- ٢- توجيه ٣٧٪ من مخصصات الروابط للتعليم الحريدي شحر ايلان ٣٢

رابعاً: إسرائيل/ انتخابات:

- ١- رأس بلا جسد أفراهم بتروش ٣٥
- ٢- مقياس شهر فبراير للسلام أفريم يعر ٣٦
- ٣- ٦٠٪ يؤمنون بأن الفلسطينيين جادون في تطلعهم للسلام معاريف ٣٨
- ٤- القوى هو من يكون قويا في النهاية عقيبا الدار ٣٨
- ٥- مازال هناك وقت لاتقاذنا من سلطة نتنياهو مائير بلايخ ٣٩
- ٦- دولتان لشعبين أرييه كاسبى ٤٠
- ٧- باراك ضد بن عامي نحما شترسلر ٤٢
- ٨- هل هناك فرق يوسى بن اهرن ٤٣
- ٩- مواجهة الكراهية أمنون شومرون ٤٤

خامساً: إسرائيل: علاقات خارجية

- ١- لماذا تتسلح مصر يهوشع بورات ٤٥
- ٢- العلاقة بين مونيكا وببى أورى افنيرى ٤٦
- ٣- من سيهاجم الصواريخ أمنون بارزىلاى ٤٧
- ٤- الأردن حليف هارتس ٤٩
- ٥- المسألة الكردية عويد جرانوت ٤٩
- ٦- نزاع سخيف شموئيل شنيتر ٥٠

سادساً: المسار الفلسطيني

- ١- وضع القدس رونى سيناي ٥١
- ٢- خطة سرية لبلدية القدس وحيد امام ٥٣

سابعاً: كتابات عربية: رؤية

- ١- دور العبرية في الثقافة السياسية أمين اسكندر ٥٤
- ٢- النولة الإسرائيلية والفجوة الطائفية باهر شوقي ٥٨
- ٣- معضلة تعليم الفلسطينيين في إسرائيل عبدالقادر ياسين ٦١
- ٤- المأزق الإسرائيلي في الجنوب اللبناني احمد ابراهيم محمود ٦٥

فى الوقت الذى تتواصل فيه الجهود العربية والدولية من أجل مواصلة عملية التسوية على كافة المسارات والدفع فى اتجاه التوصل إلى حلول شاملة وعادلة لقضايا الصراع العربى - الإسرائيلى، حلول تحظى برضا الأطراف المختلفة وتتسق مع قرارات الشرعية الدولية وفى مقدمتها عدم جواز احتلال أراضى الغير بقوة السلاح وحق الشعوب فى تقرير مصيرها.. وذلك وصولاً إلى «شرق أوسط جديد» تتمكن شعوبه من التفرع لقضية التنمية والتطور.. فإن النخبة الحاكمة فى إسرائيل بتعريفها الواسع لا تؤمن بهذه الرؤية، وترى أن أمنها يتحقق عبر التخندق وراء ترسانات هائلة من أسلحة الدمار الشامل وأحدث منتجات تكنولوجياات السلاح، وترفض فى الوقت نفسه مواصلة تنفيذ ما تم توقيعه من اتفاقات على المسار الفلسطينى، وتعطى لما تتصوره من اعتبارات «أمنية» الأولوية على «السلام» على المسارين السورى واللبنانى. ومن المنطقى أن تكون محصلة ذلك تصاعد منحنى التوتر فى المنطقة وتراجع الآمال بحلول السلام.

وفى الوقت الذى تبذل مصر جهودها المخلصة من أجل دفع الأطراف المختلفة لمواصلة التفاوض وتسوية ما بينها من خلافات وصراعات على مائدة المفاوضات، تخرج بعض الأصوات الرسراييلية محذرة من مخاطر تحديث مصر لقواتها المسلحة. وتستخدم هذه الأصوات الحجج التقليدية المؤكدة على أن مصر تتسلح فقط من أجل الدخول فى حرب مع إسرائيل (انظر مقال يهوشع بورات.. لماذا تتسلح مصر) ومن ثم تطالب الحكومة الإسرائييلية بطرق أبواب «أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس الأمريكى» ومناشدتهم رفض التصديق على صفقة الأسلحة الأمريكية لمصر حتى لا يتقلص التفوق العسكرى الإسرائيلى!!

عقلية «الجيتو» والأمن عبر السلاح

والواقع أن هذه الرؤية القاصرة تمثل امتداداً للتفكير بعقلية «الجيتو»، تلك العقلية التى تخاف من كل شئ طوال الوقت حتى أصبح الخوف ظاهرة مرضية، عكست نفسها فى سكنى اليهود لحارات خاصة بهم ومغلقة عليهم، وواصلت التحكم فى عقلية النخبة الإسرائييلية عبر التخندق وراء ترسانات الأسلحة والاستمرار فى تخزين كافة أنواع السلاح، وفى نفس الوقت الشعور بالهلع من مجرد قيام الدول المجاورة بتطوير قواتها المسلحة وفق منوال طبيعى، ولا تتوقف عند رؤية هذه الدول للذات والدور وكونها تجعل من السلام خيارها الاستراتيجى وأن تطوير القوات المسلحة يهدف إلى صيانة أمنها القومى.

والمؤكد أن استمرار هذه العقلية سيقود إلى مواصلة الانعزال والعمل على التحصن ضد البيئة الإقليمية على نحو يؤكد عدم قدرة إسرائيل على تجاوز عقلية «الجيتو» إلى الاندماج فى المنطقة والتعايش مع دولها ومن ثم تظل ككيان معزول ثم تشكو بعد ذلك من غياب العلاقات الطبيعية.

الدين والقومية والديمقراطية في إسرائيل



دراسة "أ"

باروخ كيمرلينج - دورية زمانيم (الازمنة) - خريف ١٩٩٤.

تكتسب السيادة الصهيونية، دلالتها من طبيعة التجانس بين الدين والأمة اليهودية، وهي الميزة الأساسية للنظام الاجتماعي في إسرائيل. فدولة إسرائيل بخلاف الديمقراطيات الليبرالية الغربية لا يتم تعريفها باعتبارها متممة لمواطنيها بل بانتمائها إلى كل الشعب اليهودي. والديموقراطية الإسرائيلية لا تعترف بوجود أقليات، كما لو أنهم جميعاً كانوا يهوداً. ومن لم يكن كذلك، يبقى خارج النظام. إن قاعدة الانتماء ومعيار التمتع بالحقوق في الدولة تتمثل في الانتماء العرقي الديني. وهكذا، توجد في إسرائيل بالفعل ديمقراطية طبقاً لغالبية المعايير المتعارف عليها، و لكن فقط في إطار المكونات التي تحدد السيادة الصهيونية، والواقع أنه يمكن توصيفها باعتبارها ديمقراطية يهودية أو ديمقراطية مزدوجة.

عندما ننظر إلى الصهيونية نظرة ميكروسكوبية، يمكن أن نكتشف مهمتين أساسيتين كان عليهما أن تنجزهما: الأولى، إعادة بناء اليهودية من دين أو من حضارة إلى حركة قومية حديثة وعلمانية في جوهرها. أو بدلاً من ذلك، توصيف «المشكلة اليهودية» بمصطلحات سياسية، وقومية وعلمانية، والثانية تعبئة وتجميع أفضل لليهود داخل إطار اقليمي، يسمح بإنشاء كيان سياسي مستقل فيه لهذه الأمة كلما أمكن ذلك. كما سنطرحه للحوار في هذا المقال. ومنذ البداية كانت هناك تناقضات وتوترات بين هذين الهدفين. لقد أدت تلك التناقضات والتوترات إلى تسمية نظام اجتماعي على غلط أو

في قالب المجتمع والدولة، ثقافة سياسية وثقافة إسرائيل العامة. كما هو معروف لنا اليوم. والذي يمكن تشخيصه وتحليله بواسطة مصطلح «الديموقراطية المزدوجة»، أي وجود متواز لنظام قومي - ديني ونظام ديموقراطي - ليبرالي - علماني. وهما نظامان لا يجتمعان، ولكن في وقت ما يتفق هذا مع ذلك، فليس لأحدهما وجود بدون الآخر.

(أ) إن معظم مبشري وبناء الحركة القومية اليهودية كفكرة وكحركة سياسية واجتماعية كانوا أناساً علمانيين، مثل بينسك، هيرتزل، نورداو، كلشكين أو برديشفسكي، ولأن هؤلاء فقط تمكنوا من التفكير في مفاهيم قومية حديثة، فإن قوميتهم لم تقم في ظل نقاء تام بصورة عامة، بل كانت تنويراً للعلاقة الأساسية للغاية تجاه العالم: القومية، الليبرالية الكلاسيكية أو الاشتراكية بأنواعها. والجدير بالذكر أيضاً، أن بداية التفكير والنشاطات القومية اليهودية قد تشكلت في أخريات العصر الاستعماري، عندما كانت الهجرة اليهودية مجدولة في حركات سكانية واسعة المدى بين القارات، وبينما كانت تتخلق وتبنى وتستقر أمم مهاجرة كانت القومية اليهودية مازالت تتشكل، وكان المد الاستعماري الأوروبي هو النمط السائد في العالم، وكان النموذج الأوروبي هو الواقع الثقافي المهيمن.

القومية اليهودية الدينية، أو الأشخاص الذين توصلوا إليها من خلال رؤية دينية كانوا قلة هامشية بين الجماعة اليهودية الدينية، ومن الناحية المبدئية، فإن الدين لن يمكنه «التعجيل

بالنهاية» أو تحقيق خلاص جماعي دون تحقق نبوءة آخر الايام (أى زمن طوباوى فيه كل إسرائيل «ابرياء» أو «مذنبون»، مع كل ما يعنيه ذلك)، وفى نفس الوقت كانت الرؤية الدينية ايجابية تجاه «الهجرة» إلى الأرض المقدسة. لكن بناء قومية دينية كان ظاهرة هامشية نسبيا تتطلب جهدا تفسيريا وفكريا هائلا. وحتى اليوم فإن الوضع اللاهوتى لهذا البناء داخل اليهودية ضعيف للغاية. وهكذا فإن الحاخام الأول الذى سمح بتصنيفه كصهيونى، شموئيل موهيلفر، كان منشغلا بإقناع علمانيين من طراز بينسكر للبحث والالتفات إلى مشاعر حفظة الواجبات الدينية الورعين، أكثر مما كان مهتما ومشغولا بقضايا لاهوتية تمس العودة إلى أرض صهيون فى أوانه. والواقع أن موهيلفر فشل فى مهمته لتحقيق تفاهم ما بين مؤسسى الصهيونية، وكان له دور فى الانشقاق الذى حدث فى حركة «احباء صهيون» بين مكوناتها العلمانية وتلك الدينية. بذلك وضعت فى الواقع الأسس لبدء حركة «المزاحى» اختصار «مركز روحانى»، والتى انضم اليها فى عام ١٩٠١ جماعة الحاخام راينز. إن ظهور الصهيونية كحركة سياسية اجبر أيضا المعسكر الأرثوذكسى اليهودى على التنظيم من الناحية السياسية. وقد بدأ ذلك يتبلور فى أوروبا الشرقية وأيضاً الغربية (خاصة فى ألمانيا) كحزب سياسى، استطاع المنافسة فى المجال الاجتماعى السياسى الشامل مقابل الصهيونية والعلمنة. وبذلك تأسست «أجودات إسرائيل» أو (جمعية إسرائيل) عام ١٩١٢ فى فلسطين وفى ألمانيا، لكى تقدم للعالم بالوسائل الحديثة والديموقراطية اليهودى الحقيقى الذى وجد التحرر من أجله. ولكى لا تترك الساحة السياسية للمندسين والمتعولمين والصهيونيين والأسوأ من ذلك المؤمنين بالرسالة الكاذبة بمجيبى المخلص كأتباع شفتاي وفرانك.

كانت أجودات إسرائيل هى القوة السياسية اليهودية الأكبر والأكثر تنظيماً فى أوروبا حتى وقعت الإبادة، وهى التى قدمت أيضاً يهوداً لم يكونوا أرثوذكسيين تماماً، لكنها أيضاً لم تنقطع عن الدين والتقاليد. وكانت لديهم الرغبة فى إثبات اخلاصهم الوطنى للدول التى تأويهم. هكذا تطور نمط الحياة لدى المثقفين العلمانيين على غرار موسى مندلسون، كآى المانى (أو بولندى) على دين موسى.

ولكن عندما سعى مفكرو ونشطاء الحركة القومية اليهودية إلى تجديد الهدف والاطار الاقليمى لتسمية الجماعة القومية، فقد اضطروا إلى اختيار «صهيون» و«أرض إسرائيل» كهدف اقليمى للحركة القومية رغم البدائل المتاحة التى كانت امامهم، ورغم كونهم علمانيين لامعين. والواقع أن الهدف الاقليمى المتعلق بالأرض لم يكن قد تحدد فى هذه المرحلة الانتقالية سياسياً للحركة القومية اليهودية، كما كانت فى فترة احباء صهيون، ولم تكن قد تبلورت فى شكلها كحركة قومية حديثة. ولم يكن هذا الخيار مفهوماً من تلقاء نفسه فى البداية، لكنه أيضاً لم يأت مصادفة. والواقع أن الهدف الاقليمى قد فُرض فرضاً. نظراً لأن أرض إسرائيل كانت الحيز الاقليمى الوحيد الذى كان منذ البداية ذا صبغة معنوية وعاطفية وسط مأساة اليهود المروعة. هذه الصبغة أو الرباط تجاه «أرض إسرائيل»، أو «الأرض المقدسة» نشأت اساساً

وسط الرموز التقليدية الدينية التى كانت كامنة فى قلب التداعيات والمشاعر المستثارة.

ولقد اتضح سريعاً لأصحاب فكرة القومية اليهودية، أنه فقط إلى «أرض إسرائيل» وهى «الأرض المقدسة»، سيكون من الممكن تعبئة يهود وتهجيرهم باعتبارها أرض الميعاد وبالتالي يتمكن من تحقيق خلاص جماعى، لو أنه مازال موجوداً داخل أطر التخيل اليهودية. وقد وضعت النظريات العالمية للمشاركة فى الحركات الماثلة تحدياً أمام هذه الرؤية، تلك النظريات التى كانت من الممكن أن تؤدى إلى خلاص شامل للعالم عن طريق التحرر والديموقراطية وثورات صناعية أو اجتماعية - سياسية، والتى فى أعقابها، كنتيجة لأمنيات التغيير الذى يحدث، سيأتى دور المشكلة اليهودية. ومع ذلك فقد كان هنالك منذ البداية بين المجتمع اليهودى تفضيل البحث عن الخلاص الفردى، فى صورة هجرة إلى امريكا الشمالية، ولم تكن الهجرة إلى امريكا تتطلب قرارات ترجيحية على المستوى الايديولوجى أو اللاهوتى. وقد كان فى ذلك أيضاً تكلفة شخصية أقل، كما انها اخفت بداخلها عدة خيارات منها:

(أ) إن الهجرة إلى امريكا الشمالية سمحت لليهود بالحفاظ على نمط حياة دينى أرثوذكسى، والانضواء من جديد فى جمهور تقليدى محلى مؤيد، والاكتمال كحركة سياسية يهودية لها خصائصها على أساس افكار عالمية، والخروج إلى النور أى إلى التنوير والحداثة أو حتى الخروج تماماً من حدود اليهودية والولوج نهائياً ضمن مجتمع غير يهودى وتغيير الهوية الذى يعتبر أمراً مطلوباً أثناء عمليات الهجرة.

(ب) الجدير بالذكر أيضاً، أن الدين اليهودى ومنذ أمد بعيد، فى نصوصه ونسخه المختلفة، قد اشتمل بالفعل على أسس واضحة تحمل طابع القومية. لكنها لم يكن لها أن تتحقق وتقاوم بحد ذاتها دون التحول إلى حركات مصنوعة على طريقة مذهب شفتاي أو فرانك وأن تتطور إلى «الايمان الكاذب بالمسيح المنتظر»، فى محاولة للتوحيد بين زمن ومكان واقعيين وآيين وزمن ومكان غيبيين - بين المقدس والدنيوى. وكانت محاولة موشيه هس لمحو الحدود تماماً بين الدين اليهودى كوحدة متكاملة وبين القومية هى الأكثر أهمية وخصوصية. فقد ادعى هس أن الدين اليهودى منذ منحة التوراة وحتى الفترة الحاخامية فى عهده كان هو التعبير الموثوق فيه عن روح الشعب، والذى على عكس بقية الأديان وخاصة المسيحية، تطلع دائماً إلى خلاص جماعى. وهكذا كان الدين اليهودى، وفى الواقع أى «انكشاف يهودى» (بما فى ذلك المسيح وسبينوزا)، يتصل بدلالات قومية عالمية، وربما منذ بدايات الثقافة الانسانية، وهكذا أيضاً تربط كل ذلك بالرؤية الاشتراكية لهس: عندما تتحقق أهداف اليهودية - بمعنى: عندما يأتى خلاص جماعى يتمثل فى عودة صهيون، ولو مسيحى (يرى فيه روح الانسان تتجسد من اجل الارتقاء) - وحسب نظرية هس، فالمساواة والتحرر بالنسبة للفرد يتحققان من خلال مشاركته فى جماعات قومية متساوية فيما بينها، فى عالم ليس فيه أمة أكثر سيادة و سطوة من أخرى. وقرر هس إن «شعب إسرائيل كان حتى الثورة الفرنسية هو الشعب الوحيد فى العالم الذى كانت لديه ديانة قومية أو

ديانة انسانية (عالمية)». إلا أن تأثير هس على الفكر والفعل الصهيونيين كان ضئيلا بسبب آرائه بعيدة المدى وانتمائه منذ البداية إلى جماعات اشتراكية غير يهودية (مثل مرافقته لماركس وإنجلز)، وبسبب لا يقل عن ذلك هو أسلوب كتابته الثقيل وغير المفهوم.

وحتى يتم فهم اليهودية كقومية، بإعطاء عمق تاريخي وتحليلي طبقا لمفاهيم القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر، فلا بد من التعامل بصورة خاصة مع هاينريش جيرتس وفي فترة لاحقة مع شمعون دوفندوف. فالمشاريع التاريخية لهذين المؤرخين كان لها تأثير بالغ في بناء وعي جماعي وبناء ذاكرة جماعية مترابطة، كشرط حتمي للتفكير في مفاهيم القومية والعمل بها، على الرغم من أنه سواء جيرتس أو دوفندوف قد اعتبرا اليهودية في الأصل «حضارات» وليست كيانات قومية. وعلى سبيل المثال، فالدافع الرئيسي في تاريخ اليهود، حسب جيرتس، كان الصراع المتواصل مع ثقافات أخرى لكي تؤدي «رسالة» عالمية، ورغم ذلك شن المؤرخ الألماني هاينريش تريباتسكيه هجوما على جيرتس، الذي كان بشكل ما تلميذه، بسبب اللهجة القومية (اليهودية) في مؤلفاته. والمؤرخان جيرتس ودوفندوف، اللذان استخدما مصادر ونصوص يهودية (وخاصة الدينية) وغير يهودية على السواء، افترضوا من تلقاء نفسهما بالطبع كون اليهودية قومية، وضمنا في أطروحاتها القومية تلك الدين الذي كان في رأيهما هو التركيبة المحافظة للقومية في حالة ازدياد واجبة الانتماء المحلي وغياب السيادة. غير أن دوفندوف ذكر أن اليهود تحولوا إلى شعب أوروبي، وأن عليهم المطالبة بوضع أقلية قومية داخل دول القوميات الأوروبية أو الأمريكية. ويعود فضل المساهمة، ولو غير المباشرة، في بلورة الشعور القومي اليهودي لبعض كتّاب التنوير، وبخاصة إقراهام مابو والذي نجح من خلال كتابه الأكثر رواجاً «محبة صهيون» (١٨٤٥)، في خلق أسلوب تفكير في حياة يومية يهودية يلفها إطار رسمي يهودي توراتي في الأرض المقدسة، على غرار الطريقة الرومانسية الفرنسية.

لقد حاولت الصهيونية إذن استخلاص عدة مكونات أساسية من اليهودية على أن تمنحها دلالات مختلفة وعلاقات أخرى: ١- تعريف حدود الجماعة نفسه بأنهم عموم اليهود في العالم. ٢- المنطقة المستهدفة، من خلال نظرية تقضي بأن الهجرة من أوروبا وتسمية مجتمع في قارة أخرى ووسط شعوب أخرى، تعد تطبيقا مقبولا وشرعيا في سياق النظام العالمي الاستعماري. ٣- إنتقاء أجزاء هامة، من رموز اليهودية كديانة، بما في ذلك اللغة المقدسة - العبرية، ومحاولة علمنتها وتحويلها إلى لغة حديثة. وبالذات اللغة اليومية اليهودية (الأوروبية) العلمانية، اللغة البيديشية، وثقافتها الثرية المتنوعة التي أبعدت وتحولت إلى رمز لنفس الأسس داخل اليهودية كحضارة، والتي لا يجب التعامل معها بل ورفضها. ولكن ليست هناك ثورية أيضا في تشجيع لغة التوراة (أو اللغة المقدسة) والرموز الدينية، لأن جيلا سابقا من تيار التنوير (الهاسكالا) أوجد مسارا للمعرفة ومسارا للثقافة، صحيح أنه استقى الكثير من تنوعه وثرائه من الثقافة البيديشية، لكنه استطاع أن يقدم مزيجا من القداسة

والعلمنة، كانت الصهيونية في حاجة ماسة إليه. ٤- إن اليهودية كدين وكحضارة، حسب تطورها في المنفى، ابتعدت عن النصوص التوراتية وركزت على إيجاد عناصر معرفية وينود ثقافية مختلفة، خاصة تلك المنتمية للتلمود (البابلي وليس الإسرائيلي) ولأدب التساؤلات والاجابات والأحكام. أما المثقفون - في إطار تجديد اليهودية - فقد كانوا هم المصدر الرئيسي لخلق وعي معرفي من نوع جديد، سمح بالمواصلة التامة مع مكان وأوان وعلاقة وجود يهودي ما ضمن أطر سيادة غير يهودية وأيضاً وسط كراهية لليهود واليهودية. وهكذا وجدت ثقافة جديدة، صبت قانونا ونظاما داخل وعي الجمهور. وبرزت تفسيرات جديدة سواء لليهودية أو للنظام الكوني ككل، من خلال تأكيد على الطائفة المحلية ومؤسساتها، فبينما انتقلت اليهودية إلى مستوى تجريدي، استمدت الغالبية صلاحيتها بالفعل من المعرفة العامة الموسعة بعلم اللاهوت وأحيانا من التصوف أيضا، لكن مصدر قوتها كان منجذبا إلى الطائفة المحلية بصفة عامة، والتي كانت بمثابة المرشد والدليل.

لقد احتلت التوراة، التي ولدت ونشأت في البلاد التي نُفي اليهود منها، مكانا هامشيا في الثقافة الحاخامية واللاهوت الديني، ولم يكن ذلك مصادفة، إذ أن موضوعيتها بالنسبة لحياة اليهود كانت ضئيلة، رغم كونها أيضا نصا دينيا أخلاقيا. وإذا كنا نستخدمه، فقد كان استخداما عارضا، وانتقائيا، وبالأخص ككتاب تعليمي للمبتدئين، فلا عجب إذن أن تتبنى الصهيونية التوراة، وتعيد توصيفها باعتبارها نصا تاريخيا قوميا، وتحاول تحويلها إلى أساس لإعادة تأريخ اليهودية كقومية. ولكن رغم علمانيتها مازالت التوراة نصا أخلاقيا دينيا، يتأسس على قيمة «الذين يعملون الطيبات يثابون من قبل يهوه»، والذين يعملون السيئات يعاقبون من قبل يهوه».

وفي بداية الستينيات أشار د. جورج تارين إلى إحدى نتائج تعليم التناخ (التوراة) في المدارس الحكومية في إسرائيل. ويتضح مما خلص إليه تارين تولد ميل يهودية متطرفة وسط الشباب. ومن ذلك، أنه بعد عمليات التعليم لا تنتقل التوراة إلى «الوعي اليهودي» (في فترة وزير التعليم زلمان آرن).

تارين، وهو عالم نفساني اجتماعي، استخلص استنتاجاته من وجهة نظر بياجيه التي تعاملت مع تطور الأحكام الأخلاقية في مراحل النضوج المختلفة. وقد اعتمد على فقرة في التوراة تصف احتلال أرض إسرائيل على أيدي يهوشع بن نون عن طريق العمليات التطبيقية المعروفة للاحتلال. هذه العمليات، عندما عُرِفَتْ بأنها في سبيل احتلال أرض إسرائيل بواسطة القبائل اليهودية، حظيت بقبول تام من غالبية التلاميذ (كان ذلك هو الأسلوب المتبع في تلك الفترة)، ولم يوصف ذلك بأي أداة أخلاقية تقريبا. مقابل هذا، فإن ذات الأعمال والأفعال عندما تعلقت بسياق بناء الامبراطورية الصينية القديمة، ونسبت إلى قائد صيني، وصفها أغلبية التلاميذ بأنها مذبحة، على الرغم من أن هذه العمليات جرت في نفس التوقيت التاريخي تقريبا.

(ج) كان مهاجرو الموجة الأولى في معظمهم أناسا مخلصين للغاية، أورثوذكس بالمعنى المتطور، كانت الوحدة

الاجتماعية الهامة لديهم، بجانب «المستوطنة» (أى مستعمرة) هى الأسرة التقليدية. وكانوا يعتزمون انشاء طوائف دينية تقليدية فى «أرض إسرائيل» و«عبادة الله» إلى جانب استصلاح الأرض. وقد حرصت معظم الجماعات أن تشمل على ثلاث مهن - خاتن حاخامى، واعظ، وخبير زراعى. وقبل أن يقيموا منازلهم الخاصة ويؤسسوا مراققهم، أنشأوا كنيسا ومطهرا للجميع. أما مهاجرو الموجة الثانية والثالثة فقد كانوا مختلفين من أوجه كثيرة. كانوا من المهاجرين الشباب الذين يتحملون أعباء عائلية، ليس لديهم رأس مال خاص، لكن لديهم رؤية متبلورة إلى حد ما. كانت وجهة نظرهم سياسية، ونظرتهم الاجتماعية مادية. وقد اعتبروا أنفسهم من البداية منتقمين ذاهبين للتخندق فى المعسكر وأنهم صفوة اجتماعية، فأنشأوا احزاب وجماعات كوميونية، واعتبر جزء منهم على الأقل أنفسهم مرتبطين بالثورة العالمية الوشيكة. وأعلنوا التمرد على آبائهم، وانعكس قدر من هذا التمرد فى دنيوية الأعمال لدرجة الاتحاد والزندقة. وفى نفس الوقت، وامتدادا لفعل الهجرة إلى أرض إسرائيل، اعتبرت غالبيتهم أنهم وقبل أى شئ آخر يهودا، ونظروا إلى كل ما يأتونه من افعال كشورة قومية، تبوأ أحيانا مكانة أكثر أهمية من السياق الاشتراكى العالمى لهذا العمل. لقد كانوا متعلمين، ولكنهم لم يكونوا بالضرورة ذوى مستوى فكرى كاف ليتضح أمام أعينهم جوهر يهوديتهم العلمانية القومية الاشتراكية أمام اليهودية الدينية لجيل آبائهم. وهكذا تساعل أفرهام دقيد جوردون عام ١٩٢١: «هل يكفى أن نختار ونعى بمجرد الرأى، هل يكفى أن نؤسس فى فكر ونفس الانسان اعتمادا على الفكرة السائدة، أنه فى غياب الأساس للاخلاص والايمان الأعمى، يغيب أيضا أساس الدين، وما يحمله من قيم؟» واقترح التمييز بين «اخلاص اعمى» وإخلاص دينى مطاط، وانتقائى وانتقضى، والحفاظ على يوم الغفران (كيبوريم) (فى مقابلة دعا برل كستنلسون إلى الحفاظ على عيد الفصح وإلى تحديد التاسع من آب كيوم للاحتفال بذكراد).

وعندما نتأمل جيدا فى المفاهيم والمضامين الثقافية والحمل الثقافى الذى كان يحمله أفراد موجة الهجرة الثانية والثالثة ويحاولون من خلاله أن يخلقوا ويفرضوا علاقتهم بالدين اليهودى، تتبدى امامنا صورة مركبة هى محاسبة الدين والتحجر والتشويه الذى قام به امامهم المتعلمون (هكذا رأى بياربيرج، وجوردون، وبيرتس سمولنسكين، وثلاثتهم خافوا من ازدياد تطرف تيار التنوير الذى كان يمكن أن يجر إلى اندماج كامل. وأيضا المفكر هس الذى ظل يثنى على أدب التنوير، كان يخشى من جانبه الاصلاحى، الذى من شأنه أن يحول اليهودية من قومية إلى دين). وقد كانت طلائع المهاجرين انفسهم والمستوطنون على الأرض نواة لجيل سوسبولوجى بعد عملية محاسبة الدين المشار إليها. والمثير أن غالبية أول جيل من الفارين من الجيتو، بدا عبء الميلاد والطفولة لديهم كما لو كان مشدودا إلى ركن مظلم، فإذا كان الأب أو ربما الجد على الأقل ليسوا يهودا، فرما بفصاحة ايامنا هذه كنا صنفناهم باعتبارهم اورثوذكس. هذه الازدواجية فى التقييم يعبر عنها بصورة لاذعة وحادة ميخا يوسف

برديتشفسكى الذى لكى ينكر تماما عنها التقاليد والدين ويؤكد الفردية النيتشية، عانى وتحمل الكثير، ووصل إلى النشوة أو الفيض الصوفى باقترايه من الأساطير التلمودية وساحة التقوى. ربما من الصعب اعتبار برديتشفسكى «صهونيا»، لكنه أحسن النظر فى مشكلات عصره، كما أن شهرته وشهرة افكاره كانت محل اطلاق واهتمام واسع بين أوساط «المهاجرين إلى صهيون» أيضا.

(د) إن مشكلة الطابع المحدد لنظام الحكم فى الجماعة الصهيونية ومؤسساتها، يتبلور من خلال كيان يتمتع بحكم ذاتى (ورما سيادة كاملة أيضا، بعد ذلك)، لم تكن هذه المشكلة تمثّل عنصرا أساسيا أو هاما فى حوار وأيديولوجية الصهيونية تقريبا حتى موعد اقامة دولة إسرائيل ذات السيادة. ومن الممكن تعيين عدة أسباب رئيسية كتبرير لهذا الغياب: أولا، بينما تكدست مشكلات سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية كبرى أمام احتمال اقامة هذا الكيان، بدا النقاش حول سمات نظام الحكم وخصائصه كوضع الجياد أمام العرية. ثانيا، بالنسبة لمعظم مفكرى وسياسى ومنفذى الفعل الصهيونى، كان هناك بالفعل تصور أولى للسمات والخصائص المطلوبة لإدارة الشؤون الداخلية، واتخاذ قرارات باختصاصات الأجهزة وتنظيم الصراعات الداخلية المستقبلية. هكذا فإن الجناح الليبرالى للصهيونية، مثال هرتزل أو نورداو، كان تصوره لنظام الحكم ارستقراطيا مستنيرا يقوده المؤهوبون المثقفون، متسامحا وعلمانيا. وكان ذلك فى أوساط الاشتراكيين وأقرانهم يُعد حكما عادلا تحت قيادة التيار التقدمى وصفوة الشخصيات الذين يقدمون مزيجا من مصالح طبقية قطاعية، وهى مصالح من شأنها أن تكون متطابقة تقريبا مع مجمل الصالح القومى العام. وقد حظى بناء المؤسسات (وخاصة العسكرية منها) والاساطير القومية بالأولوية بين التيارات القومية المختلفة. وعندما انقسمت القوى السياسية داخل الاستيطان اليهودى فى البلاد وداخل الحركة الصهيونية، اثبتت مشكلة «الديموقراطية»، أى: أسلوب إشراكهم ليس فقط فى عمليات اتخاذ القرارات وبناء الأمة، بل أيضا فى تخصيص الموارد الطبيعية وكيفية استغلالها من قبل الجماعة. وبالنسبة للتيار الصهيونى الدينى، ففى عدا انشاء أجهزة تخصيص وتقنين الموارد بصورة «عادلة»، فليس هناك اهتمام كبير بالحكم العلمانى لأن الهدف النهائى - وإن كان خياليا - كان بناء مجتمع تدار شئونه طبقا للشرعية اليهودية بقدر الامكان. والسبب الثالث لغياب أو انعدام الاهتمام بخصائص النظام السياسى الحاكم بين الجماعة اليهودية، يتمثل فى أن النقاش حول ذلك يثير صراعات داخلية ويزيد من حدة الخلافات والتوترات، التى كانت قائمة اصلا داخل هذه الجماعة. فيما عدا ذلك، فإن القليل جدا فقط من بين الزعامة والسكان الصهيونيين اليهود كانت لهم محاولة ما للمشاركة فى حكم ديموقراطى أيا كان. ومتأخرا عن ذلك، بدا العامل المشترك اليهودى - باعتباره ضمانا لبناء مجتمع يتمتع بتفاهم واتفاق واسع يتميز فيه اليهود - غير موضوعي.

أضف إلى ذلك، أنه رغم أن الهجرة اليهودية إلى الأرض فى الفترة الاستعمارية كانت متدنية (نسبيا مع المتوقع والمأمول

من وجهة النظر اليهودية)، فإن غالبيتها كانت بحاجة إلى اعانة مباشرة أو غير مباشرة من «رؤوس الأموال القومية». لذلك ونظرا لارتباط المؤسسات شبه التطوعية بالجماعة، كانت هناك ضرورة لبناء وإنشاء أجهزة لتوزيع الموارد وتحديد قواعد التخصيص، تحظى تقريبا بالقبول بين المكونات المختلفة للنظام العام، خاصة على مستوى الصفوة التي ترأست الشرائع المختلفة. ولكي تتحقق شرعية لقواعد اللعبة وإطار من الثقة لتخصيص وتقنين الموارد، كانت من بين الوسائل التي استخدمها النظام السياسي أسلوب الانتخابات للمؤسسات القومية وانتخابات ذات صبغة طبقية وداخل المنظمات. ففي انتخابات الهستدروت عام ١٩٢٧ حصل «اتحاد العمل» على أغلبية ساحقة. وفي عام ١٩٣٠ اتحد مع «العامل الصغير» وتحولا إلى «حزب عمال أرض إسرائيل»، الذي خسر هذه الأغلبية في الهستدروت في انتخابات ١٩٩٤ فقط. وفي عام ١٩٣٣ حصل ماباي على الأغلبية في انتخابات الكونغرس الصهيوني، وأصبح الحزب المسيطر على الهستدروت الصهيوني العالمي. مقابل ذلك جرت ابتداء من ١٩٢٠ وحتى ١٩٤٤ انتخابات لجميع أعضاء «برلمان إسرائيل». وبرعاية بريطانيا جرت انتخابات بلدية ومحلية بين السكان العرب واليهود فيما بين ١٩٢٤ إلى ١٩٣٥. أما محاولات سلطة الانتداب البريطاني لإجراء انتخابات قطرية عامة شاملة لانتخاب مجلس استشاري، فقد اصطدمت في البداية بمعارضة العرب وبعد ذلك بمعارضة الجانب اليهودي. هذه الانتخابات منحت النظام اليهودي رؤية جزئية وبعضا من القشور الخارجية للديموقراطية. تلك التي كانت من نوع الديمقراطية الاجرائية، واختفت تقريبا من غالبية الحريات السائدة في الديمقراطية الليبرالية. وكانت هذه الانتخابات بمثابة ترتيبات امتيازية، إذ بجانب المشاركة في الوصول إلى الموارد المادية، منحت أيضا استقلالية داخل الطائفة اليهودية لتقسيمها، هذه الاستقلالية التي وجد فيها الفرد لنفسه حصنا وتأييدا في إطار جماعات اجتماعية سياسية مختلفة، ارتدت أحيانا قناع الاحزاب. وهكذا زين إطار الاستقلالية الداخلية الوضع الوسيط الواقع ما بين الحضري والقروي ألا وهم (المواطنون)، وتمتعت به جماعات دينية مختلفة المشارب وبالطبع منح هذا الوضع أيضا «لمجتمع العمال». لكن الديمقراطية بمفهوم غربي ليبرالي بحد ذاتها لم تكن سائدة في سياق حكم استعماري (حتى ولو في صورة «انتداب») ومجتمع استيطاني - مهاجر ومجند على الأقل في جزء منه (لادارة الصراع ضد السكان العرب المحليين)، له طباع شرقية جماعية، بزعامة من وصفهم عالم الاجتماع يوناثان شبيرا بطلائع المراحل المختلفة للثورة البلشفية الناجحة في روسيا. ولكن مثل هذا الاطار (الاستيطان المنظم، لكي نتلمس حدوده)، يحتاج الأمر بالطبع إلى «جماعات خارجية»، فيما عدا هؤلاء الذين كانوا بحد ذاتهم خارج المجتمع اليهودي (العرب، والبريطانيون وبقية الجماعات الأخرى)، وهم كانوا منقسمين على أنفسهم، أو كأولئك الذين وصفوا بذلك (مثل الارثوذكسية غير الصهيونية، والشبوعيين، وفيما بعد التنقيحيين. وكانت الحالة المحددة هي جماعات «الاستيطان القديم» السفاردي، أو ارستقراط اليهودية من الفترة

العثمانية، الذين غرقوا مع تبدل الحكم. لقد استطاعوا أن يكونوا في الداخل وفي الخارج تقريبا على نقاتهم). وعلى هذه الشاكلة، تمخضت طوائف استجابات تقريبا لاحتياجات غالبية أبناء الطائفة. إن مرجعية «اليهودي» ومرجعية «الصهيوني» - حتى داخل فلسطين الانتدابية (على عكس مهاجر) تشوهت الحدود بينهما - لم يكن ذلك فقط من ناحية الهوية الجماعية، بل أيضا كمبدأ ينظم الدفاع عن حقوق أبناء الطائفة. تلك لم تكن حقوق مدنية عامة، بل حقوق طائفية ليست بالضرورة متساوية لقد توافرت حقوق معينة تختلف من جماعة إلى أخرى، لكنها شملت جماعيا التمثيل والظهور تجاه ما هو خارج منها (السلطة الأجنبية والأغلبية العربية)، ومنحت الرعاية في مواجهة أي ضرر بالجسد وبالممتلكات. وعلى مستوى ما ضمت هذه الحقوق الطائفية عملا، وتأييدا، وحدا أدنى من الاعانة، وخدمات الصحة والتعليم (بصورة مستقلة لكل جماعة داخل الطائفة). ولم يكن المبرر لبناء هذه الحقوق ومنحها كخدمات هو مجرد الاهتمام بأبناء الطائفة، بل تطلع الطائفة اليهودية إلى الوصول لأقصى استقلال وعدم ارتباط بالدولة الانتدابية، وإلى بناء دولة داخل الدولة داخل سياق العلاقات الثلاثي البريطاني - العربي - اليهودي، ونظرا لأن الحركة الصهيونية لم تنجح في خلق أغلبية يهودية داخل فلسطين أرض إسرائيل، فكان عليها أن تخلق أجهزة ومؤسسات موازية (الدولة القادمة)، والتي مع مرور الوقت يمكن أن تحل محل أجهزة ومؤسسات الدولة الاستعمارية الانتدابية. أما الطائفة العربية الفلسطينية فلم تكن مضطرة إلى ذلك، لأنها باعتبارها أغلبية كان من المقرر أن «ترث» أجهزة الدولة الاستعمارية، كما حدث في غالبية الدول الجديدة التي تحررت من الحكم الاستعماري. وجوهر اليهودية، بين الدين والقومية، لم يكن بالضرورة حاسما في تلك المرحلة التاريخية. ولم تكن الأمور كذلك بالنسبة لإنشاء دولة إسرائيل ذات السيادة، والتي استهدفت لنفسها أن تصبح دولة قومية لجميع اليهود في العالم. ففي ١٩ يونيو عام ١٩٤٧، وفي سبيل اقامة الدولة، بعثت الوكالة اليهودية خطابا إلى «اجودات إسرائيل» غير الصهيونية طلبت فيها الحصول على تأييدها ومشاركتها التامة في عملية إعلان الدولة اليهودية (سبق ارسال الخطاب مساومة غير رسمية لم تتسم بالمرونة). في هذا الخطاب، الذي يمكن اعتباره إلى الآن هو الأساس لحالة «الوضع الراهن»، الذي يعد من اركان الثقافة السياسية في إسرائيل، نقول في هذا الخطاب التزام رؤساء الوكالة (وقع على الخطاب دقيد بن جوريون، والحاخامان بيشمان ويتسحاق جرينبوم)، بأن يكون يوم السبت هو يوم العطلة القانونية للدولة، وأن تحظى بالاهلية كل المرافق العامة والرسمية الحكومية، وأن تتم شئون الزواج، «بقدر الامكان طبقا لقواعد الدين السليمة، وذلك لمنع أي انقسام والعياذ بالله، داخل البيت الإسرائيلي». كذلك يضمن الخطاب استقلالا تاما لأي تيار تعليمي. وفي نفس الوقت رفض الخطاب المطالبة - والتي اثرت من وراء الكواليس - بتحديد الشريعة اليهودية دستورا للدولة. وكان مبرر رفض هذا المطلب هو الحاجة إلى اطار شكلي ووهمي، ألا وهو «إن اقامة الدولة يحتاج إلى موافقة

الأمم المتحدة، ولن يحدث ذلك بدون ضمان حرية الضمير الانساني في الدولة لكافة مواطنيها، ولن يكون ذلك متاحا إذا كانت النية تتجه لإنشاء دولة دينية ثيوقراطية - والمغزى، أنه فقط بسبب ضغوط خارجية والخوف من رفض الأمم المتحدة، يمنع إنشاء دولة دينية، ويسود الانطباع بأنه لولا هذه الضغوط لكان المجتمع اليهودي مستعدا لتلقى عذابات ملكوت السماوات مع إنشاء الدولة. وبالمناسبة فالوارد أن تضم الدولة أيضا مواطنين غير يهود. وأنه من الواجب والمحتم أن تكون مساواتهم في الحقوق مضمونة، وهو أمر يبرز كمبرر أيضا لعدم تطبيق الشريعة كدستور، أي: ضغط خارجي آخر. وقد رحبت أجودات إسرائيل بالخطاب واعتبرته «وثيقة هامة»، لكنها ذكرت أنه لم يتضمن ما يلبي مطالبها بما يكفي. واقترحت مواصلة المفاوضات وجها لوجه.

(هـ) في مرحلة صياغة وثيقة الاستقلال أيضا نشأت مشكلة، لكن برز معها الحل: «في أرض إسرائيل قام الشعب اليهودي، وتشكل فيها إطاره الروحاني والديني وطابع دولته [...] وفيها أنتج ثروات ثقافية قومية وإنسانية وأورث العالم كله الكتاب الأبدى التوراة». فالدولة نفسها أعلنت بدافع «حق طبيعي وتاريخي» وعلى أساس قرار عصبة الأمم المتحدة. ومن المقرر أن تتأسس «على أساس الحرية والعدل والسلام». وفي ضوء رؤية أنبياء إسرائيل، والتي تعد رؤاهم - كما هو معروف - دينية في الأسس. والدولة «ستقيم مساواة في الحقوق الاجتماعية والسياسية بين جميع مواطنيها دون تفرقة في الدين أو العنصر أو الجنس» (وليس القومية!). وتم التوقيع على كل ذلك في إطار أمن حصين لإسرائيل. وكانت المشكلة في تعريف وتحديد هوية الدولة ومصدر شرعيتها، وفي التوتر الكامن بين مؤسساتها الدينية المدرجة في الإعلان وبين التطلع إلى منحها صلاحية علمانية شاملة، دون ذكر بعض من الحقوق والحريات العلمانية لمواطنيها، على طريقة الثورة الفرنسية. وكان الحل الذي ظهر آنذاك هو محو وإزالة الحدود بين المؤسسات الدينية والعلمانية، بين الدين والقومية. ولكن يجدر بنا أن نضيف هنا أيضا، أنه حتى عند ولادة فكرة الفصل بين الدين والدولة - في الولايات المتحدة الأمريكية طبقا لدستورها - فإن هذا الفصل لم ينجح أبدا ولم يخرج إلي حيز التنفيذ بصورة كاملة.

إن أجلا أو عاجلا وصل موضوع فصل الدين عن القومية إلى مختبر محكمة العدل العليا، وذلك بعدة أحكام غير مسبقة، لم تحدد فقط مبدأ أو قاعدة قانونية، بل أيضا كشفت عن الوضع الثقافي والاجتماعي السياسي الغامض. ففي الحكم المشهور بشأن تسجيل أبناء بنيامين شليط (محكمة عدل عليا ٥٨/٦٨) كتب كبير القضاة برنزون فتواه بأسلوب الليبرالي المعتدل: «يجب اعطاء تعبير «قومية» المدلول الذي يتلاءم مع روح العصر ويكشف الوعي السائد بالجزء المستنير من سكان البلاد». لكن القاضي برنزون لم يحاول مثلا، تعريف من هو المستنير وأي أجزاء من السكان هم المستنيرون. وأضاف: «لا يجب أن نفرض على تعبير قومية، والذي تعتبره الغالبية منفصلا عن الدين، اختبارات الشريعة اليهودية.. (وطبقا لذلك) فإن نظرة الشريعة الدينية فيما يتعلق بقومية ساكن هذه البلاد لا يمكنها أن تكون أساسا لأحكام وفتاوى

المحاكم المدنية في دولة إسرائيل». ومقابل ذلك قرر القاضي زيلرج بفهم أقل: «لا يمكن قطع القومية اليهودية عن جذورها الدينية. فالانتماء الديني اليهودي ضرورة وواجب للقومية اليهودية. ولا توجد حتى الآن قومية يهودية إسرائيلية، وإن وجدت، فإنها ليست بالضرورة قومية علمانية».

ويضيف القاضي أجرنط: «في تاريخ الشعب اليهودي اندمج العامل العنصري - القومي (هكذا) في الوحدة الدينية، وتربط بين هذين العاملين رابطة لا يمكن فصلها عنهما. وعلى مدى التاريخ الطويل للشعب اليهودي، على الأقل حتى العصر الحديث، فإنه يحمل طابعا قوميا دينيا [...] طبقا لنظرة اليهودية التاريخية. إن أسس القومية والدين مرتبط كل منهما بالآخر، ولا يمكن فصلهما».

والأكثر من ذلك غرابة هو موقف المحكمة من مطالبة «الأخ دنيال» (هو أوسفيلد روفازين) بتسجيل قوميته كيهودي، رغم أنه غير ديانته إلى النصرانية (محكمة العدل العليا ٧٢/٦٢). والقضية التي طرحها هذا الموقف كانت مدلول كلمة «يهودي»، كما ينص عليه قانون العودة. هنا وبصورة تنطوي على تناقض، مع رفض مبادئ الشريعة اليهودية التي تنص على أن من ولد يهوديا (أي لأم يهودية) يجوز اعتباره يهوديا حتى لو غير دينه برغبته، رفضت المحكمة هذا الطلب، وفرت بين المعنى العلماني لكون المرء «يهوديا» طبقا لقانون العودة وأي قانون مدني آخر، وبين معناه حسب قوانين الزواج السائدة طبقا للشريعة. ولم يتطرق هذا الحكم لمناقشة وجود أو عدم وجود قومية يهودية منفصلة عن الدين، بل حدد الأمر مهتديا «بالعقل المباشر»، وأنه «على ضوء المدلول العادي لتسمية «يهودي»، فإن اليهودي الذي تنصّر لا يسمى يهوديا». وهكذا وجد، ربما بما لا يتفق مع حكم المحكمة، تعريف «يهودي» طبقا للشريعة، مقابل «يهودي» كما هو مألوف (ربما علماني؟). وهنا جاء تحديد آخر محسوم لمحكمة العدل العليا: «إن إسرائيل ليست دولة دينية ثيوقراطية، لأن الدين فيها لا ينظم حياة المواطن، بل القانون».

هذا التحديد يشير الغموض والمشاكل حتى في إطار الحكم نفسه، والغريب أن قوانين الزواج في إسرائيل خاضعة لقضاء المحاكم الحاخامية والتي لا تصدر أحكامها طبقا لما يتفق مع قوانين الدولة، وما قبلوا به من الهيئة التشريعية للدولة، بل تأتي هذه الأحكام طبقا لقوانين الشريعة والتفسيرات التي يتوصل إليها القضاة المتدينين. بمعنى، أنه طبقا لقانون المحاكم الحاخامية «الزواج والطلاق عام ١٩٥٣» و«قانون القضاة المتدينين ١٩٥٥»، تخرج الدولة بذلك من أحد المجالات القضائية المؤثرة في حياة مواطنيها - مجالات الزواج - وتتركها لسلطة تقييم خارج إطار الدولة، تمارس عملها طبقا لمبادئ الشريعة اليهودية.

إن التغاضي عن مجالات قضائية لصالح المحاكم الحاخامية - التي تستقي أصلا صلاحيتها من تشريعات الدولة وكذلك فتواهم تخضع لدراسة هيئات الدولة، لكن القوانين والقواعد التي يضعونها لا تمر بالقنوات التشريعية لبرلمان الدولة، بل تنبع من هيئات تشريعية دينية خالصة - هذا التغاضي يخلق وضعًا شاذًا بين دول تدعى أنها دول ذات قومية ودول

ديموقراطية قانونية وليبرالية ولكنها غربية. ومع مر السنين اتجهت بالفعل محاكم الدولة (العلمانية) أكثر فأكثر إلى التدخل في بعض الفتاوى في شئون الزواج، ولكن دستوريا بقي الوضع على ما هو عليه. (ويرى بعض المفكرين الدينيين، وأبرزهم يشعيا هو ليفوفيتش: لقد أصبح الأمر بذلك بيروقراطية دينية، لقد فقد الدين استقلاله، وفقد العاملون في قداسته مصدر صلاحيتهم الدينية وأصبحوا موظفين في الدولة. وهذا الرأي يتطلب دراسة متعمقة، لكن ذلك لن يغير واقع وجود المحاكم الحاخامية والتشريعات القطرية والمحلية المستمدة من الشريعة، والتي تفرض نظرياتها على كافة مواطني الدولة اليهود.)

(و) في غضون تسمية دولة إسرائيل، وبينما بدأت ترسم على الساحة الدولية الحدود بين الكتلتين، وأخذت الحرب الباردة بينهما تلوح، كان على إسرائيل أن تقرر لأية كتلة ستتنتمي. إذ بمنظور استعادة الماضي في ذلك الوقت لم يكن واضحا بأي حال ما سيكون عليه طابع الدولة وما هو التوجه الدولي لها. وهما الأمران اللذان لم يكن أحدهما بمعزل عن الآخر. وقد أسفرت القوى السياسية والاجتماعية السائدة في الدولة عن نفسها «الاشتراكيين» بعضهم (مثل ما بام، وبالطبع الحزب الشيوعي الذي أعيد تنظيمه فور قيام الدولة وكانت له جذور تاريخية متينة في الاستيطان) كان له توجه واضح تجاه الاتحاد السوفيتي، وإن لم يقبلوا تماما بالنظرية الشيوعية ولم ينصاعوا بكليتهم للقيادة السياسية السوفيتية. وفي الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية كانت الشيوعية والاتحاد السوفيتي في نظر كثيرين «عالم الغد» (حتى المانفستو في الصين تأسس على أيدي ثوريين شيوعيين. وكذلك اعتبروه في فرنسا وإيطاليا الريان إلى حكم شيوعي)، في حين كانت الاستعمارية والرأسمالية الغربية (ونظمها الليبرالية) تبدو «كعالم يفرق»، سبق أن حاربت ضده الحركات السرية اليهودية للاستيطان.

حتى بعد كارثة الإبادة كانت أوروبا الشرقية ما تزال تمثل مخزون القوى البشرية الأكبر لهجرة اليهود. وعلى الجانب المعاكس، أبدت الإدارة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، مع بداية دخولهما الدائرة المناهضة للشيوعية، تشككا ومعاملة متحفظة تجاه الدولة اليهودية «الاشتراكية»، والتي كان شعارها «التجاري» كومونات زراعية (أي. الكيبوتسات). وأثناء حرب ١٩٤٨ المبررة فرضت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها حظرا على شحنات السلاح إلى الشرق الأوسط. وكان المتضررون الأساسيون هم اليهود. مقابل ذلك أصبحت دول أوروبا الشرقية مصدرا رئيسيا لأمادات السلاح وأيضا مكانا لتدريب القوات اليهودية المقاتلة في فلسطين. والمفترض أنه في المرحلة الأولى تعلق الاتحاد السوفيتي بأمل أن تصبح الدولة اليهودية حليفته في المنطقة، واعتبر السوفيت أن الاحتمال كبير في أن تبقى هذه الدولة تحت رعايتهم. وكما هو معروف تحدد توجه الدولة الجديدة تجاه «الكتلة الغربية» وكان وراء ذلك عدة أسباب:

(أ) كان واضحا أن اليهودية الأمريكية المنظمة ستصبح السند السياسي والاقتصادي الراسخ على المدى الطويل بالنسبة للدولة، وفي نهاية الأمر، ستكون الطائفة المنظمة تلك في جيل

منها، ذات تأثير على الإدارة الأمريكية نفسها. فثمن انشقاق مع اليهودية الأمريكية يعتبر أكبر بكثير مما تستطيع الدولة اليهودية أو ترغب في تحمله، ذلك على الأقل التصور الذي كانت عليه الأمور آنذاك.

(ب) منذ زيارته للولايات المتحدة من أجل مؤتمر بلتيمور (مايو ١٩٤٢) تأثر بن جوريون بشدة من المجتمع الأمريكي، المتعاطف والمتنوع، ولم يشارك من اعتبروا أنه مجتمع يغرق في رأيهم.

(ج) على الرغم من إبرام اتفاقات وقف إطلاق النار في نهاية الحرب ثارت توقعات لانتهاء النزاع اليهودي العربي، واتضح أن عدم اسراع العرب للاعتراف بإسرائيل، وزيادة مشاعر الحصار على الدولة، يأتي في مصلحة القيادة السياسية والثقافية للدولة - على ما يبدو. فلم ترد الصفوة الحاكمة في إسرائيل أن يتم استيعابها في شرق أوسط متخلف، خاصة بعد أن اضطرت لاستيعاب - لاعتبارات أيديولوجية - عددا ضخما من مهاجري الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. على أية حال، أرادت إسرائيل أن تنتسب إلى الجماعة الأوروبية، التي بدأ مفكروها يلتفتون إليها بحماس كبير، عندما كان هدفهم النهائي إقامة الولايات المتحدة الأوروبية (الغربية). من الناحية الجغرافية - السياسية، والاقتصادية والثقافية رأت النخبة الحاكمة في إسرائيل نفسها جزءا من أوروبا، وليس من الشرق الأوسط.

(د) أنه كلما بقي النزاع مع المحيط العربي بلا حل وازدادت حدة رفض إسرائيل أيضا، لعودة جماعات اللاجئين العرب بينما هي تستوعب موجات المهاجرين مع نهاية العهد الاستعماري، كلما ازدادت نموا وتطورا بذور مشكلة شرعية قيام دولة يهودية في المنطقة. واحتدمت هذه المشكلة أكثر بعد حرب ١٩٦٧. وبصورة تنطوي على التناقض، كان الرد على مشكلة شرعية دولة يهودية داخل «منطقة عربية» في مرحلة ما بعد الاستعمارية، موجودا في طبيعة الدولة كدولة يهودية بالمفهوم الديني للكلمة. فملاحقة اليهود، وكرثة الإبادة، وجسارة المشروع الصهيوني، ونتائج حرب ١٩٤٨ بانتصار «الأقلية على الأغلبية» - كلها كانت بالفعل ردودا مقبولة (لدى اليهود وغير اليهود الذين أرقهم ضميرهم) على مسألة شرعية بناء مجتمع على حساب مجتمع آخر. وفي هذا التفسير للماضي القريب والبعيد، الذي كان مقبولا لدى غالبية الشعب اليهودي التي بقيت بعد كارثة الإبادة، كان يكمن أيضا النجاح السياسي والثقافي - وبمفاهيم معينة، الديني أيضا - للصهيونية كحركة اجتماعية وكفكرة سياسية واجتماعية. غير أن الرد النهائي كان منعصا في رموز وقيم أصيلة، بواسطتها نجحت الحركة الصهيونية في تعبئة بعض الجماهير اليهودية وحشد التأييد السياسي من البعض الآخر. وتلك كانت رموزا وقيما وأحاسيس دينية ساطعة. والدولة اليهودية ومجتمعها ما كانوا ولا استطاعوا أن يكونوا دولة كهنوتية دينية، لكنهم كانوا في حاجة لليهودية ولكل هؤلاء الذين قدموا أو تباهاوا بتقديم اليهودية من الشرعية التامة للصهيونية. وبناء على ذلك لم تستطع الصهيونية التنازل عن مشاركة الدينيين الفعالة (وكلما كانوا أكثر تدبنا، كان ذلك أفضل) في المشروع القومي اليهودي. هذه المشاركة لم تكن

لتخرج إلى حيز التنفيذ من خلال توجه للكتلة الشيوعية الملحدة في جوهرها.

(هـ) كان من شأن التوجه نحو الكتلة الشرقية أن يغير فورا من علاقات القوى داخل البنية السياسية الداخلية لمصلحة ما بام. المنافس الرئيسى لـ ما بام للسيطرة على المعسكر العمالي. وربما تمخض عن ذلك أيضا خلق قاعدة للتحالف بين ما بام والفروع اليهودية للحزب الشيوعى. وموجات المهاجرين التى وصلت دون انتقاد من أوروبا الشرقية كان أعضاؤها وكأنهم متهمين فى نظر النخبة المابامية بميولهم الشيوعية وتعاطفهم أكثر مع الاتحاد السوفيتى، الذى انقذهم من الإبادة على أيدى النازيين، وينفس الطريقة اتهم مهاجرو بلاد الشرق وشمال إفريقيا بأنهم طاقة مخترنة للتعبئة عن طريق التنقيحيين (حيروت).

غير أن الترويج للتوجه تجاه الغرب كان مرتبطا بالترويج تجاه نظام الحكم الداخلى داخل الجماعة، وخاصة فى الالتزام تجاه حكم ديمقراطى متعدد الأحزاب، على الأقل على المستوى الشكلى والاعلاتى، على النقيض من نموذج «الديموقراطية الشعبية» التى تبلوت فى أوروبا الشرقية. ومن الناحية المؤسسية. وجود احزاب، تشكيل برلمان، اقامة انتخابات حرة ونظامى قضاء مستقلان. فالوسائل لتسمية ديمقراطية ليبرالية حرة كانت موجودة أو جرى بناؤها فى زمن قصير. ولكن بالإضافة إلى هذا التبلور المؤسسى، كان من الضروري ايجاد أجهزة وبنية أيديولوجية تمنح توازنا للديموقراطية وتضمن استمرار سيطرة النخبة السياسية والثقافية لما بام وحلفائه. من أجل ذلك طالبت جميع شرائح المجتمع بموقف «رسمى».

هذا الموقف سعى إلى تكريس افضلية الدولة كمؤسسة وكرمز والاخلاص لها ولمثلها عن الاخلاص لآى تنظيم سياسى أو كيان آخر فى المجتمع المدنى طالما كانت تلك دولة القومية اليهودية، ولتحقيق الحلم الصهيونى خالصا. لقد أمت الدولة فورا ليس فقط القوات المسلحة والشرطة، بل أيضا التعليم (التخلص من الاستقلال الذى تمتع به سواء التعليم الرسمى الدينى أو التعليم الحرى)، ومكاتب العمل وجزءا كبيرا من البناء (مع عودة سيطرتها على ٩٠٪ من الاراضى - سواء اراضى كانت فى السابق ملك الهستدروت الصهيونى، أو الأراضى المهجورة العربية الفلسطينية، دون أن نذكر اراضى دولة بريطانيا الانتدابية. لقد تحملت الدولة مراقبة «استيعاب الهجرة»: السيطرة على السكان العرب الذين يوصفون «بالعداء» (بواسطة ادارة عسكرية حازمة وإبعاد هؤلاء السكان من سوق العمل)، بناء جيش نظامى، جيش عامل ومنظومة احتياط، تشجيع المشروعات الاقتصادية من خلال دعمها، توفير خدمات معاونة، توزيع السكان من خلال خلق نوع من التمييز الواسع بين غالبية المهاجرين الجدد وبين السكان القدامى باستخدام نظام المفضلة لايجاد اقلية ثقافية متميزة قوية، وآخرين لهم الشرعية. بذلك أصبحت الدولة المحرك الرئيسى والوحيد تقريبا، والعنصر صاحب القوة الأكبر فى المنظومة برمتها. والديموقراطية الإسرائيلية لم تعترف بوجود الأقليات، التى يجوز أن جميعها كانوا يهودا. ومن لم يكن كذلك، يعتبر موجودا خارج المنظومة.

لكن قوة الدولة تقلص مستواها خاصة كلما نجحت سياستها. فأدى ذلك إلى وجود طبقة متوسطة جديدة، قل ارتباطها بالدولة مع الزمن، وأزهرت هذه الطبقة مجتمعا مدنيا حول جماعات اقتصادية وبيروقراطية جديدة، ونخب محترفة مثقفة ومستنيرة، نجحت فى خلق شفافية عامة وخاصة، حيث كان من الصعب على الدولة اختراقهم. كذلك اكتسبت العائلة قوة متجددة أدت إلى نمو الفردية التى لم تكن معروفة سابقا بين هذه الجماعة لم يحصل أبناء الجيل الثانى المهاجرى الشرق على ما أرادوه من مناصرة وتميز، خاصة أنهم وعلى خلفية العامل المشترك ليهوديتهم طلبوا المشاركة والاعتراف وقبل كل ذلك، الاعتراض والاحتجاج نارا للمذلة التى عاناها الجيل الأول. ونجح حزب «حيروت» القومى (اليهودية: يهودية جرى تفسيرها من جديد ليس فقط كدين وتقاليد، بل أيضا كموقف معاد وفعال للعرب) فى استغلال هذه المشاعر جيدا عندما صعد إلى السلطة بين أعوام ١٩٧٧ - ١٩٩٢. كذلك نجح العرب الفلسطينيون مواطنو إسرائيل شيئا فشيئا فى ترجمة أعدادهم إلى قوة سياسية وبواسطة سياسة ذكية باستخدام قواعد اللعبة المعلنة للدولة اليهودية وأن يصبحوا اقلية قومية ذات وعى مستقل. وربما تكون الجماعة الوحيدة التى نجحت فى تحدى ما فرض عليها باستمرار السيادة الصهيونية للدولة.

غير أنه حتى عام ١٩٩٢ على الأقل عرف الشباب المتدين - القومى كيف يستخلص كل الفائدة من كون إسرائيل دولة قومية يهودية، يدخل الدين أيضا فى تشكيل وجودها. وهذه الحركة استغلت أزمة الهوية والفراغ الايديولوجى الذى ساد كل المجتمع الإسرائيلى منذ الانتصار العسكرى فى حرب ١٩٦٧ والصدمة النفسية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتحولت طبقة اشكنازية متوسطة من جماعة هامشية تماما إلى عنصر اساسى رائد أيديولوجيا وسياسيا. فى أعقاب حرب ١٩٦٧ باتت دولة القومية اليهودية، دولة مزدوجة واقعيًا من ناحية التركيب السكانى. وأدت الحرب إلى عودة التعبير المتصل بالأرض (الأقليمى)، والدينى على وجه الخصوص، تعبير «أرض إسرائيل». لم يكن هناك فى تاريخ الصهيونية تطابق كبير بين مشاعر قومية وعسكرية من ناحية وبين احاسيس دينية ذات صلة بالمخلص المنتظر من ناحية أخرى. كما تفجرت بعد احتلال «أرض إسرائيل» (وكل ما تم احتلاله تقريبا جرى تعريفه مجددا باعتباره أرض إسرائيل). ولم يكن بحوزة المجتمع الذى يصف نفسه بأنه «غير دينى» (ولكن يهودى) وسائل وأدوات ليتعامل مع الواقع المركب الذى تشكل. فمن جهة، هناك نصر عسكرى يعتبر إلى حد كبير بمثابة معجزة (سواء بالنسبة للعلمانيين أو بالنسبة للحريديم غير الصهيونيين)، مع تحقق التطلعات القومية. الاقليمية التى كانت مكبوتة على مدى سنوات طويلة. ومن جهة أخرى، استمرار ما بدا أنه رفض العرب للاعتراف بحق وجود إسرائيل فى المنطقة حتى مقابل إعادة الأراضى التى احتلت. وعلاوة على ذلك: فالسكان منصاعون، وأضعف من أن يتعاونوا (على الأقل فى تلك المرحلة) مع المحتل مقابل قطعة خبز، وتحولت خبرة الاستيطان شيئا فشيئا إلى الايديولوجيا الرئيسية للصهيونية. وباتت «جوش ايونيم» هى بؤرة

الصهيونية، ذات قومية قاسية تتجاهل تماما حقوق أى جماعة أخرى تعيش على نفس الأرض.

ولكن رغم مركزية «جوش ايمونيم»، وخاصة مع تشوه المنظومة السياسية الإسرائيلية فى اعقاب حرب ١٩٧٣ (حرب يوم الغفران)، فإنه لم يستطع الامساك بالخرطة الاجتماعية السياسية كاملة. بسبب قلة خبرته وتجاهله التام لاحتياجات مجتمع مركب كإسرائيل، وبسبب تركيزه على الاستحواذ على المناطق المحتلة وبسبب اختلال التوازن الدقيق بين المكونات الدينية والمكونات العلمانية الشاملة الكامنة فى «اليهودية الإسرائيلية». وعندما اقتنع اعضا «جوش ايمونيم» أنه رغم هيمنتهم القيمة السياسية، لم يعد فى مقدورهم تعبئة الشعب فى تأييد فعال (على سبيل المثال، رغم أن الحكم كان فى صورة حزب قومى متعصب كاليكود، لم يكن ممكنا تحقيق ضم رسمى للضفة الغربية واتخاذ خطوات عملية تؤدى إلى تقليل متواصل ومؤثر للسكان الفلسطينيين بالمناطق المحتلة)، انغلقوا على أنفسهم أكثر وأكثر داخل مساحة من الأرض خارج حدود الدولة فى محاولة لبناء طائفة متدينة خاصة بهم، تتم إدارة شئونها طبقا لأحكام الشريعة. وهذه العملية أدت إلى خلق مصالح خاصة «لجوش» بمعنى: ليس فقط «روتينية التحول»، بل الحفاظ على أسلوب الحياة، السكن، البيئة، الملكية والعمل من أجل المجتمع الذى وجد فى المستوطنات. أن الأمل فى أن تفرض أرض إسرائيل قيمها على كامل سكانها اليهود فى دولة إسرائيل، بدا كأمل كاذب، لأنه كان بمثابة تهديد أكثر منه ضمانا وأمنا بالنسبة لغالبية سكان الدولة.

(ز) فى منافسة مستترة لـ «جوش ايمونيم» أخذت تبلور بسرعة حركة قومية شعبية، يمكن اعتبارها فوق صهيونية. وهى شعبية لأنها ترعرعت من القاعدة ولم تمر بتصوير أيديولوجى تنظمى للنخبة. كما أن الحدود بينها وبين الصهيونية مشوشة. وهى فوق صهيونية نظرا لأنها لا تبالى إطلاقا بالأهداف السياسية المعقدة للصهيونية، وأساسها دينى تراثى مشابه لمثيله فى جوش ايمونيم. وقد ارتبطت هذه الحركة القومية بظاهرة جديدة أخرى، وهى ظهور قومية (أو شوفينية) يهودية حريدية مناهضة للصهيونية من الأساس. وقد عبرت هذه القومية عن نفسها فى بعدين مرتبطين ببعضهما:

(أ) مصدر الاعتراف واقعيا بوجود دولة يهودية فى أعقاب الحشد السكانى والمكانى الضخم لليهود فى مداخل «أرض إسرائيل» وخلق وسائل الدولة المؤهلة لذلك (جيش، شرطة، روتين العمل، وموارد)، وهذه الدولة قد ارتكبت أثما من الأساس، لأنها لا تدار طبقا لفتاوى وأحكام الشريعة (الهالاخا) ولأنها تشجع توجهات العلمنة الدنيوية. كما أنها لم تولد حسب الطريقة السماوية للخلاص. ولكن على اعتبار أنها موجودة، فإن لها نصيب من القداسة واحتمال أن يأتى الآوان ليحولها سكانها اليهود إلى دولة شريعة تامة.

(ب) من خلال الصراع مع «الصهيونية الدينية» من مدرسة الحاخام كوك وحلقات الصراع المتعلق بالأرض بين اليهود والعرب، ازدادت حدة توتر مشكلة «قداسة أرض إسرائيل». إذ هناك خاحامات كبار فى التوراة، يقيمون فى الولايات المتحدة وفى إسرائيل أيضا. مثل زلمان شنيرسون، يوال

تيا تليوم، أهرون سولوفياشك أو الحاخام اليعازر مناحم شخ، رغم عدائهم للثيولوجيا (الاساطير الدينية)، فإنهم متحدون فى «رأى التوراة» بعدم التنازل عن أى جزء من الأرض المقدسة لصالح سيطرة الأغيار (الجوييم) أو الغرباء عموما والمسلمين خاصة.

ورغم ذلك، عندما ندرس مواقف السكان اليهود بالنسبة لقضايا الايمان والدين والتصورات الاساسية، كما فعل غير مرة معهد جوتمان للأبحاث الاجتماعية التطبيقية، نكشف بالفعل عن صورة مجتمع تقليدى دينى، لكنه فى وقت ما أيضا صهيونى ذى توجه متداخل من ذلك مثلا تصنيف عينة السكان محل البحث على النحو التالى: ٢٪ حريديم غير صهيونيين، ٣٪ حريديم صهيونيين، ٩٪ دينيين قوميين، ٣٦٪ تقليديين، ٤٪ محافظين أو اصلاحيين، ٤٥٪ لا ينتمون لأى تيار دينى. هناك ٩٠٪ من سكان إسرائيل اليهود يعتبرون أنفسهم صهيونيين، و٩٤٪ فخورون لكونهم يهود. ويعتقد ٧٥٪ أن ولادتهم كيهود أثرت كثيرا على مشاعرهم كجزء من الشعب اليهودى، و٧٢٪ يبدون تأثرا مشابها بالنسبة للتاريخ اليهودى، و٨٤٪ مثلهم بالنسبة لتاريخ الاستيطان اليهودى فى البلاد. و٩٥٪ ينسبون شعور انتمائهم للشعب اليهودى إلى إعلان دولة إسرائيل. بينما ينسب ٩٤٪ شعورهم كجزء من الشعب اليهودى لمجرد وجودهم فى إسرائيل.

وبالنسبة لتنفيذ الأوامر: ٦٩٪ يعترفون بالحفاظ على استقامة صارمة فى المنزل و ٦٠٪ خارج المنزل، و ٦٨٪ منهم يرون الاستقامة مبدأ توجيهيا هاما فى حياتهم، ٤٨٪ لديهم فى البيت أدوات مستقلة لأكل اللحم واللبن، و ٢٦٪ يعلنون أنهم لا يسافرون إطلاقا يوم السبت، ٤٢٪ يمتنعون عن أى عمل فيه، و ٢٢٪ لا يستخدمون أجهزة كهربائية يوم السبت، ٧١٪ يصومون دوما فى عيد الغفران (يوم كيبور)، ٨٪ يؤدون صلاتهم يوميا فى المعبد (الكنيس)، ولكن ١٩٪ فقط قلما يتحركون من هناك، ١٤٪ يؤدون صلاة الشكر ويحتفلون فى عيد الاستقلال، وهم الذين يحولون يوم الاستقلال إلى مغزى دينى، ١٩٪ يصلون فجرا فى الكنيس أو فى بيوتهم، ٧٨٪ يشاركون فى الاحتفال التقليدى بعيد الفصح و ٦٨٪ يمتنعون تماما عن أكل أى طعام مختمر فى الفصح. هناك ٢٪ فقط من السكان اليهود كافة لا يضعون عضادة الباب (تعويذة) على مدخل منزلهم (٧٢٪ يثبتون التعويذة على كل باب فى البيت!)، ٨٣٪ يعتقدون أو يأملون أن التعويذة ستحمى منزلهم (لا يذكر تحميه من ماذا أو من)، ٢٠٪ يحرصون أو يحرصن على أسلوب محدد فى تغطية الرأس (٧٣٪ لا يضعون على رؤوسهم أى شئ)، ١١٪ يذهبون أحيانا للصلاة بالقرب من حائط المبكى. ومثل هذه النسبة تسافر إلى مقابر الاولياء والصديقين، وأخيرا ٢٠٪ يتلقون بانتظام أو فى أحيان متقاربة دروس الشريعة.

وماذا أيضا يؤمن به مواطنى إسرائيل اليهود؟ من ذلك، الايمان الراسخ لدى ٥٥٪ من سكان إسرائيل اليهود أن التوراة منحت لموسى فى جبل سيناء. ١٤٪ فقط يرفضون تماما فكرة «منح التوراة» كواقع تاريخى، ٦٨٪ يؤمنون بأن الشعب اليهودى «شعب مختار»، ٢٠٪ فقط يكفرون بذلك

تماما، ٥٤٪ يؤمنون بوجود «العالم الآخر»، ٥٨٪ يؤمنون بوجود «عناية إلهية شخصية»، ويؤمن ٧٥٪ بالشواب والعقاب، أما احتمال مجيء المسيح أو المخلص فأكيد لدى ٣٩٪ من السكان اليهود بالدولة (لكنهم لم يسألوا عن موعد قدومه)، بينما يتشكك ١٤٪ في ذلك، و٣٢٪ فقط يرفضون تماما نفس فكرة المسيح. وفي هذا السياق يسترعى الانتباه بوجه خاص الفارق الكبير والثابت بين «مؤمنين تماما»، وبين غير المؤمنين بالمرّة - بشئ ما. ويعيدا عن الايمان وما يرتبط به من افكار وأيضا سلوك معين ما أو آخر (وجود أوامر) هناك فارق شاسع بين الموقفين المتباعدين للمؤمنين تماما، والكافرين تماما. وفي كلا الطرفين توجد نواة أيديولوجية قوية، تتراوح نسبتها حول ١٦٪ مؤمنين بالدين وأحكامه وأوامره ونظراته الدينية، ومن الجانب الآخر ما يقرب من ١٥٪ ممن يمكن اعتبارهم «علمانيين تماما» في معتقداتهم، أو ملحدين. وداخل هذا المدى الفارق هناك انتقائية ودرجات مختلفة للايمان والاستجابة للأوامر، وهنا قد تكون هناك مساحة تلاقي بين الدين الشعبي وبين القومية الشعبية، عندما تكون أوامر الدين ومعتقداته جزءا من الايمان والأوامر المفروضة على المرء كإبن قومية يهودية.

(ح) «هناك أناس يعتبرون أن هناك تطابقا بين قيم الديمقراطية واليهودية. وبالنسبة لآخرين، وأنا منهم» - وكما يحدد بشجاعة وإخلاص جديرين بالاشادة المفكر والعالم السياسي شارلز ليفمان في مقال له عام ١٩٨٧ - «الاثنا موجودان، على مستوى معين، في حالة من عدم الانسجام». غير أن ليفمان يتمادى إلى أبعد من ذلك في رأيه، نظرا لأن قيم اليهودية في الدولة حسب ما يرى، هي الفخ الاساسي وربما الوحيد، وبناء على ذلك فالشرط الحاسم لوجود الدولة، قد يكون في أن وجود الديمقراطية مرتبطاً قبل أي شئ بوجود قيم اليهودية في الدولة. وفي رأى ليفمان أن الديمقراطية الإسرائيلية يمكن أن تواصل وتبقى، فقط إذا كان هناك اتفاق حول وجود اهداف وغايات مشتركة للمجتمع، والتي تعلو على قواعد اللعبة، مثلاً كتلك التي تضمن حقوق الفرد. وفي رأى ليفمان علينا أن نتعلم العيش والعمل في اطار وجود منظومات من القيم لا اتساق أو انسجام بينهما. ويرى ليفمان أن هناك خطرين على الدولة - خطر في علمانية متطرفة وخطر في تدين متطرف. وفي هذا السياق لا يرى شلوميه ديشن (وهو أيضا مفكر ديني اشكنازي) لا يرى في صيغة اليهودية الدينية الشرقية الصيغة المتسامحة والاكثر انفتاحا لليهودية، لأنه على ضوء ما توصلت إليه ابحاث واستطلاعات فيان الشرقيين يظهرون ميولا أقل إلى التسامح في غالبية مجالات الحياة العامة.

ولا يستطيع ليفمان ان يحدد بدقة كيف ومتى يمكن تحقيق مصالحة بين الديمقراطية الليبرالية وبين اليهودية، لكنه يحدد الجماعات المتطرفة في نظره، والتي تمثل عائقا أمام تعايش جزئي بين الديمقراطية واليهودية ويعدها على النحو الآتي: حركات كاهانا، لفينجر (وجزء من المستوطنين المتدينين في المناطق المحتلة)، وكذلك اقسام كبيرة من داخل «اجودات إسرائيل» و«حركة السفارديم حراس التقاليد» (شاس). هذه الجماعات تتوق إلى تشكيل تيار جماعي

يهودي دون أي نهج أو برامج ديمقراطية ليبرالية. هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى المقابلة تقف الحركات العلمانية المتطرفة ومثال ذلك حركة حقوق المواطن التي لا مانع لديها من التنازل عن أي مضمون يهودي للجماعة، ولا يعنيه إلا أن يسود نظام حكم ديمقراطي ليبرالي (علماني). وتشير الابحاث والاستطلاعات الاجتماعية بصفة عامة إلى أن هذا هو الشعور العام فعلا بين يهود إسرائيل. ولا يدخل في حسابان ليفمان أي تعرض لحقوق الاقليات غير اليهودية.

في عام ١٩٨٦، تقصت مينا تسميت وروت تسين، بدعوة من مؤسسة فن لبر بالقدس، مواقف الشباب من قيم الديمقراطية. ووجدت تسميت وتسين أن الثلث منهم كانت مواقفهم ديمقراطية متسقة منطقيا، وحوالي الربع اتخذوا مواقف مناهضة للديموقراطية وأيضا منطقية، والـ ٤٠٪ الباقون كانت مواقفهم ديمقراطية في موضوعات معينة ومناهضة للديموقراطية في قضايا أخرى. وتباينت الصورة العامة من موضع إلى آخر على النحو التالي، ٥٢٪ من الشباب محل البحث ايدوا تقليص حرية الاضراب (١١٪ ايدوا زيادة هذه الحرية)، ١٢٪ ايدوا تقليص استقلال المحاكم (لكن ٢٨٪ ايدوا زيادة انفصالهم عن الدولة)، ٤١٪ ايدوا تقليص حقوق تلاميذ الشيفوت - المدارس الدينية. (١٦٪ ايدوا توسيع هذه الحقوق)، ٣٦٪ كانوا ضد السماح بحرية التعبير للمتدينين المطالبين بحظر حركة المواصلات يوم السبت بقانون (لكن ٦٠٪ ايدوا منح هذا الحق)، ١٦٪ ايدوا فكرة تقليص الديمقراطية حتى تتمكن حقوق الطوائف المختلفة من الظهور (٣٠٪ للطائفة المغربية، ٢١٪ للطائفة العراقية و ١٤٪ للطائفة الرومانية).

وازدادات الصورة حدة عندما وصلنا إلى التسامح تجاه اقلية غير يهودية التي تعد ورقة فاصلة لأي ديمقراطية ليبرالية: فقد ايد ٤٧٪ تقليص حقوق عرب إسرائيل، ٤٢٪ ايدوا تقليص حقوق أيا من كان غير يهودي، و ٦٠٪ اعتقدوا أن عرب إسرائيل بصفة عامة لا يستحقون المساواة في الحقوق الكاملة. ٤٦٪ اعتقدوا أنه لا يجب الانتقاص من حرية الانتظام في جماعات تدعو لضرب مواطني عرب إسرائيل والاضرار بهم، ٣٦٪ ايدوا نشاطات منظمة خاصة تستهدف «الانتقام من العرب مقابل أي عمل تخريبي ضد اليهود». و ٩٪ مستعدون للانضمام للعمل في هذه الجماعات. الجدير بالذكر أنه كلما ارتفعت سن الشباب محل البحث، وبين علمانيين أكثر منه وسط دينيين، بين اشكناز أكثر منه بين سفارديم، في البنات أكثر منه في البنين ووسط تلاميذ المدارس النظرية أكثر منه بين تلاميذ آخرين - كان الميل أكثر إلى مواقف ديمقراطية متحققا بصورة أكبر.

إن الوضع المطلوب، في رأى ليفمان - «تركيبة» بين مواقف ليبرالية ديمقراطية ودينية يهودية - هو الوضع القائم بالفعل. غير أن هذه الخلطة ليست موجودة في «تحالف بين جماعات معتدلة»، كما يقترح ليفمان، بل بين الاشخاص انفسهم. وعلى فكرة، مثل هذه الخلطة من التسامح والكرهية تجاه جماعات أخرى، والاستعداد لتقليص حقوقهم وحررياتهم، موجودة في بقية الثقافات الغربية التي توصف بأنها ديمقراطية ليبرالية.

صورة العبري في الأدب العبري

دراسة «٢»

يهود بن عيزر - من كتاب "في وطن الحنين المتناقض: صورة العبري في القصة العبرية - دار نشر زموراه - بيتان - ١٩٩٢.

١- الأساطير الخمسة الأولى :

قد يكون الأديب العبري والمفكر الصهيوني احاد هعام «١٨٥٦ - ١٩٢٧» أول من تكهن بذلك الإحساس بالمرارة الذي سيراود الفلسطينيين إثر التفاتهم بالمستوطنين اليهود . وقد أعرب احاد هعام عن نبوءته هذه في مقال "حقيقة من فلسطين" الذي نشره عام ١٨٩١ . ولم يقدم احاد هعام على إعداد هذا المقال إلا بعد تلك الزيارة التي قام بها إلى فلسطين في ذات العام ، والتي تجول خلالها في فلسطين . وقد كتب هذا المقال على ظهر السفينة التي أقلته إلى أوديسا . وتكمن أهمية هذا المقال في أنه يعبر عن تحرره من الأوهام التي راودته بشأن الاستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين . وقد تضمن هذا المقال انتقادات لاذعة للأوضاع الزراعية في فلسطين ، ولسياسات البارون روتشيلد ، وتدني الأوضاع التعليمية في المستوطنات اليهودية . ويتضمن المقال أيضا عدة رؤى بالغة الحدة بشأن القضية العربية ، فجاء بمقاله : "لقد اعتدنا في الخارج أن نتصور أن العرب ليسوا سوى جماعة من البدو ، وأنهم لا يفهمون ولا يدركون ما يحدث حولهم ، غير أن هذا التصور لا يعدو عن كونه خطأ فادحا . إن العربي مثل سائر الساميين فهو حاد الذكاء ، فضلا عن أنه يتسم بالدهاء . إن المدن السورية والفلسطينية تكتظ بالتجار العرب الذين يعرفون كيفية استغلال السكان والتحايل عليهم حتى يتحقق لهم ما يريدون ، أي مثلما يحدث في أوروبا . إن العرب وخاصة سكان المدن يتفهمون ما نقوم به ، بل وما نبتغيه ، غير أنهم يتظاهرون بأنهم لا يعرفون شيئا خاصة أنهم لا يرون فيما نفعله حاليا أي شيء يهددهم . إنهم يحاولون استغلالنا ، والاستفادة بأقصى قدر ممكن من النزلاء الجدد في فلسطين ، إنهم يسخرون منا . إن المزارعين العرب سعداء بوجود

المستعمرات العبرية في أراضيهم لأنهم يتكسبون منها ويزدادون ثراء عاما تلو الآخر ، كما أن أصحاب الأراضي سعداء بوجودنا خاصة أننا نشترى منهم الأراضي الرملية بأثمان باهظة لم يحلموا بها . ومع هذا فإذا تطورت الحياة اليهودية في فلسطين وعلى نحو يسمح لنا بطرد سكانها فلن يتخلى هؤلاء السكان عن أراضيهم بسهولة ."

ونجد صدى لهذه النبوءة الكثيرة في مقال "القضية الغائبة" الذي نشره "إسحاق ابشتاين" «١٨٦٢ - ١٩٤٣» في مجلة "هشيلواح" في عام ١٩٠٧ ، ذلك المقال الذي تناول القضية القومية التي سيواجهها اليهود والعرب في فلسطين . وقد أقدم ابشتاين الذي كان باحثا في اللغة العبرية على كتابة هذا المقال عقب إقامته في إسرائيل خلال أعوام ١٨٨٦ - ١٩٠٢ ، تلك الفترة التي عمل فيها مدرسا في منطقتي "مطوله" و"روش بيناه" الواقعتين في الجليل الأعلى . وكان ابشتاين قد كتب هذا المقال إثر تلك النزاعات الحادة التي تفجرت بعد أن قام بعض اليهود بشراء بعض الأراضي الواقعة في منطقة "مطوله" من الدروز . وقد أثارت هذه النزاعات في حينها جدلا واسع النطاق بل وأصبحت علامة فارقة في تاريخ التعامل مع القضية العربية خاصة في شقها الزراعي ، فذكر ابشتاين :

"يجب ألا نغض أعيننا عما سنراه عما قريب . وقد يمكننا حاليا القول أنه لا توجد في فلسطين حركة قومية بمعناها المتعارف عليه قوميا وسياسيا غير أن هذا الشعب القاطن هنا ليس في حاجة إلى هذه الحركة فإنه شعب شديد البأس والقوة . إن هذا الشعب ليس في حاجة إلى حركة إحياء لأن وجوده لم يتوقف قط . ويتعين علينا ألا نوقظ هذا الأسد النائم ، وألا نظمّن لذلك الرماد الذي يغطي الجمر ، فإن انفلات شرارة واحدة كفيلا بإشعال نيران لن يصبح من الممكن إخمادها ."

في المقابل نجد نهجا آخر مغرقا في التفاؤل في رواية "الأرض القديمة الجديدة" التي أصدرها تيودور هرتزل باللغة الألمانية في عام ١٩٠٢. وبالرغم من أن هذه الرواية لا تنتمي إلى الأدب العبري إلا أنه يمكننا أن نستدل منها على مكونات رؤية هرتزل للقضية العربية. ومن المعروف أن هرتزل لم يقيم بزيارة فلسطين إلا مرة واحدة في عام ١٨٩٨، وكانت هذه الزيارة عقب زيارة القيصر الألماني ويليام الثاني. وقد تركت الحالة التي كانت عليها فلسطين في ذلك الحين وخاصة القدس أسوأ الأثر في نفسه، ومن هنا كان وصفها على نحو درامي في روايته التي تدور أحداثها في عام ١٩٠٢، غير أن ثمة نزعة مثالية طغت على معظم أحداث الرواية فيظهر هرتزل في روايته أن فلسطين عاشت في مرحلة لاحقة في حالة من الرقي الاقتصادي، تلك الحالة التي كانت نتيجة لقوة المهاجرين اليهود الاقتصادية والثقافية الذين أسسوا بها مجتمعا تعاونيا ضم في صفوفه العرب واليهود.

وقد آمن هرتزل أن النهضة الاقتصادية ستغير وجه المجتمع العربي، ومن ثم فلن تتفجر بهذا المجتمع القضية القومية، وأن العرب سيرحبون ببيع أراضيهم لصالح المجتمع التعاوني الجديد خاصة أنهم سيكونون أعضاء متساوين في الحقوق، بل وسيعترفون بأن اليهود لعبوا دورا أساسيا في الارتقاء بحياتهم.

وقد مثلت شخصية "رشيد بيه" الطرف العربي في هذه الرواية، وقدمه هرتزل في صورة الشخصية التي تنتمي إلى أسرة عربية حققت مكاسب طائلة من الاستيطان اليهودي، فذكر هرتزل على لسان هذه الشخصية وفي إطار إجابتها على سؤال وجه إليها عن مصير الفلاحين الذين لم يكن لديهم أية أراضي يمكنهم بيعها للمجتمع التعاوني: "لاشك أن مثل هؤلاء استفادوا من الوضع الجديد خاصة أنهم استفادوا من فرص العمل، والرزق. ولم يكن هناك ما هو أسوأ من مشاهدة منظر القرية الفلسطينية في نهايات القرن التاسع عشر. لقد كان الفلاحون يعيشون آنذاك في بيوت شديدة الفقر بل إنها لم تكن صالحة للبهائم. كما كان الأطفال عرايا، وكانت تعوزهم الخدمات الأساسية وكانوا يعيشون كالبهائم والحيوانات. أما الآن فقد تغير كل شيء فتم تخفيف المستنقعات بعد أن زرعت تلك الأشجار التي أسهمت في تحسين نوعية التربة، وبعد أن تم استخدام العمال المحليين الذين سدد المستوطنون لهم أجورا مناسبة". وحينما شاهد رشيد بيه خلال تجواله مع ضيوفه بالقرية مسجدا صغيرا في الأفق ذكر: "إن هؤلاء المساكين أصبحوا أكثر سعادة. إن أطفالهم أصبحوا، ويتعلمون. ولم يمس أحد بسوء ديانتهم وعاداتهم القديمة. إنهم مستفيدون من الوضع الجديد".

ويوضح ما جاء في الرواية أن رؤية هرتزل "المثالية" صورت له أنه من الممكن الاكتفاء بالارتقاء بأوضاع القرية العربية، وتجنب المساس بمعتقداتهم الدينية وعاداتهم. وفي المقابل فلم يكن لديه أي تصور بشأن القضية القومية خاصة أن رؤيته كانت قاصرة على أن الهجرة اليهودية ستحقق الرقي الاقتصادي.

ونجد رؤية مثالية من نوع آخر في مقال "القضية العربية" الذي نشره الأديب والحاخام بنيامين فيلدمان ١٨٨٠ - ١٩٥٧

في عام ١٩٠٧ في مجلة "همعورير" (الموقف) التي كان يصدرها في لندن الأديب اليهودي برنر. وكان هذا الحاخام عضوا نشطا لفترة طويلة في منظمة "بريت شالوم" (حلف السلام) وفي عدد من المنظمات التي تشكلت في فلسطين والتي كان الغرض منها تحقيق التقارب اليهودي العربي. وكان هذا الحاخام قد كتب هذا المقال قبل هجرته إلى فلسطين، وركز فيه على ضرورة أن يسيطر البعد الخاص بالفكر السامي على العلاقات العربية اليهودية. وتمثلت رؤيته في أنه من الضروري أن يحرص اليهود على ألا يثيروا القضية القومية، وأن يركزوا جهودهم على الزراعة، واستصلاح الأراضي وتوفير المزيد من فرص العمل التي من شأنها أن توفر للمستوطنين اليهود فرصة العيش دون استغلال العرب.

ولم يكن الأصل السامي المشترك بالأسطورة الوحيدة التي اتسم بها الأدب العبري المدون في فلسطين في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وتعد هذه الأساطير على قدر كبير من الأهمية إذ إنها تساعدنا على تفهم ملامح البطل الجديد في الأدب العبري وعلاقته بجيرانه من العرب. وقد ولد التقاء المهاجرين اليهود الذين قدموا في إطار الهجرتين الأولى والثانية وأدباء هاتين المرحلتين بالشرق وبالعرب المقيمين في فلسطين عدة أساطير يمكننا إجمالها على النحو التالي:

لقد تمثلت الأسطورة الأولى في الأصل السامي المشترك للشعبين، وتقارب اللغات السامية. ومن الوارد أن هذا التقارب لم يكن بمثابة الأمر الجديد بالنسبة لليهود المغرب العربي والشرق الأوسط أو لليهود اليمن، غير أنه كان يعد "فتحا" لليهود شرق أوروبا المقيمين في فلسطين، ومن هنا فقد كان إدراكهم لتقارب اللغتين العربية والعبرية بوصفهما لغتين ساميتين بمثابة اكتشاف أحيط بقدر كبير من الرومانسية.

وتمثلت الأسطورة الثانية في ذلك الإعجاب بالمشهد الصحراوي في الشرق. ونجد صدى لذلك الإعجاب في رواية "لئان (إلى أين) للأديب "بايربرج" الذي لم يقدر له المجيء إلى فلسطين، ومع هذا فقد عبرت دعوته بالهجرة إلى الشرق عن تطلعه لبناء عالم جديد في الشرق، ورغبته في بناء عالم منافي لذلك العالم الغربي الأوروبي المتعفن. ورأى هذا الأديب أن الصحراء تمثل العالم النقي الذي يمكن للمرء أن يشيد بها عالما جديدا.

وتمثلت الأسطورة الثالثة في الإحساس بضرورة إعادة يهود فلسطين إلى أصلهم العربي القديم. ومن المعروف أنه كان يعيش في فلسطين منذ عصور بالغة القدم بعض اليهود، وكان بعضهم يقيم في منطقة دير القمر في لبنان. وقد أحس الرومانسيون الأوائل بأنه ليس من الوارد أن يكون سكان فلسطين إخواننا وأنهم من نسل العبرانيين أو أنه ليس من الوارد أن يكونوا من قدامى اليهود. وأحسوا بالتالي بأنه من الممكن أن نشيد معهم ثقافة عبرية جديدة.

وتمثلت الأسطورة الرابعة في الإحساس بأن صورة العربي المحافظة تمثل إن لم تكن تجسد صورة العبري القديم الواردة في أسفار العهد القديم. وقد قدم الفنان "ناحوم جوتمان" أبطال تلك الأساطير التوراتية التي كان قد جمعها الشاعر

اليهودي ببياليك في صورة شخص عربي تتسم بالقوة والبدانة ، تلك الشخص التي رآها في صباه في يافا . ونجد الكثير من هذه النماذج في أدب هذه الفترة . ونظرا لأن أدباء هذه الفترة درسوا في صباهم قصص التلمود والعهد القديم فلم يجدوا صعوبة في تلمس آثار أبطال هذه القصص في الفلاحين المشتغلين بالزراعة وفي البدو المشتغلين بالرعي . وأحسن هؤلاء أن الوضع الذي ساد في هذه الأرض منذ العهد القديم وحتى الربع الأول من القرن العشرين لم تطرأ عليه الكثير من التغيرات .

أما الأسطورة الخامسة فتتعلق بقصة يهود خيبر ، تلك القصة التي ظهرت مع مجيئ هجرة يهود اليمن إلى إسرائيل ، ومع ظهور مرحلة الهجرة اليهودية الثانية إلى فلسطين . وتكمن أهمية هذه الهجرة في أن "شموئيل يفتالي" الذي كان أحد قادتها ارتحل في عام ١٩١١ إلى اليمن ليشرح سكانها اليهود على الهجرة إلى إسرائيل . وقد استقر هؤلاء المهاجرون مع مجيئهم إلى إسرائيل في أحياء "ريشون لتسيون" و "رحوفوت" و "بتاح تيكفا" . وكان من بين التساؤلات التي شغلت أذهان شباب الهجرة الثانية وأدبائها أن هجرة يهود اليمن إلى إسرائيل توحى بإمكانية وجود بعض القبائل البدوية اليهودية .

وبعد كل من الحاخام "زئيف يعبتس" (١٨٤٧ - ١٩٢٤) ويهوشع ايزنشتادت (١٨٥٥ - ١٩١٥) من أوائل الأدباء الذين تطرقوا في أعمالهم إلى حياة الاستيطان العبري الحديث في فلسطين . وكان يعبتس قد هاجر إلى فلسطين في عام ١٨٨٧ واستقر بها حتى عام ١٨٩٧ . وأقام طيلة هذه الفترة في قرية "يهود" الواقعة بالقرب من مستوطنة "بتاح تكفا" التي كانت قد تأسست في عام ١٨٧٨ . ووصف يعبتس في قصصه طبيعة الحياة في المستوطنات . وبالرغم من أن يعبتس "أقام في فلسطين في ظل الفترة التي كانت تخضع فيها للسلطة التركية والتي كانت تعاني فيها من تدهور الأوضاع الصحية ، وتفشي الأمراض وخاصة مرض الحمى الذي تفشى نظرا لانتشار المستنقعات بفلسطين آنذاك ، فقد وصف "يعبتس" فلسطين في صورة توحى بأنها أشبه بجنت عدن .

وأشارت الباحثة "جاليا بردني" التي تعد من أولى الباحثات المتخصصة في الأدب العبري في فلسطين في كتاب "سلة العنب" الذي صدر في عام ١٩٦٧ والذي يضم مختارات من القصص العبرية التي دونت في مرحلة الهجرة الأولى إلى أن أدباء تلك الفترة صوروا ما كانوا يبتغون أكثر من تصويرهم لما هو قائم فذكرت في مقدمة الكتاب "لم يكن هناك في الحقيقة أي تشابه بين صورة إسرائيل الواردة في تلك الأساطير وبين الواقع المادي المقفر الذي كان يحتر فيه الفلاحون أراضيهم الجرداء والتي كان البدو يرعون فيها قطعانهم الهزيلة على الهضاب ، والتي كان الشيوخ يقسمون فيها نفوذهم . لقد كانت صورة فلسطين في الأساطير أشبه بأرض الأحلام فقد كانت هذه الأرض مركزا لحنين الشعب الفقير "سليب الأرض" ، وكان اليهود يحنون آنذاك إلى ماضيهم الرومانسي الجميل ، وتحقيق أحلامهم . ومع هذا فقد كانت صورة أرض فلسطين التي أحاطتها هالة من القداسة

راسخة في الذهن اليهودي ومن هنا فبالرغم من أن سكانها كانوا يدركون حقيقة تردى الأوضاع بها إلا أنهم كانوا يحرصون على أن يقدمونها في صورة تتلشى بها الحدود الفاصلة بين الخيال والواقع .

أما قصة "رأس السنة للأشجار" التي ألفها الأديب "يعبتس" والتي نشرت في عام ١٨٩٢ أي بعد مضي عام على ظهور مقال "حقيقة من أرض فلسطين" الذي كان قد وضعه احاد هعام فإنها تصف أحوال شاب يهودي في فلسطين كان قد انتقل من مستوطنة "بتاح تكفا" إلى قرية "يهود" . ووفقا للأوصاف الواردة في القصة فقد كان هذا الشاب المرتدي عباة يمتطي فرسا ويحمل مسدسا . وكان هذا الشاب عليما بأحوال فلسطين رغم أنه لم يولد بها . ويكاد يكون من المؤكد أن المؤلف كان يقصد بهذه الشخصية "افراهام شابيرو" الذي كان يعمل حارسا لمستوطنة بتاح تكفا .

وكان التشبه بالعرب لدى "يعبتس" يعد مقياسا أو دليلا على معرفة المرء بأحوال فلسطين ، فجاء بقصته "إن الشباب الذي نشأ منذ طفولته في أرض فلسطين يختلف عن الشباب اليهودي الذي نشأ في الشتات . لقد أتى هذا الفتى حينما كان يبلغ من العمر السادسة أو الثامنة مع والده الذي استقر في بتاح تكفا ، وواجه مثل سائر المستوطنين الأوائل كافة المشكلات وما أحاط بها من آلام ، وعلم كل الشباب حتى العرب منهم كيف يمكنهم تحمل البرد والثلوج ، والمطر ، وكيف يمكنهم التعود على الطريقة التي عاش بها آباؤنا في هذه الأرض التي رأوا أنها تعد من أجمل الأشياء ، والذين لم يتسرب إليهم الإحساس بالوهن . وليسد شباب أرض الآباء الساعد ، وليكونوا نموذجا يحتذى به لإخوانهم الخانعين . إن اليهود لم تنتصب قامتهم منذ أن تعرضوا للسبى . وأعتقد أن أولى شروط الاستيطان تتمثل في تربية الأبناء ليكونوا شجعانا وأقويا ."

وحينما كان يتم تشبيه الشباب اليهودي المقيم في فلسطين بالعرب أو بأباء اليهود الذين عاشوا في ظل الفترة التوراتية فقد كانت هذه التشبيهات تنطوي على دعوة المرء لأن يكون شجاعا ، وفعالا وأن يأخذ مصيره بيده . وقد شهدت هذه الفترة زيادة ملحوظة في مثل هذه النوعية من القصص ، وكانت هذه القصص تنطوي أيضا على انطباعات اليهود الذين قاموا بزيارة فلسطين والذين كانوا يكتبون سواء بالعبرية أو باليديش (تعد لغة اليديش خليطا بين العبرية والألمانية ، وكانت هذه اللغة شائعة في أوساط يهود أوروبا مترجم) . وكانت أعمالهم تنشر في المجلات اليهودية التي كانت تصدر آنذاك في شرق أوروبا التي كانت لا تزال مركزا يهوديا .

وقد انتقد البروفيسور والمؤرخ اليهودي يوسف كلاوزنير الذي كان يتولى تحرير مجلة "هشيلواح" في أوديسا هذه النزعة بل وحذر من خطورة الاندماج في المجتمع العربي ، وذكر على نحو لا يخلو من السخرية "إذا حدث مثل هذا الأمر في فلسطين فمن الأفضل أن نبقي في الشتات وأن ندمج مع الأغيار" .

وكان من بين مظاهر هذه الفترة أنه قد شاع الإحساس بأن

تحقيق الصهيونية يعد انتقالاً من حالة السلبية إلى حالة الإيجابية ، وأن الاستيطان في فلسطين يعد إحدى مظاهر هذا التحقق . وتم التعبير عن حالة الفعالية هذه في الصراع المسلح ، وفي الدفاع على نحو مستمر عن الاستيطان العبري . وتمثل صورة الحارس المقاتل بدايات العسكرية الإسرائيلية . ومن هنا فقد ظهرت في الأدب فكرة المواجهة مع العرب ومفاهيم البطولة والسلاح والقوة . وقد أصبح الشاب العبري مختلفاً على هذا النحو عن اليهودي المقيم في الشتات . وتمثل وجه الاختلاف في فعاليته . كما أن شخصيته الجديدة أصبحت ترسم على نحو يبرز تشابهه مع العربي ، واضطراره في ذات الحين لمحاربه .

ومثلت إحدى طرق مواجهة الوجود الأصيل لعرب فلسطين في طرح تصور مفاده أن هؤلاء العرب يعدون من نسل قدامى اليهود الذين اضطروا لاعتناق الإسلام والأخذ بالعبادات العربية ، وأنه من الضروري العمل على إعادتهم للديانة اليهودية خاصة أنهم ينتمون إلى ذات الجنس . ونجد صدى لهذا التصور فيما كتبه المعلم "يسرائيل بلكيند" الذي كان أحد قادة حركة "بيلو" الصهيونية في فترة الهجرة الأولى في كتيب "أرض فلسطين المعاصرة" الذي صدر بالروسية . وكان لهذا الكتاب أكبر الأثر على مهاجري هذه الفترة . ونجد صدى لهذه الأسطورة المهمة والمثيرة في قصة "العبء العربي" وفي كثير من قصص هذه الفترة ، كما هو الحال في قصص برنر على سبيل المثال .

وقد اختلطت هذه الفكرة فيما بعد بتبار "الكنعانية" الذي طرحه الشاعر يوناتان رطوش الداعي إلى ضرورة العمل على تخليص العرب من الإسلام ، وتحرير العبرانيين من اليهودية ، والعمل على إقامة دولة علمانية ذات بنية تعددية غير أنه من الضروري أن تقوم ثقافة هذه الدولة على اللغة العبرية . وتعني دعوته أنه من الضروري أن تتشبه هذه الدولة بنموذج الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن تطبق هذا النموذج في الشرق الأوسط ونجد ذات الحين للشخصية العربية بوصفها نموذج يحتذى به في رواية "أيام وليال" التي أصدرها الأديب "ناثان بيستريتسكي - اجمون" في عام ١٩٢٦ أي في فترة الهجرة الثالثة الواقعة بين الحربين العالميتين . وتصف هذه الرواية حياة شاب يهودي ، وجاره العربي الشيخ سعيد الذي طلب منه الشاب اليهودي أن يكون أباً له بدلاً من أبيه اليهودي المقيم في الشتات . ومع تصفح صفحات الرواية نتلمس مدى الإحساس الحاد بخيبة الأمل من أنه ليس بمقدور الشخصية العربية لعب دور الأب وإحساسه بأن هذه الشخصية تعد عدوه الحقيقي . ويتضح من هذه القصة أنه حينما اشتد الصراع بين الحنين الرومانسي للشرق وبين مرارة الواقع فقد كانت الغلبة للجانب القومي المظلم .

ونجد صدى لهذه الأسطورة مرة أخرى في رواية "مر ماني" (السيد ماني) التاريخية التي أصدرها الأديب المعاصر "ب. ب. يهوشع" في عام ١٩٩٠ . وتبرز من خلال صفحات هذه الرواية فكرة أن العرب من نسل العبرانيين الأوائل ، وأنه من الضروري إعادتهم لحظيرة الفكر العبري ، وأن الأخذ بهذه الفكرة يمثل الحل النهائي للصراع القومي القائم بين الشعبين .

وكان من بين الأساطير المميزة لأدب الهجرات اليهودية التي تدفقت على فلسطين قبل قيام الدولة تلك الأسطورة الخاصة بيهود خيبر والتي مفادها أنه كان لليهود وجود في شتى بقاع الصحراء العربية قبل ظهور النبي محمد (ص) ، وأنهم كانوا يعرفون باسم يهود خيبر وأنهم كانوا من المقاتلين ، وكانوا ييشون الرعب في نفوس جيرانهم . وتصور "حمده بن يهودا (١٨٧٣-١٩٥١) في قصة "عمل بني ريكب" بطلها في صورة من يقوم برحلة للالتقاء بيهود خيبر الذين يرد اسمهم في القصة في ثورة "بني ريكب" . "وتمكن هذا البطل من الالتقاء بهم بل وسمع منهم أنهم يرون أنهم السكان الأصليون للمنطقة ، وأن اليهود الذين يهاجرون حالياً إلى فلسطين يعدون خونة لأنهم هجروا وطنهم .

وورد ذكر يهود خيبر أيضاً في قصة "بدون نجم" للأديب يهودا بورلا ، تلك الرواية التي ظهرت في عام ١٩٢٧ . ويصف بورلا في هذه القصة أحد يهود اليمن الذي مسه ضرب من الجنون عقب تعرض أسرته إلى مذبحه في اليمن . وخرج هذا اليهودي إلى الصحراء العربية بحثاً عن إخوانه من يهود خيبر حتى يأخذوا بثأره .

أما رواية "ترحال الحارس عمشي" التي أصدرها الأديب "يعقوف رينوفيتش" (١٨٧٥-١٩٤٨) في عام ١٩٢٩ فإن أحداثها تدور في فترة الهجرة الثانية أي قبل الحرب العالمية الأولى . ويصف الأديب في هذه الرواية كيف قام عمشي برحلة إلى شبه الجزيرة العربية لاكتشاف القبيلة اليهودية البدوية الضائعة ، وإحضار الآلاف من مقاتليها الشجعان إلى فلسطين ، غير أنه لم يتم العثور قط على هذه القبيلة التي لم يتبق منها سوى بعض الأخبار . ويعترف "عمشي" في نهاية الرواية بأنه من الأفضل أن يجلب عشرات الآلاف من شباب اليهود المقيمين في الشتات عن الضياع في الصحراء بحثاً عن هؤلاء اليهود .

ونجد ذكراً لبني خيبر في رواية "تحت الشجرة" للأديب عجنون التي صدرت في عام ١٩٤١ فيذكر أحد المغنين العرب في هذه الرواية أنه مكث مع يهود خيبر ، وأنهم يعدون جزءاً من يهود الصحراء . وأضاف بطل الرواية لقد فتنتم بجمال يهود خيبر الأسطوريين ، وكتبت عنهم رواية "بحثاً عن يهود الصحراء" .

ولم يكن الحديث عن أسطورة يهود خيبر جزءاً من الحنين الرومانسي أو ضرباً من الأحلام فحسب إذ كان شديد الارتباط بالواقع خاصة أن عدد المستوطنين اليهود في ذلك الحين كان محدوداً ، فضلاً عن أن فلسطين كانت تعيش في ذلك الحين تحت حكم تركي فاسد ومتخلف ، كما أن رموز السلطة آنذاك كانت قاصرة على حرس لا يحمل سوى سيف أو مسدس بدائي . وقد كان متوسط السيارات الموجودة في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى يقدر بسيارتين ، ومن هنا فحينما حلم المستوطنون أو فكروا في جلب قبيلة بدوية يهودية إلى فلسطين فقد كانوا يبحثون في حقيقة الأمر عن حل لتأمين وجود اليهود في تلك الفترة .

٢- بين الرومانسية ومرارة الواقع:

يعد موشى سميلانسكي (١٨٧٤-١٩٥٣) من رواد الحركة الرومانسية في تاريخ الأدب العبري بفلسطين ، وكان

سميلانسكي قد هاجر إلى فلسطين في عام ١٨٩١ ، واستقر في البدء مع أسرته في منطقة "حدره" ، واقتنى فيما بعد قطعة أرض في منطقة "رحوفوت" وأقام بها طيلة حياته . وبدأ في نشر قصصه خلال العقد الأول من هذا القرن ، تلك القصص التي تناول فيها حياة العرب ، وكان يوقع عليها باسم "الخواجة موسى" . وقد صدرت مجموعته القصصية الأولى التي كان عنوانها "أبناء العرب" في أوديسا في عام ١٩١١ . ويصف في قصة "لطيفة" التي تعد واحدة من أولى قصصه والتي صدرت في عام ١٩٠٦ علاقة الحب التي نشأت بين الراوي وبين فتاة عربية فاتنة العينين قادها أبوها قسرا إلى شيخ كهل ليتزوجها ، ومن هنا فقد ذبلت وشاخت في غضون عدد قليل من السنوات .

وتعد قصة "لطيفة" من أكثر القصص تعبيرا عن الطريقة التي اتبعها سميلانسكي في الكتابة عن العرب وعن علاقاتهم مع سكان المستوطنات اليهودية ، وتتسم قصصه بسيطرة الطابع الرومانسي عليها غير أنها تتسم بالتحيز فتصور هذه القصص اليهودي في صورة أكثر سموا ورقيا من الناحية الاجتماعية عن الفلاح أو البدوي . أما الجانب الرومانسي المتمثل في الحنين إلى الشرق فيتجلى في الطريقة التي يصف بها الأعمال البطولية التي تحيطها قصص الحب والانتقام ، تلك الأعمال التي تقع في أوساط العائلات والقبائل العربية . وتتشابه هذه القصص إلى حد كبير مع قصة روميو وجوليت . وكثيرا ما تصور هذه القصص التقاليد القبلية على نحو يوحي بأنها أكثر قوة ورسوخا من مكانة الفرد ، ومن ثم فكثيرا ما تكون الغلبة للتقاليد . ولا نجد في هذه القصص أثرا لليهود إذ إنها تصب جل اهتمامها على وصف حياة الفلاحين والبدو .

ونجد صدى لنزعة سميلانسكي الرومانسية في سائر قصصه إذ يصف بها حياة الكثير من المستضعفين في القرية العربية ، والمشكلات التي يواجهها الفلاح العربي والناجمة عن مكائد من يقومون بجمع الضرائب من قبل السلطة التركية الفاسدة الذين اعتادوا سلب الفلاحين من محاصيلهم .

ويمكننا أن نجد نهجا شبيها في رواية "بدون كوكب" للأديب يهودا بورلا التي صدرت في عام ١٩٢٧ ، فتظهر هذه الرواية قدرا كبيرا من التعاطف مع مصير الفرد العربي . وترد هذه الفكرة في إطار قصة حب بين أبناء أسرتين عربيتين متنازعتين . أما خلفية هذه القصة فتتمثل في تلك الحملة العسكرية التي قام بها جمال باشا لاحتلال قناة السويس خلال الحرب العالمية الأولى . ونجد ذات النهج المتعاطف مع العرب في رواية "انتقام الآباء" للأديب إسحاق شامي التي صدرت في عام ١٩٢٨ . ويجب أن ننتبه في هذا المقام إلى أن هذين الأدبيين سالف الذكر كانا من أصول شرقية غير أنهما كانا من مواليد فلسطين .

ولم تسيطر النزعة الرومانسية على إنتاج سميلانسكي الأدبي فحسب إذ اتسم نهجه السياسي أيضا بمحاولة تحقيق التقارب بين الشعبين ولذلك كان نهجه السياسي أقرب ما يكون إلى المثال . ولم يكن سميلانسكي منفصلا عن الواقع إذ عمل مزارعا في منطقة "رحوفوت" كما كان من مسئولية الأمن في المستوطنة ، فضلا عن أنه اشتغل كثيرا في شراء الأراضي من العرب المقيمين في جنوب فلسطين ، وعلاوة على هذا فقد

كان رئيسا لاتحاد المزارعين في إسرائيل . ونرى تخوف سميلانسكي من تفجر النزاع القومي في رواية "هداساه" التي أصدرها في عام ١٩١١ ، فيصف في هذه الرواية حديثا جرى بين العمال اليهود في إحدى المستوطنات عقب وقوع مصادمة مع العرب خلال حرق إحدى الأراضي التي اشتراها اليهود من العرب . فجاء بالرواية : "كما يبدو إننا كعمال عبريين نعمل على إبعاد المزارعين . ولقد أبعدت الممتلكات اليهودية البدو من أراضيهم ، ومن الضروري أن يبعدهم العمل اليهودي من أعمالهم" .

وكان سميلانسكي قد قام خلال عام ١٩١٢ بجولة في لبنان وسوريا ، وأصابته الدهشة من حجم الكراهية التي تعتمل في قلوب سكان البلدين ومعارضة العرب للاستيطان اليهودي في فلسطين . وحينما عاد إلى فلسطين فقد سجل انطباعاته في رواية "في ظل البساتين" التي نشرت بعد هذه الزيارة بسنوات طوال ، غير أنه سجل انطباعاته عن هذه الفترة في مقال "أعمالنا" الذي نشره في عام ١٩١٤ الذي يتضمن أيضا بعض انطباعاته عن الفترة التي لم يكن متواجدا فيها في فلسطين والتي امتدت من عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩١١ . وكان هذا الغياب لأسباب أسرية . وقد جاء بالمقال : "حينما رجعت إلى فلسطين لم أعرفها . إن التغيير الذي طرأ على العرب بعد تلك الثورة التي قادها شباب الأتراك في عام ١٩٠٩ يعد تغيرا جذريا . ولقد تغير العامل العربي في المستوطنة ، كما شمل التغيير البدو الرحل ، كما تغير العرب المقيمون في المدن . لقد أصبح الجميع يفكر على نحو مختلف ، ولقد أصبحت نغمة حديثهم الجديدة تسيطر على تفكير الجميع . لقد أصبحت تتراءى أمامنا قوة جديدة وكأنها نهضت من سبات عميق . إننا نواجه حاليا نهضة عربية لا تشمل الجانب السياسي فقط إذ تشمل أيضا الجانبين الاقتصادي والروحي . لقد كنا نواجه حتى ذلك الحين قوة فوضوية وحشية غير أننا سنضطر حاليا لمواجهة قوة منظمة آخذة في التزايد بل إنها أصبحت تتسم بمزيد من الوعي لكل ما يحدث حولها" .

وشكل هذا الواقع الجديد الخلفية الثقافية لهؤلاء المهاجرين الذين قدموا إلى فلسطين في عام ١٩٠٩ والذين كان "برنر" واحدا من أشهر أدبائها . ولقد كان "يوسف حاييم برنر" (١٨٨١-١٩٢١) واحدا من أدباء اليهود ذائعي الصيت قبل هجرته إلى فلسطين . وعند هجرته فقد حاول أن يخفي هويته فحاول الاشتغال بالأعمال اليدوية في منطقة "حدره" غير أنه منى بالفشل . واهتم برنر منذ مجيئه إلى فلسطين بنشر الأعمال الأدبية وبحركة النشر والترجمة والتدريس . وسيطرت على قصصه ومقالاته نزعة تشاؤمية لا ترضى المهادنة ، فرفض برنر التسليم بأن النشاط الاستيطاني في فلسطين يعد بمثابة قصة نجاح حقيقية ، بل ورفض أن يتبع نهج الآخرين الرومانسي ، مفضلا التأكيد على ضرورة تحقيق المثال الصهيوني ، رافضا الاقتناع بما هو قائم .

ولم تشعر نفس برنر كما هو واضح من مقالاته ومحاضراته وقصصه بالارتياح إزاء الخطاب الصهيوني الإعلامي البلاغي الذي حاول أن يظهر أن التاريخ اليهودي حقق بالفعل الانتقال من مرحلة السلبية إلى مرحلة الفعالية . ويمكننا أن نتلمس بعض آرائه في ذلك الكتاب التذكاري الذي أصدره عجنون

في عام ١٩٦١ احتفالاً بذكرى مضي أربعين عاماً على اغتيال برينر الذي لقي مصرعه على أيدي العرب في إطار تلك الاضطرابات التي شهدتها فلسطين في عام ١٩٢١ ، فجاء بالكتاب :

"كان قد جاء في إحدى مقالات صحيفة "دي فيلت" (العالم) التي كان يصدرها تيودور هرتزل سيطر الآخرون على تاريخنا منذ أن سبينا من أرضنا ، وكانوا يفعلون بنا ما يشاءون ، غير أننا أصبحنا نفعل ما نشاء منذ ظهور الحركة الصهيونية . وحظيت هذه الحركة منذ ظهورها بإعجاب كل الصهاينة . غير أن برينر أتى وقال لقد كان تاريخنا قبل ظهور الحركة الصهيونية مضحكا ، كما أنه مازال مضحكا حتى بعد ظهور هذه الحركة . ويمكننا أن نتفهم منذ الآن مدى الإهانة التي لحقها برينر بهؤلاء الذين رأوا أنهم مشاركون في المشروع الصهيوني ."

ولم تتجاوز رؤية برينر النقدية اللاذعة الواقع اليهودي القائم في فلسطين إذ إنها لم تتطرق إلى شخصية العربي أو إلى القضية العربية ، فلم تكن لبرينر أية أوهام بشأن هذه القضايا فقد انتقد برينر في مقال نشره في عام ١٩١٢ رؤية صديقه الحاخام "بنيامين" المثالية التي وصفها بأنها سلبية ، فجاء بالمقال :

"ليس لهذه الرؤية المثالية للعالم المميزة لأحلام الطفولة أي أساس في غرائز الإنسان ، إن هذه الرؤية تعد رؤية غير أخلاقية . إنها غير أخلاقية لأنها تنبع من عدم استيعاب كل مرارة الواقع .. وكيف يتحدث الحاخام بنيامين عن محبة جيراننا المقيمين في ذات الأرض في الوقت الذي تضمرف فيه النفس الكراهية ، وكيف يمكننا إدخال المثل في هذا المجال .. إنها لن تنجح . إن العلاقة المثالية ليست سوى ضرب من الزيف إذ إن الوضع القائم هنا في فلسطين إن لم تكن تعرف يضم بالإضافة إلى المستوطنين اليهود ما لا يقل عما يتراوح بين ستمائة وسبعمائة ألف عربي . وبالرغم من تدني وانحطاط مستواهم الثقافي فإنهم يعدون في حقيقة الأمر أسياد هذه الأرض . ونعمل حالياً على الإقامة في أوساطهم لأن الضرورة أجبرتنا على هذا الوضع . إن الكراهية تسود فيما بيننا ويجب أن تستمر ، بل وتستورد . إنهم أقوى منا من كافة الوجوه ، وبمقدورهم إبادة غير أن بني إسرائيل قد اعتادوا على أن يعيشوا كضعفاء في أوساط الأقوياء ، ويتعين علينا بالتالي أن نكون مستعدين لتحمل نتائج الكراهية ، وأن نستخدم كافة الوسائل المتوفرة لدينا حتى يمكننا العيش هنا . ألم نعتقد على هذا الوضع ، إن الكراهية تحيط بنا من كل حذب وصوب ، وإننا ممتلئون بالكراهية . ويل للمحيين الضعفاء . ويجب أن نتفهم الحقائق دون أية عواطف أو مثل ."

ويعبر هذا الاستشهاد سالف الذكر الذي يتسم بقدر كبير من القسوة عن رؤية الكاتب لخطورة النزاع القائم بين الغالبية العربية وبين الأقلية اليهودية في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى . ويرى بعض الأدباء والنقاد أن هذا الاستشهاد سالف الذكر يعبر عن حقيقة موقفه تجاه القضية العربية ، ذلك الموقف الذي صاغه برينر فيما بعد في مقال "من مذكرتي" الذي نشره في نهايات شهر إبريل من عام ١٩٢١ أي قبل

اغتياله بقليل في الثاني من شهر مايو من ذات العام . وقد وصف برينر جيرانه العرب بقوله إنهم بولنديو الشرق ، ولم يخف في ذلك المقال ذلك الإحساس بالكراهية الذي يضمرة تجاههم . وعند وصفه لإحدى لقاءاته العابرة بشاب عربي فقد علق على ذلك اللقاء بكلمات مبهمة إذ ذكر : "إنه مجرد يتيم ، ومسؤوليته ملقاة على عاتقي ."

وحينما ظهر الأدب العبري في فلسطين فقد اتسم أدباؤه بتبني رؤية رومانسية مثالية حاملة تجاه العرب ، كما سيطر ذات الموقف على رؤيتهم للطبيعة ، غير أن ثمة نزعة تشاؤمية سيطرت على رؤية برينر للطبيعة الفلسطينية إذ أحس أن هذه الطبيعة غريبة عنه وتضرر له العدا . ومن الملاحظ أن شخصية العربي والطبيعة الفلسطينية تمثلان وحدة واحدة في النتاج الأدبي العبري .

ولم يؤمن برينر بإمكانية سيطرة النزعة الرومانسية على العلاقة القائمة بين العرب واليهود في فلسطين فلم يؤمن بصيغة الرومانسية السياسية التي طرحها الحاخام بنيامين إسحاق ابشتاين أو بصيغة الرومانسية الشعورية التي طرحها بعض الأدباء مثل سميلانسكي في قصة "لطيفة" سالف الذكر ، و"أريئيل أورلوف" في مسرحية "الله كريم" التي نشرت في مجلة "هشيلواح" التي صدرت في عام ١٩١٢ ، هؤلاء الأدباء الذين نزعوا لتصوير علاقات الحب القائمة بين أفراد الشعبين العربي واليهودي .

وقد علق برينر على هذه النزعة الحاملة في مقاله الهام "مكونات وطبيعة الأجناس الأدبية في الأدب العبري في فلسطين" الذي نشره في عام ١٩١١ ، فتطرق في هذا المقال إلى أوجه الاختلاف القائمة بينه وبين الأدباء الذين حاولوا تصوير الواقع على نحو مثالي فرأى برينر أن التصوير المثالي يعتمد على مظاهر خارجية لا تعبر في الحقيقة عن مرارة الواقع . ولم ينبهر برينر كما يبدو بذلك التقارب اللغوي القائم بين اللغتين العربية والعبرية أو بإحساس البعض بأن حياة العرب في فلسطين توجي أنها شديدة القرب من حياة العبرانيين الأوائل . وقد رأى برينر أن هذه العلاقات القائمة مع العرب تعد ضرباً من الشذو .

وتخوف برينر من اندماج اليهود مع العرب ، تلك الظاهرة التي شاهدها في المستوطنات اليهودية التي تأسست في إطار الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين ، والتي اعتمدت على العمال العرب الذين أقام بعضهم مع عائلاتهم في أفنية المستوطنات ، والذين كان معظمهم يأتي يومياً من القرى المجاورة . وقد تجلّى هذا الاندماج على نحو واضح في استخدام المستوطنين اليهود لبعض المفردات العربية ، بل وفي حرصهم على محاكاة طرق التحدث بالعربية . وتجلت هذه الظاهرة لدى بعض الأدباء المعاصرين لبرينر والذين كان من بينهم سميلانسكي الذي كان يحرص على استخدام المفردات العربية رغبة منه في إظهار مدى التقارب اليهودي العربي ، ودرايته العميقة بفلسطين وبطبيعة سكانها ، وفي تفهم نفسية الجيران العرب . وبينما كان أديب مثل سميلانسكي يحرص على التشبه بعادات العرب لإظهار مدى تكيفه مع الواقع الجديد فقد كان برينر يرى أن هذا التشبه يعد ضرباً من الشذو

، بل ودليلاً على عدم تفهم الواقع .
وقد تجلّى موقف برينر تجاه مثل هذه الظواهر في رواية "الغيباء والفشل" التي صدرت في عام ١٩٢٠. وكان بطل هذه الرواية يدعى "يحرزقال حيفتس"، وأظهره برينر في صورة من أصابه مس من الجنون إثر التقائه بفتاة عربية شاهدها تبحث في المستوطنة عن أخيها. وقد أشار هذا الموقف الذي تزامن حدوثه مع احتفال اليهود بعيد الفصح اليهودي في نفس "يحرزقال" تلك المذابح التي وقعت ضد اليهود في مدينة كيف خلال أعوام ١٩١١-١٩١٣ إثر اتهام السلطات لهم بقتل صبي مسيحي لشرب دمه في عيد الفصح. وفي تلك اللحظات ومن خلال مونولوج بالغ القسوة فقد أنكر "يحرزقال" أصله اليهودي، حتى لا يحمله أحد مسئولية اختفاء الصبي العربي. ويتضح من هذه القصة أن برينر صور الواقع اليهودي السائد في فلسطين على نحو يوحي بأنه استمرار للمنفى والاضطهاد، وأن العرب يسبّرون على درب الأوكرانيين المعادين لليهود. وتنتهي هذه القصة بدخول هذا الفتى اليهودي إلى مصحة نفسية في القدس.

٣- مازالوا غرباء :

أما جيل الأدباء الذي ظهر في فلسطين عقب موت برينر والذي انتمى إلى موجتي الهجرة الثانية والثالثة فقد كان يتخبط خلال الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين بين تلك النزعة الرومانسية التي غلبت على أعمال سميلاتسكي - الذي حاول أن يظهر طبيعة الحياة العربية من منظور عربي، وطبيعة العلاقة الإيجابية السائدة بين أبناء الشعين اليهودي والعربي - وبين ذلك البركان المتقدم في أعمال برينر الذي اتضح على نحو بارز في قصته "في وسط الماء" التي صدرت في عام ١٩٠١ والتي عبر من خلالها عن مدى تخوفه من البيئة العربية. وتعتبر هذه القصة عن مدى إحساسه بالمرارة، ذلك الإحساس الذي برز على نحو واضح في أعماله. وقد رفض برينر في حقيقة الأمر أن يغرق في بحر وردي من الأحلام والأوهام. وراى أن العداء المحيط بالشعين سيزداد حدة في المستقبل.

وقد تجلّى هذا الإحساس بالتخبط بين الرومانسية ومرارة الواقع في قصة "أيام وليال" التي أصدرها "ناثان بيستريتسكس" - اجمون "في عام ١٩٢٦، فتعتبر هذه القصة عن مدى إحساس شباب المهاجرين الذين قدموا في إطار الهجرة الثالثة بالتخبط بين تمسكهم للشرق وتشبثهم بحلم تفجير ثورة اشتراكية طبقية يمكن أن يسير فيها مع العمال اليهود والفلاحون العرب والمزارعون اليهود وبين تحررهم من الحلم الذي كشف لهم أن الاستقطاب القومي في فلسطين سيكون أكثر حدة من الاستقطاب الطبقي الذي سيعجز عن تجاوز الفروق القومية. وقد وصف هذا الأديب حادث مقتل برينر بقوله :

"لقد أصبح من الممكن حالياً أن يضرب الرجل الإسرائيلي بجذوره في الأرض على نحو لا يقلع، ومن الممكن أن تجلس على ثراه وأن نحلم بالوطن".

أما قصة "الحاج محفوظ بيه" للأديب "يعقوف شتينبرج" (١٨٨٧ - ١٩٤٧) الذي هاجر إلى فلسطين في عام ١٩١٤

والتي أصدرها في عام ١٩٢٧ فلن تخالف الحقيقة كثيراً عند القول أنه من الوارد أن تكون هذه القصة بمثابة أولى القصص التي عبرت عن أن الشعين اليهودي والعربي يرتبطان بهذه الأرض، وأن هذا الوطن هو وطن الحنين المتناقض. ويصف شتينبرج في قصته مجموعة صغيرة من الشباب كانت تقيم في "جفعاه" الواقعة غربي منطقة "حدره".

ووصف شتينبرج هذا المكان الاستيطاني بقوله إنه كان مصدر الحياة. وعند النظر إلى هذه القصة يجب أن نضع في اعتبارنا أنه بالرغم من أن أدباء وقادة موجة الهجرة الثالثة كانوا يحرصون على الإغلاء من مكانة حنينهم إلى الوطن القديم في أذهانهم والجديد في واقعهم فقد كانوا يشعرون بقدر كبير من الخوف والاغتراب إزاء البيئة المحيطة بهم. وتمثل عنصر الاغتراب إزاء البيئة في القصة في حارس المستوطنة العربي الذي كان يتجول ليلاً حول المستوطنة، وكان يدعى الحاج محفوظ. وحتى يجسد الأديب حقيقة أن هذه الأرض كانت بؤرة للحنين العربي فقد أشار شتينبرج إلى أن هذا الحاج من أصل مغربي. وكانت هذه الإشارة تتماشى بالطبع مع حقيقة - ربما تناسيناها - أن فلسطين جذبت أعداداً كبيرة من المهاجرين العرب في ذات الفترة التي كان المشروع الصهيوني آخذاً فيها في التشكل.

واختتم الأديب قصته بوصف ذلك اللقاء التصادمي الذي وقع بين الراوي اليهودي وبين الحاج محفوظ الذي يكشف لديه الإحساس بالغربة. وفي إطار هذا اللقاء فقد غمرت الراوي عدة لحظات غيبية أحس خلالها بالتوحد مع بيئته، وقد رأى فيما يرى النائم أن الألم أضحي عذبا، وأن الإنسان اليهودي نجح في فرض سيطرته على كافة الأمور من جديد بدءاً من الوطن وانتهاءً بذلك الليل الذي يرمي في نفسه بالرعب، ونجح الأديب في نهاية قصته في تحقيق الوفاق مع عناصر الطبيعة التي تنكرت له فيما مضى، والتي زعزعت طمأنينته. ومع الاقتراب من نهاية القصة نلاحظ أن خطوات الراوي تكاد تخرق الأرض، وأنها لم تعد تعباً بشيء، ومن هنا فقد تغلب على مخاوفه وآلامه وما يشكله الغريب من تهديد.

أما حجر الأساس الذي قامت عليه المستوطنة والذي أشار إليه الأديب في روايته فقد كان رمزاً للسيادة على الأرض. ومن المتصور أن الأديب استخدم هذا الحجر على نحو رمزي للإشارة إلى قبة الصخرة التي يقوم عليها مسجد عمر في القدس، والتي يزعم اليهود وفقاً لتراثهم أن هذه القبة تعد مكاناً يهودياً مقدساً، فيتصور اليهود أن هذه القبة هي التي وضعت عليها ألواح الشريعة، وتابوت العهد.

وقد وقعت بين الراوي اليهودي، والحاج العربي معركة بالقرب من هذا الحجر. وكان هذا الصراع يهدف إلى تصوير مدى قدرة الشخص اليهودي على الارتباط بالطبيعة الفلسطينية القريبة من وجدانه البعيدة عن وجوده المادي. ويصور الأديب الحاج العربي في صورة من يمسك بعصاه ويصعب لعناته على الشخص اليهودي. ولا غرابة في هذا التصوير خاصة أن الشخص العربي أحس أن الوجود اليهودي يهدف إلى احتلال أرضه واقتلاعه منها. ويعبر هذا الصراع العنيف عن موقف كل من اليهودي والعربي إزاء ذات الأرض

، وعن إحساس كل طرف بالغربة إزائها إذ إن اليهودي كان يحس بغربة حقيقية في حين أن العربي كان يشعر أنه سيضحي غريبا . وينتهي الصراع وفقا لما جاء في القصة بهروب الحاج العربي احتجاجا على الوضع القائم .

ونجد صدى لمثل هذه اللقاءات في قصص كثير من الأدباء العبريين مثل الماخام زئيف يعبتس ، وموشي سميلاتسكي ، ويوسف برينر . ولا يخلو الأدب العبري الصادر قبل عام ١٩٤٨ من مثل هذه اللقاءات غير أن شتينبرج كان أول من أضفى صورة سرىالية رمزية لهذا الواقع . وقد تكررت مثل هذه اللقاءات على نحو بارز في عدد كبير من الأعمال الأدبية التي صدرت منذ الستينيات ، فنجد صدى لها في روايتي " في مواجهة الغابات " للأديب " أ . ب . يهوشع " والرحالة والأقعي " للأديب عاموس عوز .

وقد تم التعبير عن هذه المشاعر التي راودت الحاج العربي واشتياقه للعودة من جديد إلى موطنه ، وإحساسه بالتغنى داخل موطنه ، ذلك الإحساس المتولد عن وجود الآخر في إحدى قصائد الشاعر الفلسطيني محمود درويش ، وفي الكثير من قصائد شعر المقاومة ، خاصة تلك التي يعود تاريخها إلى عقد الستينيات .

٤ - حرب ١٩٤٨ والإحساس بالمعضلة الأخلاقية إزاء العربي : يتضمن الأدب العبري الصادر خلال الفترة التي شهدت حرب ١٩٤٨ إشارات واضحة إلى حالة الصراع التي سادت بين الأيديولوجية الصهيونية - الاشتراكية وبين ذلك الصراع الدموي الذي شهدته ساحة القتال في عام ١٩٤٨ بين الشعبين اليهودي والعربي في فلسطين . وسجل الأديب " س . يزهار " في رواية " أيام تسكلاج " ذلك الصراع النفسي الذي واجهه صغار الجنود اليهود في إحدى المعارك التي وقعت في عام ١٩٤٨ .

وقد أحدثت حرب ١٩٤٨ صدمة مروعة في نفوس من عاصروها من شباب اليهود إذ التقوا في هذه الحرب وللمرة الأولى بأعمال القتل والعنف التي مارسها كل طرف ضد الآخر ، بل وعاصروا تحطم عالم المثل ، والإحساس بعدم القدرة على التكيف مع الواقع الجديد . وقد برز بعد انتهاء الحرب الإحساس بالاغتراب إزاء مفردات الواقع الإسرائيلي ، ذلك الواقع الذي تغير كلية عقب الاحتلال ، ورحيل العرب عن قراهم . وكان من بين سمات هذا الواقع أيضا تدفق موجات الهجرة على إسرائيل ، والإسراع في تشييد المباني . ويمكننا باختصار قول أن هذا الواقع افتقر إلى أية لمسة رومانسية . ومن هنا فلا غرابة في أن العالم الذي ينتمي إليه معظم أبطال الأديب " س . يزهار " يتمثل في الفترة السابقة لحرب ١٩٤٨ ، ذلك العالم الذي شهدوا حطامه . غير أن ما يضاعف من حدة الأزمة لدى أبطاله يتمثل في عجزهم عن التكيف مع الواقع الجديد .

وواجه ذلك الجيل الذي عاصر حرب ١٩٤٨ أزمة حادة في القيم . وقد عبر الأديب " س . يزهار " في رواية " خربة خزعة " التي صدرت في عام ١٩٤٩ عن طبيعة الفروق الحادة التي سادت بين منظومة القيم التي سادت في أوساط اليهود قبل عام ١٩٤٨ وبين تلك التي ستتشكل فيما بعد ، فجاء بالرواية : " كيف لم أتصور منذ البداية ما كان سيحدث . لقد وقعت "

خربة خزعة " في أيدينا ، وأنشغلنا للتو بقضايا الإسكان واستيعاب المهاجرين . وفتح محلات تعاونية ، ومدارس وربما معبدا . وستتشكل الأحزاب التي ستبحث مجمل ومختلف القضايا . وسينشغل الجميع بحراثة الأرض والزراعة والحصاد ، وسيرفع الجميع شعار فليحيا العمل العبري . ومن ذا الذي سيتذكر أنه كان يوجد هنا مكان يدعى خربة خزعة ، ذلك المكان الذي طردنا سكانه ، وورثناه . لقد أتينا ، وأطلقنا النار على الجميع ، وحرقنا ، ودمرنا ، ونفينا السكان ... بحق المجيم أي شيء ، نقوم به هنا " .

ويذكر في موضع آخر من الرواية : " إن الطفولة التي كانت هاهنا في المستوطنة في فترة الانتداب البريطاني ، كما أن ذلك المشهد الذي ساد قبل عام ١٩٤٨ لم يعد له وجود . إنه ينتمي إلى الماضي . لقد حلت الآن مرحلة الصحوة المؤلمة ، والتحرر من مثل التعليم الصهيوني الاشتراكي ، ومن الإيمان بإمكانية الدمج بين القومية اليهودية والأخاء بين الشعوب غير أن هذا الحلم فنته الحرب . إن المثال حاليا يتمثل في وصف المرء بأنه قاتل جيد وسريع الحركة ، فبمقدوره قتل اثنين أو ثلاثة دفعة واحدة . ولم يعد أمامنا أي مفر ، غير أنني أمقت مقولة ليس هناك مفر . إنني أمقت وأكره السير على الجثث .. أكره الحرب غير أنني أحارب . إنني أنتمي إلى الجيل الذي لا يمكنه العيش خارج الحرب .. وأكره هذا الوضع . وأعيش بين خوفا وسذاجتي ، وبين سعادتي بالمنافسة على الساحة وتمردتي على هذا الوضع " .

وتعد قصة " الأسير " للأديب " س . يزهار " والتي صدرت طبعها الأولى في شهر نوفمبر من عام ١٩٤٨ واحدة من أبرز القصص التي تعبر عن حالة الارتباك الأخلاقي . ويصف الراوي في هذه القصة وعلى نحو قائم تضارب مشاعره إذ بينما تعلم في صباه قيم احترام البشر ، والحرية ، وحرية الفكر فقد وجد نفسه مضطرا للقضاء على راع عربي وقع في الأسر . وقد كانت هذه الآلام التي اعتصرت في ذلك الموقف والشبهة بتلك المعضلة الأخلاقية التي واجهها " هامليت " في مسرح " شكسبير " ، باللغة الحدة على نحو حرمه من اتخاذ أي رد فعل ، وكان هذا العجز محصلة طبيعية لحقيقة أن أفكاره كانت تغتال قدرته على الحركة . ويصور الأديب في قصته مدى تخطيط البطل بين مبرراته الإنسانية التي تمنعه من قتل الأسير ، تلك المبررات التي كانت محصلة ثقافته ووعيه وبين مبررات الحرب .

وعند مطالعة هذه القصة نلاحظ أن الأديب لا يقيم أي حوار بين بطل قصته الممثل للطرف الإسرائيلي وبين الطرف العربي ، كما أنه اكتفى بتقديم الأسير العربي كرمز للمعضلة الأخلاقية التي واجهها الجندي الإسرائيلي . وإزاء حالة الاضطراب التي واجهها بطل هذه القصة فقد لجأ الأديب إلى تكنيك النهاية المفتوحة إذ إنه لم يقدم لنا في نهاية القصة أية تفاصيل عن مصير الأسير ، غير أنه من المرجح أنه لقي مصرعه وأنه لن يعود إلى أسرته وأرضه ، كما كان يعود إليها قبل الحرب .

وعلى نفس النحو المتمثل في محاولة تبرير مواقف الذات واتهامها في ذات الحين ، ذلك النهج المميز لقصة " الأسير " سالفة الذكر فقد أتبع عدد من أبناء هذا الجيل من الأدباء ذات النهج ، كما نجد في قصة " الكمين " للأديب أهارون ميجد

ويقوم أحد اللاجئين العرب بسرد أحداث هذه القصة ، وينطبق نفس الأمر على قصة "مسابقة في السباحة" للأديب بنيامين تموز (١٩١٩ - ١٩٨٩) التي صدرت في صحيفة هآرتس خلال عامي ١٩٥١-١٩٥٢.

وتتمثل حبكة قصة "مسابقة في السباحة" في إحدى الأحداث التي واجهها الراوي في طفولته إذ قام في صحبة والدته بزيارة عائلة عربية في يافا . والتقى خلال زيارته بفتاة عربية تدعى ناهد ، وبعمها عبد الكريم الذي تفوق على الفتى العبري في سباق سباحة جرى في ذلك الحمام الواقع في حديقة الأسرة العربية . وبالرغم من مضي سنوات طوال على هذه المسابقة فقد ظل الراوي أسيرا لروائح الطعام المميزة التي استنشقتها في طفولته ، بل وأضحى أسيرا للحنين ، فجاء بالقصة : "تري هل سأرى مرة أخرى ناهد وعبد الكريم الذي بزني في سباق السباحة".

ومع نشوب حرب ١٩٤٨ فقد كان الأديب عضوا في تلك السرية المكلفة بالهجوم من ناحية المنازل البيضاء الواقعة في "حولون" على ذلك البستان الجميل الذي قضى فيه عدة لحظات في صباه ، وما زاد من حدة أزمته الأخلاقية أنه التقى عند تفقده للأسرى العرب بعبد الكريم . وعند رؤيته له فقد حدثته نفسه بأنه من الممكن أن يذهب في هذه اللحظة إلى حمام السباحة للانتصار عليه . وهبط الراوي بالفعل إلى مياه حمام السباحة الذي كانت مياهه قد أضحنت أسنة . وفي تلك اللحظة فقد أطلق أحد الجنود اليهود النار على عبد الكريم فأرداه قتيلًا . واقترب الراوي بعد هذا الحادث صوب جثة عبد الكريم ، ووصف الراوي هذا الموقف بقوله "لم ترتسم على وجهه ملامح الحزن لخسارته ، ووقفت بمفردي في فناء البستان".

وعند النظر إلى صورة العربي في الأعمال الأدبية العبرية الرومانسية التي دونها سميلاتسكي على سبيل المثال نلاحظ أنها رسمت على نحو يدعو للحب والتفاهم بل والمحاكاة ، غير أن برينر كان يمثل نهجا فريدا في الفترة التي عاش فيها إذ كان من رواد الواقعية في الأدب اللعبري في فلسطين ، فلم يتعامل برينر في أدبه مع العرب كاشخاص وإنما تعامل معهم كمجموعة معادية تهدد الوجود اليهودي الضعيف في فلسطين . أما أدباء الهجرة الثالثة فقد كانت مواقفهم تتباين بين الرؤية الرومانسية التي تجلت في أعمال بعضهم قبل الهجرة إلى فلسطين وبين مرارة الواقع . وفي المقابل فقد كان الأدباء المنتمون إلى جيل ١٩٤٨ الذين ولد معظمهم في فلسطين أو نشأوا فيها فقد كانت رؤيتهم للعربي شديدة التأثير بالطرف التاريخي الذي خيمت عليه الحرب . وحينما صور أدباء هذه المرحلة شخصية العربي في أعمالهم فلم يكن هذا التصوير يهدف إلى وصف أنماطهم المعيشية بقدر ما كان تصويرها يهدف إلى تقديمها على نحو يوحي بحدة الأزمة الأخلاقية والأيدولوجية التي تواجه المقاتل الإسرائيلي . وعلى ضوء هذه الأزمة فقد كان البطل الإسرائيلي يصور في صورة من تحطمت قيمه إثر اتصاله بالواقع . وكان لهذا الاتصال تبعات كثيرة على أدب هذه المرحلة .

٥- الإحساس بالحصار . العربي ككابوس :

كان ذلك الجيل الذي عاصر حرب ١٩٤٨ يرى أن شخصية

العربي تمثل تحديا لمنظومة القيم الصهيونية ، غير أنه قد ظهر فيما بعد جيل آخر من الأدباء سيطر عليه الإحساس بالحصار فضلا عن أنه قد رأى أن شخصية العربي تعد جزءا من ذلك الكابوس الذي يهدد وجود الإنسان الإسرائيلي .

وتعبر قصة "في مواجهة الغابات" للأديب الإسرائيلي "أ. ب. يهوشع" والتي صدرت في عام ١٩٣٦ عن الإحساس بمرارة الواقع ، وعن إحساس الأديب بأن الوجود العربي يمثل كابوسا يهدد الوجود الإسرائيلي . وكان هذا الإحساس مصحوبا بما يمكننا أن نسميه بالتعاطف مع مصير الدولة الصليبية في فلسطين . أما بطل القصة فلا يعدو عن كونه طالبا في الثلاثين من عمره . وحينما أحس أصدقائه أنه يكاد يفقد صوابه لاختلاله العقلي فقد وجدوا له وظيفة تمثلت في العمل كحارس لإحدى الغابات ، وتمثلت وظيفته في حماية الغابة من الحرائق . وكان هذا الطالب منغمسا في ذات الحين في إعداد بحث عن تاريخ الصليبيين . وكان يقيم في إحدى بيوت الغابة رجل عربي أبكم مع ابنته .

وحينما كان يقيم في الغابة فقد كان يزوره كل من والده ، وزوجه صديقه التي كانت في حقيقة الأمر عشيقته ، وبعض الأجناب ، وعدد من السياح الإسرائيليين . وحينما كان يشاهدهم هذا الحارس فقد كانت نفسه تحدثه بأنهم يشبهون الحملات الصليبية . وقد اتضح من خلال هذه القصة أن هذه الغابات قد غرست على خرائب قرية عربية طرد سكانها في عام ١٩٤٨ ، وأن هذا العربي الأبكم كان من سكانها .

وكان هذا الحارس يتعرض إلى توتر بالغ الحدة يكاد ينغص حياته ، وكان هذا الإحساس بالتوتر شبيها بإحساس المرء بالكارثة ، وكان يشعر أن الغابة ستعرض إلى حريق . وكان هذا الإحساس بالكارثة يراود كلا من الحارس اليهودي والعربي ، ويمكننا قول أن مشهد الغابة كان يفجر الإحساس بالجنون في نفوسهما . وكان الحارس لا يتوقف عن رمي بقايا سجاثره المشتعلة في الغابة كتعبير عن رغبته الدفينة في إحراق الغابة . أما العربي فكان يضع عبيوات من البنزين في أنحاء متفرقة من الغابة . وبالرغم من أن الحارس كان يعرف حقيقة مايقوم به العربي إلا أنه لم يحاول منعه بل كان يحاول عقب التنزه مع زوجة صديقه إشعال النيران في الغابة بالاشتراك مع العربي غير أن النيران سرعان ما كانت تنطفئ . ومنذ تلك اللحظة فقد حدث نوع من التقارب بينهما وبدأ الحارس في محادثة العربي عن الحملات الصليبية ، وكان العربي ينصت إليه بكل اهتمام ، غير أن عينيه كانت تملآن بالكراهية .

وتمثل الصيف أو نهاياته خلفية الكثير من القصص الإسرائيلية المنتمة إلى هذه الفترة ، فتمثل بداية موسم الصيف خلفية قصة "في مواجهة الغابات" ، ومن هنا فتتسم القصة بقدر كبير من التوتر الأخذ في التزايد . أما نهاية الصيف فتمثل موسم التفجر . أما الفتاة العربية فنجدتها قد كبرت وبلغت وأصبحت تجذب انتباه الحارس اليهودي . أما العربي الأبكم فإنه يشعل النيران في كل الأماكن التي وضع بها براميل النفط . ومع احتراق الغابة وقتائها فقد ظهرت من جديد ملامح القرية العربية التي كانت قد أبيدت . وحينما بدأت أجهزة الشرطة في التحقيق مع اللعبري بتهمة إضرام

النيران فقد كان الحارس اليهودي منهمكا في إعداد بحثه . ومع وصول القصة إلى هذه الذروة نجد أن الراوي يعود إلى مدينته ، ومع دخوله المدينة يهطل المطر ، ولكنه كان مطرا ملوثا أدى إلى اتساخ الطرقات . وكانت نهاية موسم الصيف تمثل خلفية دخوله إلى المدينة .

وعند النظر إلى معظم القصص التي كتبها "أ. ب. يهوشع" قبل هذه القصة نجد أن الإحساس بوقوع الكارثة هو الذي يسيطر على أعماله ، فضلا عن أن التفجر حتى لو كان تفجرا جنسيا هو الذي يسيطر على معظم أعماله ، ونجد حالات التفجر هذه في قصة الرحلة العربية ، وقصة موت الشيخ اللتين صدرتا في عام ١٩٦٢ . أما قصة "في مواجهة الغابات" فنجد فيها وجها آخر لرؤية الأديب المتشائمة وإحساسه بأن الوجود العربي يمثل انهيار الذات الإسرائيلية .

وعند تأمل هذه القصص أيضا نجد أن الصورة التي يقدمها الأديب للطبيعة تعد شديدة القسوة والكآبة ، وتفتقر إلى أية مسحة رومانسية مثالية . وحينما يعرب الراوي عن تعاطفه مع مصير الحملات الصليبية فإنه يقدم لنا صورة متطرفة لإحساس أدباء جيل ١٩٤٨ بأنهم يتعرضون إلى كابوس حقيقي وبأن مصيرهم يتمثل في الضياع . وتكمن خطورة التعبير عن تعاطف الراوي مع الصليبيين في أنها تثير تساؤلات بشأن حق اليهود في الوجود في فلسطين . وتعتبر هذه الحالة عن إحساس الراوي بعدم الارتياح إزاء حقيقة سلب العرب من وطنهم . وتعد هذه الحالة التي عبر عنها أ. ب. يهوشع خير تعبير عن حالة الاضطراب الفكري والروحي التي يواجهها العلمانيون الذين لا يجدون دليلا على حقهم في الوجود .

وتكتف هذه الرؤية الإحساس باننا غرباء في المنطقة ، فضلا عن أنها تعبر عن طبيعة الحياة الإسرائيلية المنغلقة على ذاتها ، وعن ذلك النمط المنغلق الذي شيده جيل كامل من منطلق إحساسهم بأن الحرب لا مفر منها ، وأن حالة الحصار مستمرة . وحينما يصور الأديب الغابات الحديثة فإنها ترمز بالطبع إلى دولة إسرائيل التي شيدت على القرى العربية ، ويؤكد الأديب في روايته على أن كل ما يقوم به الإسرائيليون يقوم على فوهة بركان من الكراهية الأبدية من قبل العرب .

وعند مقارنة هذه القصة بقصص "س. يزهار" و "أهارون مسجد" و "بنيامين تموز" فإنها لا تعبر عن حلة التمزق الأيديولوجي التي واجهها سائر الأدباء ، وفي المقابل فإنها تكتفي بالتعبير عن حالة الخروج من الأوهام ، تلك الحالة التي تعد سمة مميزة للأدباء الذين تشكل وعيهم بعد مضي تسعة عشر عاما على حرب ١٩٤٨ .

ويصف الروائي عاموس عوز في قصة "الرحالة والأفعى" شخصية جوثيلا المقيمة في الكيبوتس والتي تشعر بقدر كبير من الاحباط . وقد التقت جوثيلا خلال نزهة قامت بها خارج الكيبوتس براع بدوي ، يقدمه الأديب في صورة بدائية متخلفة قبيحة ، ومع هذا فقد فجر فيها هذا البدوي رغبتها الجنسية . وبالرغم من أنه كان من الواضح أنه سيقدم على اغتصابها إلا أنها كانت تتمزق بين رغبتها في مضاجعته وبين نفورها منه ، ومع هذا فلم يحدث بينهما شيء إذ سرعان ما نفر جسدها منه .

وعند الاقتراب من نهاية القصة نجدها ترقد على العشب وبالقرب من حجرتها بالكيبوتس بعد أن لدغتها الأفعى . وقد عمد الأديب إلى تصوير لدغة الأفعى على نحو جنسي ، فجاء بالقصة : "سرت ببجسدها قشعرية من اللذة ، فكانت تستمع إلى تلك الموجة من اللذة التي سرت في جسدها ، والتي أسكرت دمه ، واستجابت جوثيلا بكل كيائها إلى هذه اللذة" .

ويمثل العربي في هذه القصة الجانب الغريزي من الواقع ، وعند النظر إلى تمزق مشاعر البطلة تجاه رغباتها فإن هذا التمزق يعبر عن تمرد غرائزها على الأطر الاجتماعية الإسرائيلية . وعبرت البطلة في إحدى مواضع القصة عن حقيقة مشاعرها تجاه العربي بقولها : "إن العربي مرادف للصحراء والمرض ، ولقد أتى المرض من الصحراء" .

وقد وصف عاموس عوز في رواية "مكان آخر" التي صدرت في عام ١٩٦٦ المشاهد المحيطة بالكيبوتس الواقع على الحدود وعلى سفح الهضبة السورية في الفترة السابقة لحرب يونيو ١٩٦٧ بقوله : "إن المؤامرة الدنيئة تحيط بالسور وتحاول التسرب إلى الداخل ، وخلق حالة من الفوضى" . وكان عوز يرى في الحدود والجبال المحيطة به جزءا من الواقع المرير الذي يضيق الخناق على أبطاله . كما أنه رأى أن الوجود الغريب للعربي يضفي صبغة مخيفة على المشاهد الطبيعية .

وتركز رواية "ميخائيل" لعاموس عوز التي كتبها قبل شهر يونيو ١٩٦٧ والتي صدرت في عام ١٩٦٨ على القضية العربية . وتدور أحداث هذه الرواية حول الطالبة اليهودية حنا التي كانت تقسم بالقدس ، والتي اقترنت بشاب يدعى ميخائيل . وقد انجبا بعد زواجهما طفلا . وبعد مضي بضعة سنوات على الزواج فقد بدأت "حنا" تفقد صوبها تدريجيا . وقد تمثل الشق المظلم في حياتها في ذلك الكابوس الذي كان يرادها والذي كانت تحلم فيه بتوأمين عربيين يدعيان "عزيز" و "خليل" اللذان كانت تلعب معهما في طفولتها ، واللذان أصبحا من الفدائيين الفلسطينيين الذين يشيعون الدمار . وكان وجودهما يزداد قوة في أحلامها إلى الدرجة التي اعترفت فيها في نهاية الأمر بجنونهما . وقد جاء على لسانها بالقصة : "إنهما يمدان أياديهم إلي وكأنها أيدي محبين ، غير أنها تبدو وكأنها تمتد من جسد حيوان ضخم ، غير أنني أسمع فجأة أصوات انفجارات مكتومة" .

أما زوجها فإن عاموس عوز يصوره في صورة نمطية فيقدمه في صورة من يعمل بالجيولوجيا ، ومن خدم بالجيش الإسرائيلي في حرب ١٩٥٦ . ويتسم ميخائيل وفقا لما جاء بالقصة بأنه إنسان صادق وجاف . ونلاحظ هنا أنه بينما يمثل البطل هنا العنصر العقلاني في المجتمع فإن زوجته تمثل الجانب غير العقلاني والمظلم من الواقع . ويمثل هذا الحلم الذي كان يراد حنا حالة التناقض بين حقيقة الحصار المحيط بإسرائيل وفي الإحساس بأن الأرض تخون من يقيمون عليها كل مساء . وحينما كانت "حنا" تتمزق في أحلامها هذه الشخصيات العربية التي تتراءى لها فإنها كانت تبتغي في الحقيقة تمزيق واقعها الكتيب الذي يدفعها للجنون ، والذي كان زوجها يرفض الاعتراف بمساوته .

إسرائيل / لبنان

ملحق هآرتس السياسي
١٩٩٩/٣/٢
بقلم: يونايل ماركوس

الخروج

نظامي على مقاتلي حرب عصابات. ثانياً: أن حزب الله يعرف الميدان والمنطقة أفضل من جنودنا وأفضل من جيش نظامي بعاداته وترتيباته. ثالثاً: لأنهم يعملون في أوساط سكان متعاطفين معهم ويمنحونهم مزايا ولكن يقيدون حركتنا وردودنا من ناحية أخرى. رابعاً: لأن جيش جنوب لبنان تحول من جيش أجير والذي كان من المفروض أن يقوم بالعمل الذي نقوم به، إلى أداة مكسورة هشة والتي بدون حمايتنا وحضورنا فإنه يصبح بدون فائدة. خامساً: فإن وجودنا الجسدي على أرض لبنان يحول حزب الله من تنظيم إرهابي إلى مقاتلين من أجل الحرية وشرعيون في أعين العالم، وبذلك تخلى مسئولية لبنان، وبالذات سوريا من الدم المسفوك.

إن التواجد الإسرائيلي في جنوب لبنان بمثابة هدية من السماء لسوريا. فهو يتيح للأسد الضغط على إسرائيل للتنازل عن الجولان، وذلك في حرب تدور عبر وسطاء. لقد رفض الأسد محاولات رابين وتنتياهو للدخول في مفاوضات مع سوريا حيث تكون «لبنان الأول» في بداية جدول الأعمال. ربما يكون الرئيس الأسد ليس بالذكاء الذي يوصف به، ولكنه بالطبع ليس غيبياً للدرجة التي يتنازل فيها عن السلاح الوحيد الذي يملكه للضغط علينا في حرب يمسك بخيوطها، ليس فقط ردعنا يتقلص، وليس فقط ضعفنا ينكشف، بل إن جوهر وجودنا في لبنان بين يديه.

إن لبنان هي أكبر نجاح لسوريا - فهي دولة مزدهرة أعيد إليها النظام، وهي توفر الرزق للمليون سوري وتشكل جزءاً لا يتجزأ من النظام العسكري السوري. ولكن الأسد ليس هادئاً بالشكل الذي يبدو عليه. فإن جيشه ضعيف وعتاده قديم، ولن يعرض نفسه للخطر ببساطة في مواجهة عسكرية مباشرة مع إسرائيل. والآن الأسد يتمتع من

عندما كان جيش الدفاع الإسرائيلي منغمساً في لبنان في نهاية عام ١٩٨٢ في وضع ليس منتصراً ولا يعرف كيف يخرج، كان مألوفاً على أفواه الجنود أغنية زجلية بالقافية والتي كانت تبدأ بكلمات: «إهبطي إلينا أيتها الطائرة، وخذينا إلى لبنان».. وكانت تنتهي بكلمات «ونعود داخل توابيت»، وهذا الأمر الذي بين بداية ونهاية الأغنية ليس أمراً موضوعياً لما يحدث اليوم على الساحة اللبنانية، فإن رؤساء الحكومات الذين وعدوا بأن «البلاد ستهدأ لمدة أربعين عاماً» وأن «الحزام الأمني يحافظ على مستوطنات الشمال» وما إلى ذلك من شعارات، ليسوا معنا الآن. وكذلك الحال فقد تعاقب علينا وزراء الدفاع، حتى العدو تغير وتبدل. فبدلاً من المخربين الفلسطينيين جاء حزب الله. وبدلاً من «اتفاقية سلام» مع لبنان، لدينا «اتفاق تفاهم» مع حزب الله، يبيع دماء جنودنا، ناهيك عن إننا مقيدون في حجم وشكل ردود أفعالنا. شيء واحد فقط هو الذي لم يتغير: إسرائيل مازالت منغمسة في لبنان أو بمعنى أكثر دقة: لبنان مغموسة لنا في الحلق. فزعامتنا منذ ذلك الحين وحتى اليوم مصابة بشلل عقلي جماعي في كل ما يتعلق بلبنان.

وهذا الأسبوع يطرح مرة أخرى السؤال الذي لم يعرف إجابة على مدى عشرين عاماً: ماذا يجب أن يحدث بعد ذلك، وكم من الجنود يجب أن يقتلوا أيضاً، وكم من الأسر يجب أن تنضم إلى الثكالي، حتى تحرر زعامتنا من التحجر الفكري وتفهم أنه لا يوجد طريق آخر إلا الخروج، الخروج، الخروج.

فمن الواضح اليوم لكل ذي عقل، أو على الأقل يجب أن يكون واضحاً أنه في حرب العصابات التي تدور اليوم في جنوب لبنان لا توجد لنا إلى فرصة للانتصار. أولاً: لأنه لم يتغلب مطلقاً بأي شكل من الأشكال في العالم جيش

الأمرين: من سفك دماثنا وكذلك هو محمي من جراء موقفنا (كمحتل). وهو الوضع الذي يستيقظ فيه الأسد كل صباح وهو غير قلق على الإطلاق. إن خروجنا من لبنان حيوي أيضا لنا وكذلك سوف يهدم قواعد اللعبة التي تخدم الأسد. إننا لم نطلب إذن لغزو لبنان، ولسنا في حاجة لأخذ إذن

للخروج من لبنان. إننا لسنا في حاجة إلى الخروج بترتيبات أمنية، أو بوجود جيش أمريكي أو فرنسي. علينا أن ندافع عن الدولة من داخل حدودنا مثل أي دولة ذات سيادة ونعمل كل ما نفعله الآن وأكثر، بدون دفع ضريبة الدم الاسبوعية في ما يُسمى بالحزام الأمني. إن الحزام الأمني يعيش في رؤوسنا فقط، ولكنه بالفعل مات منذ زمن بعيد.

هآرتس ١٩٩٩/٣/٥

بقلم: زئيف شيف



إعادة انتشار في لبنان

العيب في هذا الاقتراح هو أنه سيكون من الضروري حل جيش جنوب لبنان أو تسريح أغلب أفرادها، وكان رد موشى كساب هو أنه في هذه الحالة لن يكون هناك مفر من إتاحة الفرصة لمن يريد من أفراد جيش جنوب لبنان، بالانتقال مع أسرته والاقامة في إسرائيل. في المقابل سيتم العمل بنظام السور الشائك على الحدود. هناك عيب آخر وهو غياب تسوية سياسية، حيث سيواصل حزب الله القتال للقضاء على القطاع الأمني الضيق جدا.

أما بالنسبة للبديل الآخر الذي اقترحه رئيس الأركان السابق - الوزير إيتان - بتوسيع نطاق منطقة الحزام الأمني، فلا داع لاضاعة الوقت حوله.

وحقيقة طرح هذا الاقتراح عامة في اجتماع المجلس الوزاري العسكري، أخجلت جميع الحاضرين. فبينما يتفهم الوزير شارون حاليا الواقع الاستراتيجي الجديد، فإن شريكه إيتان لم يتعلم من حرب لبنان ١٩٨٢.

فهذه الحرب هي التي أوجدت حزب الله الذي تحاربه إسرائيل حاليا، ولكنها أبعثت منظمة التحرير الفلسطينية حقا عن لبنان، ولكنها وصلت بحركة دائرية في النهاية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة. وبالنسبة لليمين، الذي يعارض اتفاقيات أوسلو وأفسد اتفاقيات واي، فقد كانت هذه هزيمة استراتيجية مضاعفة.

بالظروف الحالية، وإلى أن يتم العثور على طريق للاتفاق يشمل لبنان، يجب التفكير في (إعادة انتشار) إسرائيلي في جنوبي لبنان. لقد قام الجيش بإجراء تغييرات معينة في نشاطاته، ولكنها ليست تغييرات إقليمية. ونظرا لعدم وجود علامة تدل على أنه سيكون بحوزة جيش الدفاع حل أفضل كثيرا، سواء لمشكلة المخابرات في جنوب لبنان أو لمشكلة الشحنات الناسفة، وسيكون من الضروري الإقدام على تغييرات إقليمية في منطقة الحزام الأمني أيضا، وليس في جزين فقط، والمبدأ الذي يجب أن يملأ هذا التغيير هو تقليل أهداف جيش الدفاع في المنطقة، بما في ذلك حركة القوات. كل هذا من خلال إقرار بعدم المساس بقدرته على حماية المستوطنات على طول الحدود من أعمال التسلل والضرب المباشر عن قرب.

إن ما لا يعرفه أغلب الذين يؤيدون الانسحاب من جانب واحد، هو أن الانسحاب إلى خط المواقع على الحدود لا يمكن أن يرضى حزب الله. لقد تم إنشاء جزء كبير من مواقع حدود جيش الدفاع داخل الأرض اللبنانية لأن الظروف الطبوغرافية والتكتيكية أوجبت هذا في حينه، وسيقول حزب الله إنه بدون هدم هذه المواقع لن يكون هذا انسحابا كاملاً من جميع الأراضي اللبنانية، وهذه حجة جيدة بالنسبة لهم لمواصلة القتال على خط الحدود.

بمعنى آخر، من يقول أن خط المواقع الذي على الحدود سيحمي مستوطنات الجليل بعد اتمام الانسحاب من جانب واحد يجب أن يضع في الحسبان أن عليه أن يتنازل عن جزء من الخط الحالي وأن ينشئ مواقع جديدة. (وهناك أماكن يعتبر فيها هذا الأمر شديد التعقيد، حيث أن خط الحدود يلامس تماما بعض المستوطنات، مثلما هو الحال في منره).

وإذا تم هدم المواقع التي تدخل في الأرض اللبنانية، يجب أن نثق في أن حزب الله سوف يحافظ على الاتفاق الجديد. إن الانسحاب من جانب واحد الذي قام به جيش جنوب لبنان مؤخرا - (بموافقة جيش الدفاع) من موقعين مع شرط واحد هو ألا يتسلل حزب الله إلى المنطقة - هو انسحاب فاشل. لقد فعلت هذه المنظمة الشيعية بالضبط ما أكدت حكومة لبنان ألا تفعله.

لا يبدو أن جيش الدفاع سوف يوصى الحكومة بتبني خطة للانسحاب من جانب واحد. سواء انسحاب عام أو تدريجي، رغم أن الشهور الأخيرة شهدت فترة درس فيها رئيس الوزراء نتنيها هو هذا الاحتمال بشكل إيجابي. إن تقليص منطقة الحزام الأمني - وهو الاقتراح الذي طرحه نائب رئيس الوزراء موشى كساب على المجلس الوزاري العسكري - يلقي فرصة قبول كبيرة. ويقضى الاقتراح باحتفاظ إسرائيل بقطاع ضيق لمواجهة عمليات التسلل، وبدون التواجد عند الخط الذي يلامس المستوطنات وطريق الشمال. والميزة التكتيكية في هذا الاقتراح، هي أن يزيل جيش الدفاع مواقع في المنطقة الأمنية، أي تقليل الأهداف العسكرية الإسرائيلية وتقليل الاصابات من العبوات المتفجرة والكمائن التي لم يجد جيش الدفاع حلاً لها.

الفشل له أبوين أيضا

فى ١٥٥٠ مبنى ومصنعاً. فى نهاية العملية بعث شيمون بيريز رئيس الوزراء آنذاك بخطاب إلى رئيس الأركان أمنون ليبكين شحاك يشيد فيه بجيش الدفاع والذي بفضل (نجاحنا فى الحصول على وثيقة تفاهم مكتوبة ترضينا) .. (طوبى للشعب الذى لديه جيش كهذا).

ولكن هذه العملية ومذكرة التفاهمات لم يحلأ أية مشكلة. فى ذلك المؤتمر الصحفى الدرامى الذى انعقد هذا الأسبوع، وظهر فيه ييبى وكأنه نام طوال الليل فى قبو هيئة الأركان، بالغ شاؤول موفاز فى الثناء على نجاحات جيش الدفاع ضد حزب الله، ولكنه فشل فى كلمته عندما قال إنه فى العام الأخير ضاعف حزب الله من نشاطه. أين النجاح هنا، إذا كان العدو قد نجح فى أن يضاعف نشاطه؟ لقد كانت الغارة الجوية على أبنية خالية فى بعلبك بمثابة التنفيس عن غضب لأن قائد عسكري محبوب لقي مصرعه.

لقد ظل العدو على حاله، ونزيفنا كما هو، وخطورة التصعيد كما هى، ولو أراد حزب الله، فسوف يصل إلى خط الحدود. فى هذه الحرب، وفى هذه الظروف لن يستطيع جيش الدفاع أن يحسم شيئاً، ذلك هو جوهر الفشل العسكرى.

فى النهاية، لقد انتهى كل شئ وبدأ فى نفس نقطة استخدام القوة. فى لبنان سوف ننزف الدم ولن نتنصر. مثلما لم تفلح فى الانتصار على الانتفاضة وعلى منظمة التحرير.

إن للفشل العسكرى أبوين: القيادات السياسية التى تمسكت بنظريات عابثة، كان أخطرها التقصير فى حرب عبيد الغفران، ثم الرأى العام الذى يجبرهم على البحث عن حلول غير عسكرية لقضايا ليست لها حلول بالقوة.

حتى أسبوع مضى كان غريبو الأطوار فقط هم الذين يتكلمون عن الانسحاب. والآن أصبح باراك، وتنتياهو وحتى شارون جعلوا الانسحاب من لبنان على رأس جدول الأعمال القومى. طوبى للشعب الذى لديه مثل هذا الجيش. طوبى للشعب الذى به أهالى قلقون وإعلام لا يمكن تكميمه ورأى عام لديه من القوة ما يستطيع أن يعيد بها الزعماء إلى أرض الواقع.

ضباط كبار فى الجيش لا يشعرون بالرضا عن أولياء الأمور، وعن الاعلام والنقد العلنى لتواجد جيش الدفاع فى لبنان. منذ عدة شهور قال العميد إرز جرشتاين، الذى لقي مصرعه فى منطقة الحزام الأمنى. إن المطالبة بالانسحاب من جانب واحد يعرض حياة الجنود للخطر. وهذا الأسبوع شن العقيد نوعم دفرى نقداً شديداً حول (القوضى داخل الجمهور والتي تضر بالحافز لدى الجنود) بل وطالب بوقف هذه الظاهرة فوراً.

ويمكننا أن نتفهم فكر الضباط الذين تهمهم الروح المعنوية لجنودهم، ولكن ليس دورهم أن ينتقدوا وسائل الاعلام، أو المدنيين، أو الاهالى الذين فقدوا الثقة فى مبرر الخطر الذى يتربص بأولادهم. هذه الدولة ليست مخصصة للضباط، بل إنهم موجودون لخدموها. من حق المواطن فى دولة ديمقراطية أن يناقش القضايا التى تتعلق بالموت والحياة. وليست كل الحكمة متوافرة لدى قادة الجيش. بالعكس، هناك براهين تاريخية كثيرة تدل على أن الغضب فى الرأى العام دائما على حق. لم يغضب الأمريكيون عندما تم إرسال الملايين من الشباب لمحاربة ألمانيا، ولكنهم ثاروا واحتجوا ضد حرب فيتنام، وعلى الدماء التى سفكت فى حرب تفتقر إلى فرصة الانتصار فيها. فى فيتنام، مثلما هو الحال فى حرب لبنان، ومثلما هو فى الانتفاضة، كان إجماع الرأى العام هو الصادق، بينما كان الخطأ فى جانب المتخصصين.

إن الحزام الأمنى هو بالفعل فشل عسكري، لقد تمت هناك عمليتان. الحساب وعناقيد الغضب. بفارق ثلاث سنوات بين كل منهما، وكان يمكن القيام بهما من داخل الأراضى الإسرائيلية بدون أن نروى ما بين العملية والأخرى الأرض اللبنانية بدماء جنودنا. فى (عناقيد الغضب) التى تمت فى أبريل ١٩٩٦، أطلقت مدافعنا ٢٠ ألف قذيفة، وقام سلاح الطيران بـ ١٦ ألف طلعة جوية، وهاجم ٤١٠ أهداف. فى هذه العملية التى تكلفت ٤٠٠ مليون شيكل لقي خمسون مخربا مصرعهم ولكن طوال العملية التى استغرقت ١٦ يوماً أطلق حزب الله ٧٠٠ صاروخ كاتيوشا على مدن الجليل وأوقع خسائر

أى مفتاح فى يد سوريا؟

وأقصد الفارق الذى يشير إلى حدوث تغيير فى السياسية تجاه سوريا فيما يتصل بالمسألة اللبنانية.

ويكمن الخلاف أو الفارق الجوهرى فى نقطة محددة وهى أن البعض يرون أن المفتاح السورى هو مفتاح سياسى ويرى البعض الآخر أن هذا المفتاح عسكرى. ومن يعتقد أنه فى نطاق المفاوضات الشاملة مع سوريا أو على الأقل بواسطة التوصل

عندما يدلى أى سياسى أو رجل عسكرى بتصريح بشأن جنوب لبنان فإنه لا يقول إلا شيئين لا ثالث لهما وهما: أن إسرائيل ترغب فى الانسحاب من لبنان والمفتاح موجود فى يد دمشق. ولكنهم لا يقصدون نفس الشئ عندما يتحدثون عن دمشق. ويبدو أن الفارق بين نظرية وزير الدفاع السابق اسحاق مردخاى ونظرية وزير الدفاع الحالى موشيه ارنس يكمن فى هذه النقطة،

إلى اتفاق حول «صفقة» في لبنان، سيكون من الممكن حل مشكلة لبنان، يرى أن المفتاح هو مفتاح سياسي. وينتمي اسحاق مردخاي إلى هؤلاء. ولذلك امتنع عن المساس بالقوات السورية في نطاق حربه ضد حزب الله. كذلك فإن نظرية رئيس الأركان العامة شاؤول موفاز تشبه إلى حد كبير نظرية مردخاي، ولكن موفاز يضيف أنه طالما وأن هناك امكانية للمفاوضات حول السلام مع سوريا فإنه ليس هناك أي داع للتدهور نحو المواجهة العسكرية، إلا إذا قررت الحكومة شيء آخر.

وهناك آخرون ومن بينهم موشيه اريئيل ينظرون إلى دمشق بعيون أخرى. ويقولون أن مغزى مساعدة سوريا لحزب الله وحقيقة أنها قادرة على وقف نشاط هذه المنظمة يعني أن المفتاح العسكري للمعركة في لبنان موجود في أيدي سوريا. وطبقا لتحليل هؤلاء فإن سوريا لا تملك أوراق استراتيجية وعسكرية طيبة ولكنها تعرف كيف تستغل جيدا الأوراق القليلة التي في يدها في مواجهة إسرائيل. ولذلك يجب أن توضح إسرائيل لدمشق بأنها تعرض نفسها لخطر المواجهة مع إسرائيل، على اعتبار أن أي دولة مسئولة، عندما تعرف أن هناك من يساعد الذين يقصفون مستوطناتها لا يمكن أن تسكت على ذلك. وليس من الغريب أن معظم الذين يرون أن مفتاح حل مشكلة لبنان هو مفتاح عسكري، يعترضون على ربط المفاوضات السياسية الشاملة مع سوريا بمشكلة لبنان. وهم يرون أن هذين المسارين للمفاوضات يختلف كل منهما عن الآخر. وهذا ما يراه كل من وزير الدفاع موشيه اريئيل ووزير الخارجية ايريل شارون.

ولكن لا يجب أن نفهم من ذلك أن وزير الدفاع ومن هم على شاكلته يبحثون عن مواجهة عسكرية مع سوريا، فليس هناك شك في أنهم على استعداد للمجازفة بلمقارنة بالسياسة التي اتبعها مردخاي في مواجهة القوات السورية في لبنان. وقد برز هذا الأمر مؤخرا عند قصف أحد أهداف حزب الله في قلب

بعلبك في المنطقة التي تقع تحت السيطرة السورية. وهم لا يرغبون في خوض حرب مع سوريا ولكن من الواضح أن صدام أكبر يمكن أن يقع في حالة فقدان السيطرة.

والانتطباع السائد الآن هو أن سوريا لا ترغب في الدخول في مواجهة عسكرية وسوف تستمر في تأييد نشاط حزب الله في لبنان، وعلى الرغم من ذلك فسوف تتصرف بحذر وتتابع على الدوام مدى رباطة جأش إسرائيل حتى لا تنفجر بصورة مفاجئة. وهذا أسلوب ذكي تتبعه منظمة حزب الله أيضا. فبعد التسبب في خسائر لإسرائيل ينتقلون إلى الهدوء المؤقت وبعد ذلك يعودون للعمل ضدها. ومع ذلك لا يجب على إسرائيل أن تخطئ في تقدير رد الفعل السوري المحتمل. فإذا تعرض السوريون لأي مساس يمكنهم الرد بوسائل غير عسكرية مباشرة (على الرغم من أن بطاريات الصواريخ السورية توجد على مقربة من الحدود مع لبنان وتغطي منطقة البقاع اللبنانية بصورة جيدة حيث تعمل هناك طائرات سلاح الجو).

ويمكن للرد السوري أن يكون غير مباشر مثل زيادة المساعدات لحركة حماس (وهو الأمر الذي يحدث بالفعل) من أجل أن تكثف من عملياتها الارهابية ضد إسرائيل. ويمكن لدمشق أيضا أن تعرقل الخطوات السياسية لإسرائيل مع السلطة الفلسطينية أو مع الأردن. وهي تستطيع أن تزيد من التعاون مع إيران وحتى مع العراق. وكل من يخطط ويريد أن يضع السوريين في ركن الزاوية في لبنان يجب أن يضع في الاعتبار احتمالات رد فعلهم. وحتى لو بدا طرف معين اضعف مما كان عليه قبل ذلك فإن ذلك لا يعني أنه غير قادر على التسبب في إحداث خسائر وأضرار استراتيجية. وفي ظل التشكيل الحالي للحكومة. فإن وضع رئيس الأركان العامة يصبح على درجة أكبر من الأهمية، حيث أنه يتحمل أكثر من الوزراء مسؤولية رباطة الجأش وتوخي الحذر. لأن معظم الجماهير ينتظرون منه ذلك.

هاتسوفيه ٨/٣/١٩٩٩

بقلم: موشيه ايشون

هكذا لا نبني جدار أمني

اللبناني بدون شروط مسبقة، وفي المقابل فإننا نستمتع إلى أصوات تدعو إلى الانسحاب من جنوب لبنان من جانب واحد. وقد سيطر هذا الشعور مؤخرا على عقول الساسة من العسكريين. فهم ليسوا على استعداد للاستمرار في الحرب، حيث يرون أنه ليست هناك نهاية لهذه الحرب، حتى في نهاية النفق. وهناك من يقول أن هؤلاء يعربون عن رأي الأغلبية. وهم يرون أن حزب الله لن يتخلى عن القتال وسوف يستمر في الحرب إذا كان مؤيديه في دمشق وفي طهران يرغبون في هذه الحرب.

ويرغب السوريون بهذه الطريقة في الضغط على إسرائيل من أجل انسحاب جيش الدفاع الإسرائيلي من هضبة الجولان حتى

إن أصوات الضعف التي تصدر عن الساسة الإسرائيليين بشأن ضرورة الانسحاب الأحادي الجانب من جنوب لبنان لا تقرنا من السلام المأمول، بل أنها تبعدنا عن الهدف الذي وضعناه نصب أعيننا في حرب الأيام الستة قبل حوالي ٣٠ عاما، ألا وهو تحقيق السلام والأمن لشعب إسرائيل ولدولتنا.

لقد استمع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو إلى نصف تصريح رئيس وزراء لبنان الذي قال فيه أنه على استعداد لضمان أمن الحدود مع إسرائيل في حالة انسحاب جيش الدفاع الإسرائيلي من جنوب لبنان. ولكن قبل أن يصل التصريح إلى أسماع المواطنين اللبنانيين في بيروت، صدر البيان المشهور الذي يقول أنه يجب على جيش الدفاع الإسرائيلي أن ينسحب من الجنوب

آخر سنتيمتر. وأما نظام الملالي في طهران فإنه لا يخفى رغبته في الاستمرار في الحرب من أجل التسبب في تصفيه دولة اليهود التي يعتبرونها نبتة غريبة في منطقة الشرق الأوسط.

إن من يؤيد الانسحاب الأحادي الجانب من جنوب لبنان والتخلي عن المنطقة الأمنية لا يرى النتيجة التي تنتظرنا وشأنه شأن الأعمى. وبذلك فإنه لن يقحم نفسه في طريق ينطوي على مصيدة أو كمين يعرض أمنه وسلامته وأمن وسلامة دولة إسرائيل للخطر.

وليس من السهل تبرير ذلك خاصة في الوقت الذي يسقط فيه الضحايا أمام أعيننا والشعب يرافقهم حتى مآلهم الأخير. وفي ظل هذه الظروف من الصعب الجدال مع أشخاص ثكلى. ومن الصعب أكثر وأكثر تهدئة الأمهات اللاتي لم تعرف أعينهن النوم بعد أن ذهب ابنائهن إلى جنوب لبنان من أجل الحفاظ على المستوطنات اليهودية على طول الحدود الشمالية من متولا وحتى نهاريا.

وعلى الرغم من أننا نلتقي هنا وهناك مع آباء وأمهات آخرين لا يفهمون الواجب الملقى على عاتق جيش الدفاع بشأن حماية أمن وسلامة السكان على طول خط المواجهة إلا أنه ليس من السهل تهدئة أولئك الذين يدعون إلى الانسحاب من جانب واحد من المنطقة الأمنية والتي تحولت في نظرهم إلى لغم يترص بالشعب الإسرائيلي.

وكيف إذن يمكن التغلب بعد كل ذلك على اللغم اللبناني؟ ليست هناك إجابة في واقع الأمر باستثناء الانسحاب الأحادي الجانب والذي لا ينطوي بدوره على أي حل للمشكلة، وهذا هو أيضا رأي كبار قادة الجيش. وقد اعربوا عن موقفهم هذا في مناسبات شتى سواء في المناقشات في الحكومة أو في لجنة الخارجية والدفاع التابعة للكنيست. وهذا ما قاله أيضا رئيس الأركان العامة في نهاية الأسبوع الماضي في أعقاب الأحداث الدموية في جنوب لبنان. ومن الغريب إذن أن رئيس الأركان السابق يهود باراك يتجاهل رأي الخبراء الكبار في المجال الأمني ويعلن بصوت عال قائلا أنه إذا تولى السلطة، فإنه سوف يسحب جيش الدفاع من جنوب لبنان وسوف يعيش سكان خط المواجهة في سلام وسكينة.

كذلك فإن باراك يتجاهل حقيقة أن سوريا تقف إلى جانب

رجال حزب الله وتأمل بواسطة هؤلاء الرجال إجبار إسرائيل على الانسحاب من هضبة الجولان حتى آخر سنتيمتر بالإضافة إلى جزء من بحيرة طبرية. ومن ثم فإن هناك سؤال يطرح نفسه وهو: هل يراك على استعداد لقبول هذا الفرض السوري؟

والرد على هذا السؤال بالإيجاب بالطبع على الرغم من أن باراك يدعي أنه يقصد الانسحاب الجزئي فحسب مع الحفاظ على المواقع الأمنية بما في ذلك قمة الحرمون والتي تعتبر هامة لسلامة وأمن الدولة.

ونحن نرى أن حكومة اسحاق رابين قد قبلت الشروط التي وضعتها سوريا، ولكن في اللحظة الأخيرة وبعد مقتل رابين تم تأجيل التنفيذ حتى بعد انتخابات الكنيست. واليوم تدعى دمشق أنه يجب الاستمرار في المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها أو بمقتضى الموافقة على الانسحاب الإسرائيلي الشامل من هضبة الجولان.

وقد رفضت حكومة نتنياهو هذا الشرط الخاص باستئناف المفاوضات مع سوريا وهذا هو السبب في عدم إحراز تقدم في محادثات السلام مع حافظ الأسد. وطالما أن دمشق ليست على استعداد لاستئناف المحادثات مع إسرائيل بدون شروط مسبقة، فلن يبدو في الأفق أي احتمال للتوصل إلى تسوية سلمية بين القدس ودمشق.

إن أصوات الضعف التي تخرج من أفواه الساسة الإسرائيليين بشأن ضرورة الانسحاب من جانب واحد من لبنان، لا تقرنا من السلام المأمول، وليس هنا فحسب، بل أنها تبعدنا عن الهدف الذي وضعناه نصب أعيننا إبان حرب الأيام الستة قبل حوالي ٣٠ عاما بشأن تحقيق السلام والأمن لشعب إسرائيل ودولتنا. ومن المؤسف أن جزءاً من القيادة السياسية الإسرائيلية لا يدرك ذلك. . . والسبب ما نجد أن الساسة يكشفون قائمة التنازلات قبل جلوسهم على مائدة المفاوضات. وسلوكهم هذا نجدهم يبعدوننا عن الهدف المنشود، وفي المقابل فهم يدعمون موقف العدو في مواجهة إسرائيل.

وهكذا تبدو الأمور في الواقع الشرق أوسطى. ولكن العميان وضيق الأفق لا يرون ذلك. وهكذا لا يمكن بناء الجدار الأمني حول دولة اليهود. وقد حان الوقت كي يدرك قادة إسرائيل هذه الحقائق.

تعليق على أحداث جنوب لبنان

هآرتس ٣/٣/١٩٩٩
بقلم: دافيد مكوفسكي

منذ تشكيلها في يونيو عام ١٩٩٦ طرحت حكومة نتنياهو عدة مبادرات للخروج من لبنان، ثم اتضح فشلها جميعاً. وكان السبب الرئيسي في ذلك هو أنه على النقيض من تصريحاتها، والتي تقول أن سوريا هي المسئولة عن نشاط حزب الله في جنوب لبنان وليس للحكومة اللبنانية أية صلاحيات فعلية. كانت جميع المبادرات تسير في الاتجاه العكسي: أي أنها ركزت على بيروت وتجاهلت دمشق.

وكانت الحكومة قد طرحت مبادرتين أساسيتين: لبنان أولاً: فور تشكيلها أطلقت الحكومة مبادرة تعتمد على إخراج إسرائيل من لبنان، مقابل إتفاق سلام مع بيروت. وكانت على قناعة بأن هذا ليس إلا خداعاً يهدف إلى فصل سوريا عن لبنان. كان الرئيس السوري حافظ الأسد يعتقد أنه في لحظة انسحاب إسرائيل من لبنان، لن يصبح لديها حافز للتفاوض الجاد حول الانسحاب من

الجولان، ولهذا قام بإفساد المبادرة.

القرار ٤٢٥: في يناير أعلنت الحكومة أنها على استعداد للتنازل عن إتفاق سلام مع لبنان، وبدلاً من ذلك تتفق على إجراءات أمنية مع بيروت، في مقابل الانسحاب طبقاً للتفسير الإسرائيلي لقرار مجلس الأمن ٤٢٥. مرة أخرى حدث لجوء لبيروت بدلاً من سوريا، وكانت النتيجة فشل هذه المبادرة أيضاً. كانت هناك أيضاً مبادرات أخرى. فقد دعا وزير الخارجية شارون إلى انسحاب تدريجي من جانب واحد من لبنان، إلا أن المؤسسة العسكرية وأغلب الوزراء رفضوا اقتراحه وأكدوا أنه خطير جداً. تعتقد المؤسسة العسكرية أن الخروج من جانب واحد سيدفع بسوريا إلى العشور على طرق أخرى لضرب إسرائيل عن طريق فلسطينيين أو متطرفين إسلاميين من أجل الضغط عليها للتنازل عن الجولان، كذلك تم تجربة استخدام القوة، مثل قصف العمق اللبناني، ولكن هذا الأمر لم يؤد إلى تغيير. هذه المبادرات الفاشلة تشير إلى حقيقة أن الحكومة لم تعمل طبقاً للمنطق الكامن في أساس مزاعمها، أي الحل الذي يعتمد على ارتباط لبنان بسوريا.

إن الاعتراف بالموقع الرئيسي المحفوظ لسوريا في ملعب جنوب لبنان يؤدي إلى عدة احتمالات: - المحافظة على الوضع الراهن: أي التسليم بحقيقة أن إسرائيل ستظل تدفع الثمن الباهظ نتيجة البقاء في لبنان. مؤخراً صرح مصدر أمني كبير: «يجب أن يدرك الجمهور الإسرائيلي أن ثمن الاحتفاظ بقصر شيرين (كتسرين) هو

مقتل ٣٠ جندياً إسرائيلياً كل عام في لبنان».

- عملية عسكرية: بهدف قطع الصلة بين سوريا ولبنان. وقد دعا عضو الكنيست عوزي لاندאו (من الليكود) إسرائيل إلى تبني «النموذج التركي». والمقصود هو تبني سلوك أنقرة في العام الماضي التي وضعت قوات عسكرية ضخمة على طول الحدود، بعد شعورها بعدم الرضاء عن الدعم السوري للأكراد، مع ذلك، فإن معنى مثل هذا الحل هو الاستعداد لخوض حرب، ويهم كثير من الإسرائيليين عدم حدوث ذلك.

- إتفاق سلام مع سوريا: مع كل ما يعنى ذلك، قال مصدر سياسى مؤخراً: «بدلاً من القيام بمظاهرة ضد وزارة الدفاع للانسحاب من لبنان، يجب على الإسرائيليين أن يقوموا بمظاهرة أمام مكتب رئيس الوزراء كى يبدأ فى محادثات مع سوريا». لم تطرح المؤسسة العسكرية مثل هذا الاحتمال فى الاجتماعات الأخيرة لمجلس الوزراء المصغر إزاء افتراض أن تنبأ هو لن يحصل على الأغلبية الائتلافية لتقديم تنازلات فى الجولان. أى لا مفر من الارتباط بين جنوب لبنان وهضبة الجولان.

منذ ١٧ عاماً وهم يقولون فى الجهازين السياسى والعسكرى أنه لا يوجد حل سريع فى لبنان. حتى الآن حدثت ضربات كثيرة فى لبنان، والقليل من الخطط طويلة الأجل. وفى هذه الأيام السابقة للانتخابات يجب مطالبة الزعماء الاعلان صراحة وبشكل تفصيلى عن مواقفهم فى هذا الموضوع الهام.

هآرتس ١٩٩٩/٣/٥

بقلم: رونين برجمان

حرب حزب الله للاستقلال

رُسل ومنفذى دولة إقليمية متطرفة لا تهاود وهى إيران. وطبقاً للأحداث التى لا حصر لها والتصريحات التى أدلى بها ضباط الجيش والسياسيون خلال السنوات الأخيرة، بأنه لولا دعم إيران وغض البصر السورى، ما كان جيش الدفاع واجه مشكلة فعلية فى مواجهة حزب الله. بل إن بعض الصحفيين والمطلعين على الأسرار وحتى مسئولين بالمؤسسة العسكرية حولوا علاقة حزب الله - إيران إلى مؤامرة تاريخية، وقالوا إن حزب الله يتعلم من الإيرانيين نفس الأساليب الذكية التى قام الموساد وجهاز الأمن العام بتعليمها للإيرانيين فى الستينات والسبعينات.

لا يجب الاستهانة بدعم إيران لحزب الله، ولكن خرافة أن الأذرع الطويلة لإيران هى التى تحارب إسرائيل فى لبنان خرافة مبالغ فيها.

فى المحاضرة التى ألقاها رئيس هيئة الأركان الفريق شاول موفاز منذ ثلاثة أسابيع، فى الاجتماع السنوى لمعهد الأبحاث الاستراتيجية بجامعة تل أبيب، سأل طالب شاب لماذا لا يتم إيقاف شحنات الأسلحة الإيرانية لحزب الله وهى فى مطار دمشق، أو وهى فى طريقها إلى لبنان. وتسأل الطالب: إذا كنا نعرف من الذى وراء الإرهاب فى لبنان، فلماذا لا نتصرف معه. وفى ظل عدم وجود إجابة فعلية على هذا السؤال قال رئيس الأركان بشئ من الدبلوماسية أنه لا يوصى بفتح جبهة ضد السوريين.

ومع ذلك، فسواء كلامه أو كلام رئيس المخابرات العسكرية الذى تحدث قبله، فقد تكررت الصيغة المحفوظة للمؤسسة العسكرية - أى - أن إسرائيل لا تحارب فى لبنان منظمة عصابات محلية، وإنما تحارب

هذا الاسبوع صرح المسئول عن ملف حزب الله بالمؤسسة العسكرية «من المريح لنا جداً أن ننتهم إيران، وهي دولة قوية ودولة إقليمية كبرى. ويصعب علينا جداً أن نعترف بأن شرذمة قوامها ٥٠٠ لبناني وعدة آلاف في الغلاف الخارجى يجعلون منا - نحن الأقوياء - ولدينا جيش الدفاع والموساد - سيركاً».

ليس من شك فى أن إيران قدمت مساهمة هامة فى إقامة حزب الله. منذ عام ١٩٨٣ نظرت طهران إلى لبنان على أنه موقع هام ويجب غرس عقيدة آية الله خومينى هناك. وقد رصد زعماء الدولة بشكل صحيح عملية اليقظة الشيعية فى لبنان، والتى بدأت قبل غزو جيش الدفاع وتصادت بعد عملية (سلام الجليل). فى تلك الفترة استثمرت إيران عن طريق الحرس الثورى موارد كثيرة فى لبنان، ونجحت فى تشكيل منظمة ربيبة تتشابه فى أهدافها مع أهداف الثورة، ولكن فى ثوب لبناني.

كانت إيران أكثر قرباً لحزب الله عن منظمات أخرى، حتى حماس والجهاد الإسلامى الفلسطينى. فقد صدرت فتوى فى إيران فى الثمانينات مهدت الطريق أمام حزب الله للقيام بعمليات فى لبنان أو فى أماكن أخرى من العالم. كذلك لم تخف إيران مساندتها المادية لحزب الله. بتنسيق إیرانى أصبحت معسكرات تدريب حزب الله (ويبدو أن ذلك مستمر إلى اليوم) معسكرات تدريب لمنظمات من جميع أرجاء الشرق الأوسط. فقد تلقى الكثيرون من المبعدين من حماس تدريباً عسكرياً فعلياً هناك، وبخاصة كيفية إعداد السيارات المفخخة. قام الإيرانيون بتزويد حزب الله بصواريخ ستنجر المضادة للطائرات. وكانت الولايات المتحدة قد أمدت المجاهدين الأفغان بهذه الصواريخ، وتم نقل الفائض الذى لم يطلق على طائرات الهليكوبتر السوفيتية إلى إيران ومنها إلى لبنان التى تستخدم حالياً ضد الطائرات العسكرية الإسرائيلية.

كذلك أقامت وزارة الاتصالات الإيرانية لحزب الله سنترالات داخلية كى لا تنتصت إسرائيل عليها. هذه السنترالات موجودة فى جيبشت وبيروت. وبمساعدة من خبراء إيرانيين أقام حزب الله وحدة تنصت، بل ودخل على خطوط التليفون لقيادات جيش الدفاع. كذلك اشترى خدمات بعض الفلسطينيين الذين يتحدثون العبرية من أجل التنصت على الاشارات اللاسلكية وتليفونات جيش الدفاع. من الجانب الثانى، تقدر جهات استخباراتية إسرائيلية للغاية مستوى السرية داخل حزب الله، وبخاصة منذ تصفية عباس موسى.

ومن جانب حزب الله، فإن مجلسه السياسى والعسكرى على إتصال بإيران. والحاج خليل حرب هو المنسق العملى، وهو أيضاً قائد مجموعات حزب الله بجنوب لبنان. وهذا الرجل يمثل التقدم الكبير لحزب الله منذ إنشائه، فهو أحد العقول اللامعة فى حزب الله، وهو أيضاً يمثل أعقد المشاكل بالنسبة لإسرائيل.

منذ بداية التسعينات أصبح حزب الله تحت قيادته جيشاً نظامياً أكثر من أن يكون منظمة سرية. ويعتبر خليل حرب بمثابة مفكر ومنفذ الحرب المخاطفة ضد مواقع جيش جنوب لبنان بهدف تحطيم الروح المعنوية له. تحت قيادته حقق حزب الله انجازات استخباراتية كبيرة، بها معلومات مفصلة عن هيكل مواقع جيش جنوب لبنان وجيش الدفاع الإسرائيلى. وقد عمل خليل حرب الكثير ضد جهاز الأمن وضد جهاز مخابرات جيش جنوب لبنان. مثلاً، قام رجاله فى عام ١٩٩٢ بقتل حسين عبدالنبي، قائد جهاز الأمن. حيث قام أحد القناصة بقتله عند معبر بيت ياجون مما سبب حزناً كبيراً فى جهاز الدفاع الإسرائيلى على الرجل الذى أطلق عليه (القط ذو التسع أرواح). بعد الاغتيال نشرت صحيفة حزب الله (العهد) أسماء ضباط المخابرات الإسرائيليين والعملاء اللبنانيين الذين كان عبدالنبي سيلتقى بهم، وهذا يدل على وجود جاسوس يعمل لصالحهم داخل جهاز الأمن لجيش جنوب لبنان.

كلما مرت السنون ورسخ حزب الله سطوته السياسية والعسكرية فى لبنان، أصبح يمثل تحدياً أكبر وأكبر للمؤسسات العسكرية الإسرائيلية التى تصر على التواجد فى جنوب لبنان. فى نفس الوقت، ضعف حماس تصدير الثورة فى إيران، وأصبحت هناك حساسية تجاه رأى العام الدولى الذى أدان التسورط فى الارهاب إضافة إلى تزايد الأزمة الاقتصادية الداخلية.

وإذا كانت العلاقات فى البداية غير متوازنة، حيث كانت إيران تملى على حزب الله سياسة التنفيذ، إلا أنه منذ بداية التسعينات أصبحت العلاقة متوازنة جداً وذات ندية.

مازالت إيران تتدخل فى لبنان، ويرسل زعماء حزب الله إليها المتدربين، ولكن المقاومة - وهو اللفظ الذى يطلقه حزب الله على نفسه - أصبحت اليوم منظمة مستقلة، ذات أساليب عمل ذكية خاصة بها.

يضيف المسئول بالمؤسسة العسكرية: «فكروا فى قصص الطائرات المحملة بالعتاد الذى يصل من إيران، يمكن التفكير فى السلاح الحديث جداً الذى يستخدمه حزب الله، وهم يستطيعون الحصول على كافة الأنواع من

السوق اللبنانية، إذا لم يحصلوا على صواريخ كاتيوشا من إيران يمكنهم أن يشتروها من أحمد جبريل أو جورج حبش. كذلك البنادق الكلاشينكوف والمواد المتفجرة يمكن الحصول عليها بسهولة. ولذلك من السهل شن حرب عصابات ضد جيش نظامي يسيطر على منطقة محتلة».

وبالنسبة للقصص التي تقول إن التدريب الإسرائيلي للإيرانيين منذ السبعينات هو الذي يحرك العجلات العملية والاستخبارية لحزب الله، فهي مرفوضة من جانب بعض رجال المخابرات الإسرائيلية الذين يقولون: إن هذه الأسطورة تحمل بعض الاستهانة بذكاء جيراننا. أولاً نحن لم ندرب جهاز الأمن الإيراني (السافاك) في عهد الشاه على أعمال المخابرات الداخلية وأساليب السرية الداخلية. ثانياً، اختلاق ظروف الأرض في لبنان تماماً. ثالثاً، وهذا أهم من كل شيء، يمكن الاعتقاد أننا قد اخترعنا في المخابرات مقولة بأن إيران وسوريا لا تعرفان كيف يتم تجنيد عميل، وما هي المخابرات الايجابية، وما هي المخابرات الوقائية، وما هو أمن الميدان، ولا تستطيعان تعليم ذلك لحزب الله».

يعتقدون في المؤسسة العسكرية بأنه لو هناك قطرة علم استخباري من إسرائيل في حزب الله، فإن ذلك غير مرتبط تماماً بالسبعينات، بل يحدث يومياً وكل ساعة في لبنان. قبل حرب لبنان قامت إسرائيل بإعداد العشرات من رجال المخابرات من الكتائب المسيحية من خلال دورات مخابراتية مكثفة في مدرسة الموساد. منذ ذلك الحين قام المسيحيون وبخاصة رئيس مخابراتهم، سمير جعجع، بالاستفادة من عملية العلاقة مع إسرائيل، وأصبحوا بالفعل عملاء لسوريا. وهم اليوم على علاقة طيبة بحزب الله.

كذلك جزء كبير من الذين يخدمون في جهاز أمن جيش جنوب لبنان الذي تستخدمه إسرائيل، دروز وشيعة من سكان الحزام الأمني. لقد مارس حزب الله معهم أساليب مختلفة ليجندهم، منها تهديد أقاربهم في بيروت ودفع أموال لهم مقابل معلومات. في الوقت ذاته، هناك افتراض بأن الدروز في جهاز الأمن لا يرون أن هناك أي مشكلة في اطلاع أعضاء الحزب التقدمي الاشتراكي - التابع لوليد جنبلاط - على المعلومات التي لديهم. وهؤلاء يتعاونون مع حزب الله.

إن حزب الله الحالي يعد خصماً أكثر ضراوة من منظمة التحرير قبل حرب لبنان. إنه يهزم إسرائيل في جميع

المجالات تقريباً، والأفضلية العليا لجيش الدفاع هي فقط التي تتيح استمرار وجوده في لبنان.

كذلك فيما يتعلق بالحرب النفسية يؤدي حزب الله عملاً جيداً جداً يختلف عن الذي يقوم به جيش الدفاع وجيش جنوب لبنان. يوجد حالياً في حزب الله من يرصدون كافة الأحداث السائدة داخل الجماهير الإسرائيلية، ويقومون بتحليلها ويحاولون استخدامها لصالح المنظمة. إنهم يقرأون الصحافة الإسرائيلية ويترجمونها ويعرضون أجزاء مختارة منها (ونقلها حرفياً) في أجهزة إعلامهم، وذلك حتى يعلم الجمهور اللبناني أن إسرائيل تلين، ومع المزيد من الضغط، ينسحب جيش الدفاع من لبنان. وقد صدق العميد أرز جرشتاين على نحو ما، عندما قال أن نشاط منظمة الأمهات الأربع يضعف الصمود الإسرائيلي في لبنان. كذلك يدركون في جيش جنوب لبنان أن إسرائيل في طريقها للرحيل. وهذا الأمر يضر جداً بحافز المساعدة لجيش الدفاع، وكثيرون منهم يعدون هذه الأيام خطة للهروب ويحتمل أنهم يعملون لصالح حزب الله. من خلال الاعلام الإسرائيلي أدركوا في قيادة حزب الله في بيروت، أن هناك حساسية كبيرة جداً تجاه سقوط الجنود في الأسر. من المعتقد أنه إلى جانب الثمن الذي يمكن دفعه مقابل جندي إسرائيلي حي، فإن السقوط في الأسر في حد ذاته وإجراء صفقة تبادل تعتبر ضربة قاصمة للروح القومية في إسرائيل.

منذ ثلاث سنوات اصطدمت قوة من لواء جولاني بمجموعة مخربين في طريقهم بالقرب من موقع دلعت.. فتحت القوة النيران وقتلت المخربين، وأثناء عملية التمشيط بعد ذلك اكتشف الجنود أن إحدى الجثث لشخص ضخم. قال أحد الجنود الذين شاركوا في العملية أن هذا الشخص المقتول كان طوله ما بين ١٩٠ سم إلى مترين، قبل رفعه على السيارة، بحث الجنود في جيوبه واكتشفوا وجود كمية كبيرة جداً من المواد المخدرة، وبخاصة كبسولات مورفين. ويؤكدون في الجيش أن الرجل لم يكن يحمل هذه المواد للتغلب على الآم الأسنان، بل إنه اختير لمحاولة الإمساك بجندي إسرائيلي أثناء المعركة، وتخديره والهروب به من المنطقة.

هذا الأسبوع، مع مقتل العميد جرشتاين، وبعد الاعتقاد أن ما جرى في لبنان هو أسوأ شيء، يعتبر في الجيش سيناريو اختطاف جندي من جنوب لبنان إلى مشارف ضواحي بيروت، كابوساً مفرعاً.



إسرائيل / شئون داخلية

معاريف ٨/٣/١٩٩٩

بقلم: أمنون دينكر

فشل التأمين

قبل خمس سنوات دعاني بنيامين نتنياهو للقاءه وأسمعتني شكوى.. وسألني قاتلاً كيف يحدث هذا.. لماذا لا تضع الحكومة حراسة حولي كزعيم للمعارضة ولا تهتم بحياتي؟ وسألته: هل يشعر بأن هناك شيء يهدده؟

ومن عساه يكون المستفيد من هذا التهديد، أو من الذي يهدده؟ ولم يفكر نتنياهو ولو لثانية واحدة وقال على الفور أن الخطر الذي يحدق به يكمن في العملاء الإيرانيين. ومن المعروف أنني اتحدث وأكتب كثيراً عن النظام الإيراني وأندد به وأعمل بكل قوة في الساحة الدولية حتى أحذر الجميع من الخطر النووي الذي تتسلح به هذه الدولة.. هذا ما قاله نتنياهو. وألمح نتنياهو إلى أن لديه معلومات تفيد أن الإيرانيين يرون أنه يشكل تهديداً عليهم.

وتذكرت هذا الحديث قبل عدة أشهر عندما قمت بزيارة شخصية كبيرة في الدولة في منزلها. وهذه الشخصية التي لن أذكر اسمها لأسباب معروفة للجميع هدف للأرهاب. حيث أن اسمها ذكر كهدف لعملية إرهابية أكثر من مرة في التحقيقات التي أجراها جهاز الشين بيت. ومن المعروف أن بعض الأشخاص الذين خططوا بالفعل لاغتيال هذه الشخصية قد قبض عليهم وجري تحقيق معهم.

وشعرت بالدهشة عندما رأيت أن هذه الشخصية لا تتمتع بأي نوع من التأمين، حيث لا يوجد حوله حراس شخصيين وليست هناك حراسة حول منزله ولا يوجد حتى شرطى واحد على مقربة من منزله. وعلى الرغم من أن هذه الشخصية غير محببة إلى نفس رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، إلا أن الخطر الذي تواجهه هذه الشخصية هو خطر يومي وأخطر بكثير من نظرية المؤامرة الإيرانية التي القاها بنيامين نتنياهو على مسامعي في ذلك الحديث الذي اشرت اليه.

وفي النهاية فإن قرار وأيضاً مسؤولية تحديد التأمين في أيدي رئيس الوزراء. وعلى الرغم من أن هناك لجنة خاصة

توصي وتحدد الأشخاص الذين يجب وضع حراسة عليهم - إلا أن توصيات هذه اللجنة توضع على مكتب رئيس الوزراء وهو الذي يحدد ويتخذ القرار. والذي نراه في أرض الواقع ليس إلا تأمين هستيري من حيث الكم والكيف - حول رئيس الوزراء نفسه - مع إهمال شديد فيما يتصل بتأمين الشخصيات الأخرى على الرغم من الخطر الذي يهددها.

وتجدر الإشارة إلى أن عضو الكنيست يوسي ساريد هو خير مثال على ذلك. وعلى الرغم من أن آرائه السياسية كانت لا تعجب قطاعات كبيرة من الجماهير في الماضي وكانت تصف هذه الآراء بأنها فضيحة إلا أن هذه الآراء أصبحت الآن منتشرة بين قطاعات كبيرة من الجماهير، يعتنقونها ويؤمنون بها ويرددونها. ومع ذلك فإن ساريد مازال يعتبر بمثابة شخصية مكروهة وغير مرغوب فيها بالنسبة لأعضاء اليمين المتطرف وبالنسبة للقطاع العنيف من الجماهير المتدينة.

وكل إنسان عاقل يعرف أنه يجب أن تكون هناك حراسة حول يوسي ساريد، ولكن هذا لم يحدث. وكانت شرطة إسرائيل قد أعلنت صباح أمس أن ساريد مؤمن بواسطة رجال الشرطة الذين يقومون بدوريات حول منزله. ولكن ساريد نفى ذلك نفياً قطعياً. وإذا كانت سيارات دورية الشرطة تمر كل ساعة أو ساعتين بجوار منزله، هل يمكن أن يمنع ذلك المساس بساريد؟

وكان صوت إسرائيل قد ذكر قبل عدة أسابيع أن أحد الحاخامات في القدس قد تحدث في أحد اللقاءات المنزلية عن الأسباب التي تبيح قتل ساريد. وقيل في ذلك الوقت أن الشرطة قد أجرت تحقيقاً... حسناً.. ولكن منذ ذلك الحين لم نعرف أي شيء عن إجراءات التحقيق أو نتائجه. وبالأمر كانت هناك ضجة كبيرة حول قضية إسرائيل

بونديك الذي دعا في اذاعته الخاصة إلى قتل ساريد. ومن السهل الافتراض بأن بونديك سوف يعتقل عن قريب ويتم التحقيق معه ويقدم للمحاكمة.

ولكن المشكلة لا تكمن فقط في المحرضين ولكن في الذين يتم تحريضهم والذين لا يمكن القاء القبض عليهم لأننا لا نعرف من هم بالضبط ويجب التصدي لهم بواسطة زيادة وتكثيف وسائل التأمين حول المستهدفين واعتقد أن هذه الدولة تضم عدداً غير كبير من الشخصيات المستهدفة

بسبب نشاطهم.

وفي حالة عدم وجود تأمين وحراسة حولهم فإن هذا دليل على أن هناك شيئاً ما خاطئ ومعيّب في تفكير المسؤولين عن هذا التأمين وعلى رأسهم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو الذي طالب بأن تكون هناك حراسة حوله عندما كان في منصب زعيم المعارضة على الرغم من أن الأسباب التي ذكرها كان مشكوك فيها.

هآرتس
١٩٩٩ / ٣ / ٩
شحر ايلان

توجيه ٣٧٪ من مخصصات الروابط للتعليم الحريدي

وحتى نهاية عام ١٩٩٨ سبعة وعشرين ألف رابطة. وبينما قدر تعداد هذه الروابط في عام ١٩٨١ بأربعمئة رابطة فقد بلغ تعدادها في عام ١٩٨٢ ألف وأربعمئة رابطة. ومنذ ذلك الحين فقد كانت تتشكل سنوياً ما يقرب من ألف ستمائة وخمسين رابطة.

وبعد ٤١٪ من هذه الروابط بمثابة روابط دينية أو "حريدية" إذ يغلب الطابع الديني على أنشطتها وأهدافها، ونذكر من بين هذه الروابط منظمات التعليم الحريدي، وصناديق إعانة العجائز الحريدية والمعابد والمنظمات الدينية التي نذكر من بينها منظمة "حيد" الدينية المتطرفة. ومن الوارد أن عدد المنظمات الدينية يفوق التصور.

ويجب أن نضع في اعتبارنا أن الأحزاب الدينية تحظى حالياً بثلاثة وعشرين مقعداً في الكنيست، أي أنها تحظى بأقل من ٢٠٪ من مجمل مقاعد الكنيست، غير أن عدد الروابط الدينية يفوق بكثير حجم القطاع الديني في إسرائيل. ويرى البروفيسور "جدرון" أن حصول الروابط الدينية المنتمسة إلى القطاع الديني على هذا الدعم الحكومي لا نجد له نظيراً في أية بقعة من الأرض.

وقد شهدت نهايات عام ١٩٩٨ ارتفاعاً ملحوظاً في عدد الروابط الدينية إذ بلغ تعدادها آنذاك ٦٣٢٥ رابطة أي أنها شكلت ٢٣,٥٪ من مجمل الروابط في إسرائيل، هذا بالإضافة إلى أن ستة آلاف رابطة من بين هذه الروابط كانت روابط يهودية.

أما الروابط التي تأسست لتحقيق أهداف دينية فقد زاد عددها بشكل ملحوظ خلال أعوام ١٩٩٢-١٩٩٤، فنجد أن حوالي ٣٠٪ من الروابط التي تشكلت في تلك السنوات كانت روابط دينية. ومن الصعوبة بمكان ألا تربط هذه الزيادة بذلك القانون الذي طبق في عام ١٩٩٢ والذي نص على ضرورة توزيع المخصصات المالية على ضوء معايير ومقاييس متساوية، ومن هنا فقد تزايدت منذ ذلك العام فرص حصول الروابط الدينية العاملة لتحقيق أهداف دينية على مخصصات مالية.

تفيد معطيات المركز الإسرائيلي المتخصص في دراسة شؤون المجتمع المدني التي تنشر هنا للمرة الأولى أنه تم توجيه ٣٧٪ من المخصصات المالية التي قدمتها الدولة للروابط والمنظمات إلى مجال التعليم الحريدي (المتشدد دينياً)، فقد حجم المساعدات المالية المقدمة إلى المنظمات التعليمية المتشددة دينياً خلال عام ١٩٩٧ بحوالي مليار شيكل. وبينما كانت مخصصات القطاع الحريدي تقدر خلال عام ١٩٩١ بستمئة مليون شيكل فقد أصبحت تقدر في عام ١٩٩٧ بـ ٢,٧ مليار شيكل أي بزيادة تقدر بنحو ١٣٠٪ ويقدر عدد الروابط الدينية أو الحريدية في إسرائيل بحوالي أحد عشر ألف رابطة، تمثل ٤١٪ من مجمل الروابط الموجودة في إسرائيل.

وقد عقد المركز التابع لجامعة بن جوريون الواقع في بئر سبع والذي يرأسه البروفيسور بنيامين جدرون اجتماعه السنوي في فندق "هيطا" المطل على ساحل البحر الميت، بإسرائيل، ندوة عن ذلك المجتمع الذي يضم في صفوفه الروابط والمنظمات التي تعمل لأهداف غير ربحية.

وقد أطلق على هذه المنظمات تعبير القطاع الثالث خاصة أن القطاعين الأولين يتمثلان في القطاعين العام والخاص ومن المؤسف أنه ليست لدينا وقرة في المعلومات عن هذا القطاع فضلاً عن أن المعلومات النادرة المتوافرة عنه متناثرة في أوساط جهات مختلفة، ومن هنا ولهذا السبب فقد أسس هذا المركز وحدة معلومات خاصة تتضمن معطيات مختلفة عن هذه الروابط، وعن المخصصات المالية التي تتلقاها. وقد شارك هذا المركز في مشروع "هوبكينز" الذي تم في إطاره التعرف على ملامح هذه المنظمات في حوالي ثلاثين دولة. وفي إطار هذا المشروع فقد تم تصنيف الروابط وفقاً لتخصصاتها أو مجالات أنشطتها. ويساعد هذا التصنيف على تفهم مكانة الروابط الدينية و"الحريدية" (أي المتشددة دينياً) في منظومة الروابط والمنظمات المدنية في إسرائيل.

وتفيد معطيات هذا المركز أنه قد تأسست في إسرائيل منذ عام ١٩٨١ الذي تم فيه السماح بتأسيس مثل هذه الروابط

الروابط العربية :

وبينما تمثل الروابط العاملة في القطاعين الديني والحريدي ٤١٪ من مجمل الروابط فإن عدد الروابط العاملة في القطاع غير اليهودي تقدر بألف رابطة فقط أي أنها تشكل ٤٪ من مجمل الروابط ، ومن الواضح أيضا أن عدد الروابط العاملة في قطاع التعليم غير اليهودي ضئيل للغاية إذ يقدر بحوالي مائة رابطة فقط ، كما أن عدد الروابط الدينية غير اليهودية يقدر بحوالي مائتي وخمسين رابطة .

ويرى البروفيسور "جردون" أن أسباب تضائل عدد الروابط العربية تتمثل في أنه يتم اتباع سياسة التمييز عند توزيع المخصصات المالية فضلا عن اختلاف طبيعة الثقافة السياسية في أوساط القطاع العربي . ويفسر "جردون" موقفه بقوله إن المنظمات الخيرية تعد جزءا قديما من تاريخ اليهود منذ أن أقاموا في الجيتو بأوروبا ، ومن ثم فلم يجد الحريديم صعوبة في تقبل شكل الروابط ، وفي المقابل فإن المنظومة الاجتماعية العربية تقوم على مفهوم الأسرة ، ذلك المفهوم الذي تقوم الروابط على تحطيمه . وعلى حد قوله فإن الفلسطينيين المقيمين في إسرائيل والمتأثرين بثقافتها السياسية يقيمون عددا أكبر من الروابط مقارنة بما هو سائد في مصر والأردن . ولم تظهر فكرة المجتمع المدني في المجتمع العربي إلا مؤخرا .

وإذا كانت الروابط الدينية تشغل المرتبة الأولى في سلم المنظمات والروابط المدنية فإن الروابط المعنية بالتعليم والبحث تشغل المرتبة الثانية ، فيقدر عدد المنظمات المعنية بهذين المجالين بخمسة آلاف منظمة أي أنها تشكل ١٩٪ من مجمل الروابط ، غير أن ٣٥٠٠ منظمة منها أي حوالي الثلث تعد دينية أو حريدية .

وتعمل في إسرائيل أيضا حوالي ٣٣٥٠ رابطة خيرية ، غير أن ١٦٨٠ رابطة من هذا العدد سالف الذكر تعد حريدية . وقد أفادت الدراسة التي أعدها المركز المعنى بدراسة المجتمع المدني أنه بينما توجد في منطقة بني براك حوالي ٢٦٠ منظمة خيرية حريدية فتوجد في تل أبيب التي تعد واحدة من أكبر المدن الإسرائيلية ١٢٥ منظمة ، كما توجد في منطقة "حدره" سبع منظمات فقط . وتوضح هذه المعطيات مدى زيف الادعاءات التي يرددها الحريديم والتي مفادها أنهم يقدمون خدماتهم على نحو متساو لكل من العلمانيين والحريديم .

وعند تصنيف هذه الروابط على مقاييس أخرى غير تلك المقاييس الخاصة بمجالات أنشطة المنظمات نجد أن الروابط الدينية تشغل الأماكن الثلاثة الأولى في سلم الروابط الموجودة في إسرائيل فنلاحظ على سبيل المثال أن عدد الروابط التابعة للمعابد يقدر عددها بـ ٢٩٠٠ رابطة أي أنها تشكل ١١٪ من مجمل الروابط في إسرائيل . أما المرتبة الثانية فتشغلها منظمات الديانة اليهودية التي يقدر عددها بـ ٢٧٠٠ رابطة ، تشكل بدورها ١٠٪ من مجمل الروابط . أما المرتبة الثالثة فتشغلها الروابط التابعة

للأكاديميات التلمودية المتخصصة ويقدر عددها بـ ٢٦٥٠ رابطة مشكلة بالتالي ١٠٪ من مجمل الروابط . أما المرتبة الرابعة فتشغلها المنظمات الرياضية ويقدر عددها بحوالي ١٤٠٠ رابطة مشكلة ٥٪ من مجمل الروابط .

مجتمع المؤسسات :

ولا يمكننا تفسير كثرة الروابط الحريدية في المجتمع إلا من خلال الرجوع إلى تلك الأبحاث التي أعدها البروفيسور مناحيم فريدمان المتخصص في شؤون المجتمع الحريدي . ويرى فريدمان أن هذا المجتمع يقوم على كثير من المؤسسات التعليمية والدينية والخيرية ، وأنها تعد بمثابة الأساس الاقتصادي للمجتمع الحريدي ، بل والنواة التي تتطور من خلالها المناطق السكنية الحريدية . ويحرص الفكر الحريدي على تأسيس المؤسسات في البداية ، تلك المؤسسات التي يتلو تأسيسها إقامة مراكز سكنية .

وتعد مؤسسات التعليم الحريدية التي يتلقى فيها الطفل الحريدي منذ نعومة أظافره دراسته الدينية ، والتي يقضي فيها معظم ساعات اليوم بمثابة الحاجز الذي يحول بينه وبين المجتمع العلماني . وتتمتع مؤسسات التعليم الحريدية الطفل من الانخراط في أي لقاء جاد مع العلمانيين بل ولا تقدم لتلاميذها تلك المعارف التي يمكنها أن تؤهلهم للعمل فيما بعد . وفي حقيقة الأمر فإن المؤسسات الخيرية التابعة للمجتمع الحريدي تزيد من ارتباط الفرد الحريدي بالمجتمع . وتعد هذه المؤسسات بمثابة العامل الرئيسي الذي يقف حائلا دون تفكك المجتمع الحريدي ، تلك الظاهرة التي اعترته خلال السنوات الماضية ، غير أن البحث الذي أعده المركز الإسرائيلي لبحث شؤون المجتمع المدني يفيد أن الدولة تمول جزءا كبيرا من أنشطة المجتمع الحريدي إذ أن الدولة تسد الضرائب الجارية .

ولا يمكننا في هذا المجال أن نتجاهل أيضا حقيقة أن عددا كبيرا من الروابط يحرص على الترويج لايديولوجيته الدينية ، وتشجيع أبناء المجتمع على التوبة والانتماء إليها . ويجب أن ننتبه هنا إلى أن المعطيات التي قدمها المركز المعنى ببحث شؤون المجتمع المدني لا تميز بين الروابط الدينية التي تقدم خدمات للمجتمع الديني وبين تلك التي تحرص على ترويج فكرها الايديولوجي وعلى تشجيع الآخرين على التوبة .

٢,٧ مليار شيكل للروابط :

وقد صب هذا المركز جل اهتمامه على المعلومات المتعلقة بالمخصصات التي قدمتها الدولة للروابط خلال أعوام ١٩٩١-١٩٩٧ ، تلك الفترة التي ارتفع فيها حجم المخصصات على نحو ملموس فبينما كانت تقدر قيمتها خلال عام ١٩٩١ بستمئة مليون شيكل فقد قدرت في عام ١٩٩٧ بـ ٢,٧ مليار ، وتعني هذه الأرقام أن قيمة المخصصات قد تضاعفت خلال هذه الفترة أربع مرات . وتمثل أسباب هذه الزيادة في النقاط التالية :

*تطور منظومة التعليم الحريدي ، وتلك الخاصة بالأكاديميات التلمودية المتخصصة ، ومنظومة المؤسسات

التابعة لحزب شاس .

*كان من بين نتائج إلغاء التبرعات الخاصة، إجبار المنظمات الحزبية على اقتسام المخصصات المالية مع عدد آخر من المنظمات . وقد استلزم الحفاظ على مستوى المخصصات المالية رفع قيمة المخصصات .

وقد أقر القانون الإسرائيلي في عام ١٩٩٢ بضرورة توزيع المخصصات المالية وفقاً لمعايير متساوية ، ومن هنا فقد كان من بين نتائج إلغاء التبرعات الخاصة أن المخصصات المالية كانت توزع على عدد أكبر من المؤسسات . ومن المعروف أنه بينما كانت الدولة تقدم في عام ١٩٩١ مخصصات مالية لحوالي ٢٢٠٠ مؤسسة فقد قدمت في عام ١٩٩٧ مخصصات مالية لحوالي ٣٩٠٠ رابطة ، أي أن عدد المؤسسات قد ارتفع بنسبة ٧٥٪ . وعلاوة على هذا فبينما قدرت قيمة المخصصات المالية التي كانت الدولة تقدمها لكل مؤسسة بمائتي وسبعين ألف شيكل فقد أصبحت تقدر بسبعمئة ألف شيكل .

وتفيد نتائج التقارير التي تصدرها مراقبة الدولة ، والتقارير الصحفية عن هذه الروابط أنه ليس بمقدور الدولة مواجهة هذه الزيادة الضخمة في عدد الروابط أو المخصصات المالية . ويرى البروفيسور "جدرون" أن تزايد عدد الأكاديميات المتخصصة في الدراسات التلمودية تؤدي فضلاً عن تشتت مؤسسات التعليم الحريدي، إلى الفساد خاصة أنه بينما كان من الممكن إخضاع المؤسسات التعليمية الحريدية للإشراف في ظل الفترة التي كانت تتبع فيها للمؤسسات التعليمية التقليدية ، فقد أصبح هذا الأمر من المتعذر حدوثه في ظل هذه الحالة من التشتت والتبعثر . ويرى المحامي امنون دي هرطوخ المستول عن مهمة إقرار المعايير التي من الواجب إتباعها عند توزيع المخصصات المالية ، تلك المهمة التي كلفه بها مكتب مستشار الحكومة القانوني يرى أنه من الواجب أن يتم تأسيس هيئة تتولى بدورها مهمة الإشراف على المخصصات المالية ، ويرى أنه من الممكن رصد ٢٪ من مجمل مخصصات الدولة لتمويل أنشطة هذه الهيئة . وفي المقابل تتزايد في أوساط الدولة قوة تلك الاتجاهات الداعية إلى خصخصة الإشراف أي قيام بعض مراقبي الحسابات العاملين في بعض الجهات الخاصة بتولي مهمة الإشراف .

٣٧٪ من المخصصات للتعليم الحريدي:

ويجب ألا يشعر المرء بالدهشة عند معرفة أن وزارتي الأديان والتعليم تتوليان مهمة توزيع ٩٠٪ من المخصصات فقد رصدت وزارة التعليم في عام ١٩٩٧ ما يربو على ١,٥ مليار شيكل لمؤسسات التعليم الحريدية أي أنه تم توجيه ٥٦٪ من مجمل مخصصات الدولة حينئذ إلى دعم هذه المؤسسات . وقامت وزارة الأديان في ذات العام بتخصيص ٩٢٠ مليون شيكل لذات الغرض ، ذلك المبلغ الذي مثل في حينه ثلثي ميزانية الوزارة .

وتعد منظمات التعليم الحريدية من أكثر المنظمات الإسرائيلية حصولاً على هذه المخصصات، فحصلت هذه

المنظمات خلال أعوام ١٩٩١ - ١٩٩٧ على ٣٧٪ من مجمل المخصصات ، وبينما حصلت هذه المنظمات في عام ١٩٩٦ على سبعمائة مليون شيكل فقد حصلت في عام ١٩٩٧ على مليار شيكل ، الأمر الذي يدل على أن المخصصات المالية لهذه المنظمات ارتفعت بما تقدر قيمته بـ ٤٤٪ عقب مضي عام واحد على تولي بنيامين نتنياهو لمقاليد السلطة .

وحتى تتضح لنا كل أبعاد الصورة فيجب أن نضع في اعتبارنا أن المنظمات المعنية بالفنون والثقافة تحصل سنوياً على حوالي ١١,٥٪ من مجمل المخصصات فقد بلغت قيمة ما حصلت عليه في عام ١٩٩٧ ثلاثمائة مليون شيكل .

تضاؤل المخصصات في عام ١٩٩٥ :

ولم تتضاءل قيمة المخصصات المالية المكرسة للقطاعين الديني عامة والحريدي على وجه الخصوص إلا في عام ١٩٩٥ ، أي ذلك العام الذي نجح فيه حزبا العمل وميرتس في تشكيل الحكومة دون الرجوع إلى الأحزاب الدينية ، ومن هنا فبينما قدرت قيمة المخصصات المالية للتعليم الحريدي قبل عام ١٩٩٥ بـ ٧١٠ مليون شيكل فقد أصبحت تقدر بـ ٥٩٠ مليون شيكل أي أنها تتضاءلت بنسبة تقدر بـ ٢٧٪ وقد تضاءل أيضاً عدد المنظمات التعليمية الحريدية بحوالي ٢٠٪ فبينما كان عددها يقدر بـ ١٨٠٠ منظمة فقد تضاءل ليقدر بـ ١٤٥٠ منظمة . وشمل التضاؤل أيضاً عدد المعابد التي تحظى بالمساعدة ، فبينما كان يحظى حوالي ٣١٤ معبداً بالمساعدة فقد أصبح عددها يقدر بحوالي ١٨٦ أي أن قيمة الانخفاض قدرت بحوالي ٤٠٪ وفي المقابل فقد ازدادت في ظل حكومة رابين قيمة المخصصات المالية الموجهة للمنظمات المعنية بالحفاظ على البيئة ، ومنظمات التعليم العالي .

وفي المقابل فقد شهد عام ١٩٩٦ الذي تولى فيه بنيامين نتنياهو مقاليد السلطة ارتفاعاً ملموساً في قيمة المخصصات المالية الموجهة للمنظمات والروابط الدينية فبينما بلغت قيمة المخصصات المالية المكرسة للمنظمات الدينية في عام ١٩٩٥ - ٣٢ مليون شيكل فقد قدرت في عام ١٩٩٧ بـ ١١٢ مليون شيكل ، كما أنه بينما قدرت قيمة المخصصات المالية للمعابد في عام ١٩٩٥ بـ ٢٥ مليون شيكل فقد قدرت في عام ١٩٩٦ بـ ٣٨ مليون شيكل أي بزيادة تقدر نسبتها بحوالي ٥٠٪ .

ويعلق البروفيسور "جدرون" على هذه المعطيات بقوله إن هذه التحولات والتغيرات التي تطرأ على المخصصات ونظم الأولويات توضح مدى تأثير ميزانية المخصصات المالية بالاعتبارات السياسية ، وعلى حد قوله فإن الانخفاض الذي طرأ على قيمة المخصصات المالية في عام ١٩٩٥ يعد على قدر كبير من الأهمية إذ يثبت أنه من الممكن التوقف عن تقديمها ، وأنها ليست ضرباً من القدر الذي كتب على المرء أن يرضخ له .

إسرائيل / انتخابات

الملحق السياسي لجريدة معاريف

١٠ / ٣ / ١٩٩٩

بقلم : أفراهم تيروش

رأس بلا جسد

مناسبون بشكل أفضل ، ولكن فقط بسبب الظروف وصل بهم الأمر للوضع الموجودين فيه والذي اضطروا فيه تنصيب موردخاي عليهم من أجل دفع الروح في توحيد القوى والصفوف في الوسط .

والجمهور مندهش كذلك ، ماذا يعطلهم بهذا الشكل في تشكيل القائمة للكنيست . وماذا سيعرفون بعد اسبوعين أو ثلاثة عشية تقديم القوائم ما ليس معروفا لهم اليوم ؟ ولماذا الإطالة لهذا الحد في فترة التسابق الداخلي فيما يتعلق بهذا الشأن ، والذي يعكس صفو الأجواء ؟

إن الوضع يحتمل تفسيراً واحداً : فهناك معركة تدور بين الرؤساء حول التكتل الذي سيكون لكل واحد منهم في القائمة المشتركة حتى يكون مهيئاً لليوم المناسب ، أي لليوم الذي سيتفكك فيه الإطار . إن ذلك الوضع يبعث على نقص أو إنعدام الثقة في قدرة هذا التنظيم على التماسك على مدى الوقت . إن التجربة المبررة لحزب داش (جيل السلام) يعرف زعماء الوسط أنها من الممكن أن تحدث لهم ، وذلك عندما يتجمع أصحاب المراكز المختلفة في معسكر واحد تحت غطاء هدف مشترك - وفي هذا الوضع هو تغيير نتيما هو - بدون دراسة متعمقة للأفكار الأيديولوجية .

إن رؤساء حزب الوسط وبالذات موردخاي يتفخرون بطريق الوسط الذي ينتهجون ، والذي يمزج حسب زعمهم غير المتطرفين من اليمين ومن اليسار معاً . ولكن بالذات هذا الامتزاج من الممكن أن يكون وبالاً عليهم ، حيث أننا لسنا بصدد الحديث هنا عن حزب وسط آلي ذو أفكار ومواقف سياسية واقتصادية - اجتماعية واضحة للوسط السياسي مثلما على سبيل المثال للحزب الليبرالي في الماضي ، بل نحن بصدد تكتل بحاجة لمزيد من الوقت وبين أفراده فجوات في الآراء في الموضوعات الجوهرية ، فجوات مازالت كبيرة

إن المماثلة في تشكيل قائمة حزب الوسط تدل على تردد ومن المحتمل أن تضر بصورة الحزب ويفرض نجاحه .

يوجد حزب الوسط ويوجد إسحاق موردخاي . والصحيح حتى اليوم ، أنهما ليسا أمرين يسيران معاً . إن موردخاي يجري للأمام في معركة الانتخابات ، في حين أن الحزب يظل في هذه المرحلة في الخلف . فالحزب لديه مرشح لرئاسة الحكومة وهو يقوم بدفعه للأمام - وفي الواقع أنه يدفع نفسه - ولكن الحزب ليس لديه قائمة مرشحين للكنيست ، وبذلك ليس لهم أحد يدفعونه لهنالك . رأس يعدو بدون جسد .

إن الحزب لا يحسن بذلك الفعل لنفسه . بل العكس إنه يتلقى صورة حزب المماثلة ورؤسائه يبدو مترددين . ويصعب عليهم إتخاذ القرار ، سواء بسبب طبيعتهم أو بسبب مشاكل داخلية . فالحزب له تاريخ من ذلك البقاء المتردد . ففي البداية لم يستطع شاحاك ومريدور الوصول إلى اتفاق بينهم ، وظلوا يماطلون ويماطلون ، حتى جاء موردخاي وسحب السجادة من تحت أقدامهم . إن موردخاي نفسه تردد وتخطب وماطل حتى قرر إتخاذ الخطوة للانتقال من الليكود إلى الوسط . والآن ، يضيعون الوقت منذ عدة أسابيع مع القائمة للكنيست .

إن الجمهور ليس غيبياً . إنه يرى ويقرأ جيداً ما يحاولون إخفائه عنهم . إنه يرى التركيز على موردخاي ويرى اختفاءهم النسبي من المعركة ومن الإعلام بالنسبة لشركائه الثلاثة في الزعامة . وبالذات أمنون شاحاك المرشح السابق للزعامة .

وأحياناً يبدو أن شاحاك كان يرغب في النزول من الأمر كله وفقط يعود لبيته سالماً .

والجمهور يشعر أيضاً أن من يعتقد أن موردخاي هو أفضل مرشح في الوسط لرئاسة الحكومة ، هو في الأساس موردخاي نفسه . فإب الثلاثة الآخرين - شاحاك ، مريدور ، وميلو - متأكدون وواثقون ، كل واحد على حدة - أنهم مرشحون

وخطيرة . وعلى سبيل المثال تلك الفجوة في المجال السياسي بين مريدور ، وماجين وزيندبرج من ناحية ، وبين شاحاك ، وميروم وزفيللي من ناحية أخرى . أو في المجال الاقتصادي - الاجتماعي بين آخر اثنين ومعهم موردخاي وبين مريدور وميك .

إن اسحاق موردخاي حسب استطلاعات الرأي يحظى بحوالي ٢٠ في المائة ، في حين أن الحزب يحظى بأقل من ذلك بكثير . وإذا كان الوسط يرغب في أن يكون قوة جدية فعليه أن يعمل في أسرع وقت من أجل الحزب كذلك ، وليس فقط لرئيس الحزب .

مقياس شهر فبراير للسلام

هآرتس
١٩٩٩ / ٣ / ٢
افرايم يعر

تركز مقياس السلام الذي أجرى خلال شهر فبراير الماضي على موضوعين متباينين ، فكان الموضوع الأول داخليا إذ تعلق بتزايد حدة التوتر بين المتدينين والعلمانيين عقب تلك المظاهرة التي نظمها المتشددون دينيا ضد المحكمة العليا . أما الموضوع الثاني فقد كان خارجيا إذ كان متعلقا بموقف الشارع الإسرائيلي إزاء معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بعد مضي ما يقرب من عشرين عاما على توقيعها . ويرى من قاموا بإعداد مشروع مقياس السلام أنه توجد ثمة علاقة قوية بين طرق التعامل مع القضايا الداخلية والخارجية . وعلاوة على هذا فيفترض هذا البحث أن مستوى الوحدة الداخلية يؤثر على قدرة الدولة على مواجهة القضايا الخارجية .

وعلى الصعيد الداخلي فيرى ٦٢٪ من الجمهور الإسرائيلي أن الخطر الحقيقي الذي يترصص بالمجتمع الإسرائيلي يتمثل في ذلك الصراع القائم بين المتدينين والعلمانيين ، ومن الوارد أن تكون نسبة من يتبنون هذا التصور قد ارتفعت على هذا النحو بعد تلك المظاهرة التي نظمها المتشددون دينيا احتجاجا على بعض قرارات المحكمة العليا . وفي المقابل فيرى ١٨٪ من الجمهور أن الخلاف الذي يشهده المجتمع بين اليسار واليمين هو الذي يهدد المجتمع . أما الصراع الطائفي بين الأشكناز والسفارديم فقد رأى ٦٪ فقط من الجمهور أنه يعد بمثابة التهديد الحقيقي الذي يواجهه المجتمع الإسرائيلي . وقد اتضح أن هناك إجماعا في أوساط كل فئات وشرائح المجتمع بشأن سلم التهديدات ، ولم يختلف الأمر كثيرا عند تصنيف من أجابوا على التساؤلات التي وجهت إليهم على ضوء مدى تدينهم ، ومع هذا فليس من الممكن أن نتجاهل أن ٦٩٪ ممن رأوا أنهم ينتمون إلى العلمانيين أكدوا أن الخلاف بين المتدينين والعلمانيين يعد بمثابة التهديد الحقيقي في حين أن ٥٨٪ من المتدينين و ٥٦٪ من التقليديين و ٥٤٪ من المتشددون دينيا رأوا أن هذا الخلاف يعد بمثابة التهديد الأكثر أهمية .

وعند تصنيف من شملهم الاستطلاع على مدى تدينهم فقد اتضح أنه توجد فروق ضخمة فيما بينهم بشأن تأثير

القوى الدينية ، فقد رأى ٨٨٪ من العلمانيين أن تأثير القوى الدينية أكثر مما ينبغي ، وتبني ٧٠٪ من التقليديين ذات التصور . وفي المقابل فقد رأى ٤١٪ من المتدينين أن تأثير هذه القوى يعد طبيعيا ، غير أن ٣٣٪ منهم رأوا أن هذا التأثير يكاد يكون هزيلا . أما المتشددون دينيا فقد رأى ٣٥٪ منهم أن تأثير القوى الدينية لا يتجاوز الحدود اللازمة في حين أن ٣٠٪ منهم رأوا أن هذا التأثير محدود للغاية . ومع هذا فلم ير سوى ٢٦٪ من المتدينين و ٢٤٪ من المتشددون دينيا أن هذا التأثير يعد ضخما للغاية .

وكان من بين الأسئلة التي شملها الاستطلاع "ما مدى صدق الادعاءات التي ردها المتشددون دينيا ضد المحكمة العليا ؟" . وعند تحليل الإجابات فقد اتضح أن مواقف العلمانيين والتقليديين كانت متشابهة للغاية فقد رأى ٨٩٪ من العلمانيين و ٧٨٪ من التقليديين أن تلك المزاعم والادعاءات التي طرحها المتشددون دينيا لم يكن لها أي أساس من الصحة . وفي المقابل فقد شاركهم هذا الرأي ٤٠٪ ممن وصفوا أنفسهم كمتدينين . أما سائر المتدينين فقد رأوا أن هذه الادعاءات صادقة ، كذلك المتشددون دينيا فقد رأوا جميعهم أن هذه الادعاءات صادقة .

وعند تقسيم هذه الإجابات على ضوء اتجاهات التصويت لدى من شملهم الاستطلاع في انتخابات الكنيست التي جرت في عام ١٩٩٦ ، فقد اتضح أن ٩٣٪ ممن صوتوا لحزب العمل ، و ٩٠٪ ممن صوتوا لحزب ميرتس ، و ٧٧٪ ممن صوتوا لحزب الليكود يرفضون إدعاءات المتشددون دينيا في حين أن ٣٨٪ ممن صوتوا لحزبي شاس والمفدال يرفضون هذه الادعاءات ، ومع هذا فيرى ٤٩٪ ممن صوتوا لشاس ، و ٥٨٪ ممن صوتوا للمفدال أن هذه الادعاءات صادقة . ولم يكن لسائر من شملهم الاستطلاع رأي محدد . وتعني هذه الأرقام وعلى نحو يدعو للدهشة أن نسبة مؤيدي شاس لهذه الادعاءات أقل من نظيرتها في أوساط مؤيدي حزب المفدال . أما الموضوع الثاني الذي شمله الاستطلاع فقد تعلق

بوقف الشارع الإسرائيلي تجاه معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عقب مضي عشرين عاما على توقيعها ، تلك المعاهدة التي أحدثت تحولا أدى إلى كسر دائرة الكراهية العربية لإسرائيل . وشمل الاستطلاع الأسئلة التالية: كيف يقيم الجمهور الإسرائيلي طبيعة العلاقات بين البلدين ، وهل يرى الجمهور أن الثمن الذي سدده إسرائيل في مقابل السلام مع مصر أثر بالسلب أم بالإيجاب على المواقف التي يتعين على إسرائيل اتخاذها في مسيرة السلام الحالية ؟ .

وقد اتضح من خلال الاستطلاع أنه بالرغم من أنه قد خيمت عبر العشرين عاما الماضية حالة من الهدوء المطلق على الحدود المصرية الإسرائيلية فإن الشارع الإسرائيلي لا يرى أن هذا الهدوء يعد دليلا على الوفاق . وقد وجهنا إلى الجمهور السؤال التالي : سيمر عما قريب عشرون عاما على التوقيع على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فكيف ترى مصر ؟ (وقد قسمنا الإجابات على ضوء سلم مكون من خمس درجات فكانت الدرجة الأولى تشير إلى العدو في حين أن الدرجة الخامسة كانت تشير إلى الحليفة) وعند تحليل الإجابات فقد اتضح أن ٤٧٪ ممن أجابوا على السؤال وضعوا مصر في مكانة متوسطة من السلم إذ أعطوها رقم ثلاثة . وفي المقابل فقد رأى ٢٥٪ منهم أنها تنتمي إلى الطرف المعادي (بل ورأى ٨٪ أنها دولة معادية) غير أن ٢٤٪ منهم رأوا أنها تنتمي إلى الدول الصديقة (بل ورأى ٥٪ منهم أنها حليفة) . ويتمثل الاعتقاد السائد حاليا في أن السلام السائد مع مصر يعد سلاما باردا .

وقد كشف الاستفسار عن الموقف تجاه مصر عن وجود فروق واضحة بين الرجال والنساء ، فبينما يرى ٤٨٪ من النساء و ٤٦٪ من الرجال أن مصر تحتل مكانة وسطى في السلم سالف الذكر فقد رأى ٣١٪ من الرجال أن مصر تعد دولة معادية ، في حين أن هذه النسبة في أوساط النساء لم تتعد ٢٠٪ وكشف الاستطلاع أيضا أنه بينما يرى ٢٢٪ من الرجال أن مصر تعد دولة صديقة فإن هذا الرأي يحظى بقبول ٢٨٪ من النساء . وتفيد هذه الأرقام أن النساء ترين أكثر من الرجال أن عدم نشوب الحرب مع مصر يعد عنصرا أساسيا عند تقييمهن لمدى عداء الطرف الآخر .

وتتباين المواقف إزاء موقف مصر تجاه إسرائيل في أوساط من صوتوا لنتنياهو وبييرز في انتخابات الكنيست التي جرت في عام ١٩٩٦ . وبالرغم من أن مصوتي حزبي الليكود والعمل وضعوا مصر في مكانة وسط في السلم آنف الذكر إلا أنه بينما يرى ٣٦٪ ممن صوتوا لنتنياهو أن مصر دولة معادية فقد تبني هذا الرأي ١٥٪ ممن صوتوا لحزب العمل . وفي المقابل فبينما يرى ٣٠٪ ممن صوتوا لبييرز أن مصر تعد دولة صديقة فقد شاركهم هذا الرأي ١٩٪ ممن صوتوا لنتنياهو . وقد تطرق الاستطلاع أيضا إلى قضية ما إذا كانت توجد

ثمة علاقة بين رؤية الجمهور للعلاقات مع مصر وبين رؤيته لفرص تحقيق السلام مع العرب في المستقبل القريب فاتضح أن ٢٩٪ ممن يرون أن مصر دولة معادية يؤمنون بإمكانية تحقيق السلام ، وفي المقابل فيؤمن ٥٠٪ ممن يرون أن مصر تعد حليفا حقيقيا بفرص تحقيق السلام . وتفيد هذه النسب أن تفهم تجارب الماضي يساعد على استشراف المستقبل .

وكان من بين النتائج التي توصل إليها هذا الاستطلاع أن الجمهور الإسرائيلي منقسم على ذاته بشأن ذلك الادعاء الذي تردده مصر والذي مفاده أنه من الممكن أن يضحى هذا السلام دافئا عند التوصل إلى حل للنزاع مع الفلسطينيين ، فأظهر الاستطلاع أن ٥١٪ من الجمهور يؤمن بمصداقية هذا الادعاء في حين أن ٤٧٪ من الجمهور أعرب عن عدم ثقته به . وكانت توجد في هذا المجال فروق واضحة بين من صوتوا لنتنياهو وبييرز في الانتخابات السابقة إذ أعرب ٣٣٪ ممن صوتوا لنتنياهو عن إيمانهم بمصداقية هذا الادعاء في حين أن هذا الادعاء حظي بقبول ٦٩٪ ممن صوتوا لبييرز .

وعند تقييم هذه المواقف من منظور تاريخي نجد أن معظم الشعب يرى أن مصر لا تعد دولة معادية ، وبعد هذا الوضع على قدر كبير من الأهمية خاصة أن مصر أعربت أكثر من مرة حتى بعد توقيعها على معاهدة السلام عن تأييدها علانية لمواقف بعض الجهات المعادية . ويتمثل التصور السائد حاليا في أن الإسرائيليين يتبنون موقفا إيجابيا تجاه مصر حتى ولو كان يشوبه بعض التحفظ . وبعد خير دليل على هذا الأمر أن ٧١٪ ممن شملتهم عينة الاستطلاع يرون أن التنازلات التي قدمتها إسرائيل في سيناء والقطاع كانت مبررة ، وفي المقابل فيرى ٢٤٪ منهم أن الثمن الذي قدم في مقابل السلام كان باهظا . وعند سؤال من شملهم الاستطلاع عما إذا كانوا مستعدين على ضوء ما حدث مع مصر لتقبل فكرة الانسحاب من الجولان فقد أعرب ١٠٪ عن استعدادهم لتقبل فكرة الانسحاب الشامل في حين أن ٤٩٪ من الجمهور تقبلوا فكرة الانسحاب الجزئي . وفي المقابل فقد رفض ١٠٪ فكرة الانسحاب مقابل السلام . وأعرب ٢٧٪ عن رفضهم الانسحاب من الجولان .

وخلاصة الأمر أن معظم الإسرائيليين يرون أن اتفاق لسلام مع مصر غير كاف ، غير أنهم يرون أنه من الممكن وعلى ضوء هذا الاتفاق إجراء المفاوضات وتقديم التنازلات .

(*) بلغت نقاط مقياس السلام العام خلال هذا الشهر ٦٥,٧ نقطة ، وبلغت نقاط مقياس أوصلو ٥٢,٨ نقطة ، وبلغت نقاط مقياس سوريا ٤٣,٩ .

٦٠٪ من الاسرائيليين يؤمنون بأن الفلسطينيين جادون في تطلعهم للسلام.

غير صادقة في نواياها تجاه السلام. ويعتقد ٨٥٪ من مواطني اسرائيل العرب ان السلطة الفلسطينية صادقة في جهودها للتوصل الى السلام. كذلك يتضح من استطلاع الرأي ان ٤٥٪ من الاسرائيليين يلقون بمسئولية الجمود السياسى على الطرفين ، ويرى ٢٥٪ ان الجانب الاسرائيلى هو المذنب ، بينما يرى ٢٣٪ ان الفلسطينيين هم المذنبون . فى المقابل يلقى ٧٠٪ من الفلسطينيين بالمسئولية على الجانب الاسرائيلى و٨٪ فقط يرون ان جانبهم هو المتهم بالجمود. بينما يعارض ٧٠٪ من الاسرائيليين ان تصبح القدس عاصمة لفلسطين. فى المقابل ، يعارض ٩٠٪ من الفلسطينيين ان تظل القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل .

يؤمن ٦٠٪ من الجمهور اليهودى فى اسرائيل بصدق نوايا السلطة الفلسطينية للسلام. جاء ذلك فى استطلاع رأى اسرائيلى - فلسطينى. وهذا يعنى زيادة مقدارها ٨٪ مقارنة باستطلاع سابق للرأى أجرى منذ سنتين فى اوساط الجمهور اليهودى الاسرائيلى . وقد أجرى استطلاع الرأى وعرضه البروفيسور افرام يعر والدكتورة تمار هرمان من مركز تامى شتينمتس بجامعة تل البيب وغسان الخطيب ومنال ورد من مركز الاتصال بالقدس . فقد اظهر الاستطلاع ان ٦٠٪ من الاسرائيليين يعتقدون ان السلطة الفلسطينية صادقة فى نيتها للتوصل الى السلام، بينما ٨٨٪ من الفلسطينيين يعتقد ان الحكومة الاسرائيلية

القوى هو من يكون قويا فى النهاية

ناحية أخرى فإن وضع الاحتلال لا يزعجهم لذلك الحد الذى يتطوعون فيه بتسليم مناطق اضافية لياسر عرفات. ولكنهم يتفهمون حدود قوة اسرائيل . فعندهم نتيها هو يستطيع ان يكون قويا كالوحش ، ولكن يجب أن يصل الى البيت الأبيض وللكابيتول ودول ستريت. لا يعلم أحد أكثر من نتيها هو لماذا خسر اسحاق شامير السلطة أمام اسحاق رابين عام ١٩٩٢. وكما لم يعاقب قبل ذلك بخمس سنوات قبيل اندلاع الانتفاضة عن رفضه التوقيع مع الملك حسين على اتفاقية لندن ، فإن شامير لم يدفع ثمنا سياسيا عن هدم مسيرة مدريد. إنه دفع ذلك الثمن بسبب أن بعض المستشارين اقنعوه بأن يحول الطلب الأمريكى بالاختيار بين تجميد المستوطنات أو تجميد الضمانات (لاستيعاب المهاجرين من الاتحاد السوفيتى السابق) الى أزمة واضحة بين رئيس وزراء اسرائيل ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية، فأرسل شامير الف زعيم يهودى لتحريض الكونغرس على جورج بوش وكلاهما خرج للتقاعد . ان بيل كلينتون اكثر شعبية بمراحل من بوش ايضا فى داخل اسرائيل . ولم يكن ليحتاج لجولة ثانية للانتصار على

الليكود ، كما هو متوقع يلصق بالقائمة الجديدة لحزب العمل عنوان "اليساريون" . وفى الأحاديث الشخصية يعترف نتيها هو بأن الالتزام "اليسارى" بتنفيذ إتفاقية أوسلو هو الذى منحه السلطة . وإن الثلاثة أو أربعة آلاف منحوسين (منكودى الطالع) الذين آمنوا بأن نتيها هو سوف يصنع سلاما آمنا أكثر ، هم الذين رجحوا كفته ونصروه على شيمون بيريز فى مايو ١٩٩٦. ورئيس الوزراء يعرف أنه إذا لم يفعل شيئا ما حاسما لكى يعيد إيمانهم وثقتهم به ، فإنهم سوف يكونوا هم الذين سيلحقون به فى مايو أو يونيو ١٩٩٩ السقوط أمام يهود باراك أو اسحاق مورداخى . وليس كل المقترعين للليكود يسرون كالعيمان . ففى حواشى الطائفة التى تغطى الأصوات ، والتى يزيد الإعلام من صوتها أكثر وأكثر يطفو معسكر ليس صغيرا والذى فى إمكانه ان يعيد للليكود الى صفوف المعارضة . وقد فعلوا ذلك فى الماضى . أن الخط الأحمر لهذا الجمود ليس مرتبطا بالذات بالخط الأخضر . إن أولئك الناس ينتمون للغالبية العظمى التى تدرك أن أوسلو قد حولت شبح الدولة الفلسطينية الى جدال حول النسب . ومن

نتنياهو هو في انتخابات لرئاسة الحكومة . وبعد أن أزال المطاردة المزعجة لتحجته الشخصية ، فإن الرئيس الأمريكي متفرغا للعمل والاهتمام بتغيير السلطة في اسرائيل . وفي الادارة الامريكية لا يجتهدون لاختفاء الفزع والخوف من امكانية ان نتنياهو أو سياسته يظنون في الحكم بعد الأول من يونيو . إن البيت الابيض لم يترك مجالاً للشك في قلب ياسر عرفات فيما يتعلق بعلاقاته مع الولايات المتحدة الامريكية اذا ما أتاح لنتنياهو أن يستمر في الحكم بواسطة الاعلان عن دولة فلسطينية في الرابع من مايو . ومن طرف آخر فإن الأمريكيين وعدوا عرفات بأنه اذا تحلى بالصبر ، فإن كلينتون سوف يؤكد على أن رئيس الحكومة القادمة عليه ان يدرك أنه حتى عام ٢٠٠٠ - عام الانتخابات للرئاسة - فإن على اسرائيل ان تفي بالتزاماتها في اتفاقيات أوسلو وواي كاملين .

إن كلينتون لن يتدخل في المعركة الانتخابية . إنه مخضرم في السياسة للدرجة التي لا تجعله يلعب بين أيدي نتنياهو . ولكن أين "مكتوب" أنه يجب أن يتحدث مع رئيس الحكومة وأنه محظور عليه أن يعانق عرفات ؟ إن حفلات الاستقبال التي تنظمها واشنطن لعرفات وللكبار السلطة الى جانب ابتعاد الرئيس ووزرائه المسؤولين عن نتنياهو ، هي بمثابة إشارة لناخبي اسرائيل العائمين ليعرفوا ما هو متوقع من زعيم قوي يخرق التزاماته امام زعيم أقوى ، ورئيس الحكومة يدرك أن الـ ٣٠ - ٤٠ ألف شخص من الناخبين الذين أيده عام ١٩٩٦ سوف يفهموا تلك الإشارة لكي يرسلوه الى الطريق الذي أرسل اليه جورج بوش شامير . إن كلينتون يخيف أكثر بكثير من بيني بيجين . وتلك حقيقة .

الملحق السياسي لجريدة معاريف
٢٣ / ٢ / ١٩٩٩
بقلم : مائير بلايخ

بن عامي للسلطة : مازال هناك وقتا لانقاذنا من أربع سنوات أخرى تحت سلطة نتنياهو

حوالي ١٦٠٠٠ صوت حسموا انتخابات عام ١٩٩٦ . وكانت إحدى العلامات البارزة التي أدت الى انتصار بنيامين نتنياهو على شيمون بيريز هي المناظرة التليفزيونية بينهم ، والتي انتصر فيها بيبي بالضربة القاضية . ويبدو أنه في المعركة الحالية والتي تدور كلها على الشاشات ، يجمع رئيس الحكومة الحالي النقاط امام ايهود باراك يوما بعد يوم ، حتى أن المعركة الحاسمة ستكون بدون لزوم . إن الاستطلاعات تشير الى أن زعيم حزب العمل سوف يهزم بأيدي نتنياهو في الجولة الثانية ، وسيصبح لرئيس الحكومة الحالي الاستمرار ليقود دولة اسرائيل الى حرب لا يمكن منعها على الساحة الاقليمية والى غزقات يصعب معالجتها على الساحة الداخلية لأن نتنياهو لا يعرف غير ذلك .

إن باراك وحزب العمل غير مستعدين لنقل القيادة الى حزب الوسط ، ولكن في نفس الوقت وبنفس القدر هم يريدون رؤية نتنياهو في الخارج . إن السبيل الممكن لعمل ذلك امام حزب العمل هو تقديم مرشح أكثر جاذبية ، يحصد أصوات أولئك المستعدين للاقتراع لصالح موردخاي ولكنهم غير مستعدين لالقاء بطاقات الانتخاب التي تحمل اسم باراك .

إن الرجل الذي يستطيع أن يقود الانقلاب هو "شلومو بن عامي" والذي حظى بثقة كاملة لمائة ألف من ناخبي الانتخابات التمهيدية لحزب العمل . أنه صاحب خبرة أكاديمية وديبلوماسية . ولديه مواقف واضحة في مجالات السلام والاقتصاد ، وقد عبر عنها في كتابه الرائع "مكان للجميع" . إنه "إجتماعي" ، وهو مقبول لدى الاقلية العربية ، وهو يحترم التقاليد ، كما أنه

لا يثير مشاعر العداء في اوساط ناخبي الليكود التقليديين . أولئك هم الناخبون الذين سيحسمون الميزان ، والذين سيحددون هل سيكتب علينا أربع سنوات نتنياهو أخرى . إن باراك يحاول خلق حزب عمل جديد ولكن الناخبين الذين يحتاجهم يرون فيه ممثل المعراخ المكروه . وكذلك فإن قائمة اسرائيل واحدة مع ما فيها من شخصيات مثل دافيد ليفي ولحياني ، لن تجلب له الاصوات الاضافية بالمدى المطلوب . ولو كان باراك يعلم بشكل قاطع أنه سيفشل في مواجهة نتنياهو لقام بخطوة تغير وجه الأمور ، ولكن التأكيد بالنسبة للنتيجة يمكن فقط بعد الانتخابات وفي ذلك الوقت محظور أخذ المخاطرة . وكانوا قد وقعوا في مشكلة مماثلة بحزب الوسط ولكن كان الحسم سريعا ، أمنون شاحاك أخلى مكانه لإسحاق موردخاي . ويبقى ٨٦ يوما حتى الانتخابات ومازال هناك وقتا كافيا حتى يفحص نظام حزب العمل امكانية التغيير في القيادة بواسطة الاستطلاعات . فإذا اتضح بالفعل ان بن عامي من الممكن أن يجلب النصر ، يجب عندئذ اعطاؤه الفرصة لقيادة الصراع ضد نتنياهو ، وبعد الانتصار يستطيع باراك أن يساهم بكفأته .

وإذا ما طالعنا شخص قائلا أن بن عامي ليس لديه خبرة في معارك السلطة ، فإن مستشاري باراك مدعوون للتطلع ولدراسة نموذج "توني بليز" حتى يعملوا أن رئيس الوزراء الناجح لبريطانيا يقوم بذلك دون أن يكون رئيس هيئة أركان أو وزير خارجية قبل الانتخابات .

دولتان لشعبيين

فى إنتخابات الكنيست ولكنها لم تنجح فى اجتياز نسبة الاصوات المطلوبة.

إن شراكة باراك لحركة ميماد هو أمر لطيف ، ولكن ينقصه قيمة تصويتية . فالخام عميكال كان وزيرا ايضا فى حكومة شيمون بيريز . وقد أفاد بيريز فى الانتخابات وكأنه مسئول الطائفة الحريدية ، أما الخام موشيه هيرتش ، فإنه مفيد لعرفات .

وبأسلوب التعمية والغموض ، باراك يخسر مجموعة كبيرة للغاية من الناخبين . فالنضال الواضح والذي لا يقبل الشك ضد المتدينين هو الوسيلة الوحيدة التى بواسطتها يستطيع حزب العمل التغلب على تميز الليكود لدى المهاجرين الروس .

فشلوا فى الاختبار :

لقد كانت مظاهرات بداية الاسبوع بمثابة اختبار التيرم الأول للزعامة العلمانية . ولكن باراك وكذلك موردخاي تهريا من الامتحان . وبالنسبة لموردخاي الذى قبل بالفعل ذقن النبي (الخام) لم يكن هناك توقعات كثيرة من ورائه . ولكن ايهود باراك فى حاجة للجماعة الدينية للكفارة (الاعلامية) . انه لن يتلقى لديهم فى الانتخابات ولا حتى عشر النسبة المئوية ، حتى لو وضع طاقية سوداء (كيباه) فى الثلاثة أشهر القادمة . إن الزعماء الذين ليس لديهم الشجاعة للتعبير بشكل واضح فى ما يتعلق بأحد الموضوعين الاساسيين الذين يمزقان المجتمع الاسرائيلى ، يشيرون الشكوك لدى الناخبين فى قدرتهم على إتخاذ القرارات الصعبة .

إن هناك مواقف حاسمة لا يمكن الوصول اليها بدون نضال ، وذلك ينطبق على علاقات الشعوب ، وعلاقات العمل وكذلك فى الصراع الحضارى . وأكثر من مرة بعد انتهاء نزاع يهز الدولة ، نجد من يزعم بأنه كان من الممكن الوصول لنفس الاتفاق بدون الحاجة لاضراب . إن هذا خطأ . إن النزاع يتفجر لأن واحد من الاطراف على الأقل لا يقدر المواجهة تقديرا صحيحا حسب قوته . وفى معظم الأحيان فإن الطرفين يخطئان فى تقدير قوتهم . إن المعارك ، الاضرابات والصراعات هى قياس للقوة .

وعلى مدى سنوات طويلة تهرب العلمانيون من المواجهة الميدانية مع المجتمع الدينى . فقد توصلنا لحلول وسط حول موضوع السبت ، حول الزواج والطلاق ، حول الدفن والخدمة فى الجيش ، حول تمويل المدارس الدينية والبرامج التعليمية للتعليم الحكومى .

استنتاج واحد بارز من المظاهرة الضخمة يوم الأحد وهى أن المعسكر الدينى الحريدى فى طريقه للخسارة الفادحة فى إنتخابات عام ١٩٩٦ انتهى على الورق فقط عصر الابتزاز الدينى فى اسرائيل ، فبعد المبدال انتقلت ايضا الغالبية العظمى من الجمهور الحريدى (المتدين جدا) الى الطرف اليميني للخريطة السياسية . وبذلك فقدت الاحزاب الدينية قوة المساومة السياسية ، فالتوجه التام لحزب المبدال (الحزب الدينى القومى) وللحريديم نحو اليمين أدى الى موقف أصبحت فيه لا توجد لحزب العمل أية فرصة أو احتمال للحصول منهم على دعم ذى مغزى ، بل وحتى لحزب الليكود لا توجد مصلحة لبذل الجهد من أجلهم ، وذلك لأنهم بطبيعة الأمر متواجدون فى حوزته .

لقد كان الإقتراع المكثف للحريديم من أجل ايهود أولمرت فى انتخابات بلدية القدس فى عام ١٩٩٣ بمثابة الاشارة الأولى للتغيير الذى مر بهم . ولكن ضعف وتقلب شخصية نتياهو قامت بالتغطية على تلك الظاهرة ، فإن نتياهو استسلم وخضع للمتدينين منذ يومه الأول فى الحكم ، على الرغم من أن الاحزاب الدينية لم تكن لديها خيار بديل ولم تكن قوة ابتزاز .

ولكن التأييد الحريدى لليمين لم يعد بعد موضوع لحظة . أنه ليس ممارسة جنسية سريعة مقابل دفع من النوع الذى كنا معتادين عليه فى الماضى . ولكنه ذروة تحالف تاريخى . فالتحالف الدينى مع اليمين ليس تلاعبا مع أرييه درعى ولا من أى زعيم آخر . لقد أصبح جزء جوهريا من وجهة نظر كل الاحزاب الدينية .

فى حزب العمل يفهم الكثيرون أنه لا توجد فرصة عندهم للحصول على أصوات المتدينين . فهى فى مخزن نتياهو . وإيهود باراك تفهم أنه لم يعد ممكنا الآن شراء الحريديم بترخيص للبنك ، أو بميزانية للمدارس الدينية ، ولكنه مثلما فى مجالات أخرى لم تكن لديه الشجاعة للمضى حتى النهاية . ولذلك فإنه يدير معركة انتخابية غريبة للغاية . فالدينيين بفرعهم الحريدى والمبدال بمثابة جبهة الشيطان لحزب العمل . ولكن باراك يخشى أن ينادى المولود بإسمه . إنها دعاية انتخابية مع رموز وتلميحات . فحسب نهج باراك ممنوع الاقتراع لنتياهو لأنه خضع "للمتطرفين" والناخبون يفهمون ماذا وبمن يقصد .

وحتى لا يبدو باراك كارها للمتدينين ، فإنه يغازل الحركة الدينية "ميماد" وحركة ميماد تمثل يهودية أخرى من تلك التى اعتدنا عليها ، ولكن أشخاصها هم أقلية ليس لهم ثقل فى المجتمع الدينى . وفى عام ١٩٨٨ إشتكرت الحركة

من "عموئيل كانت" هذا ؟

على مدى أعوام كثيرة كان ضعف الطاقة العلمانية هو السلاح الرئيس للمتدينين . ومنذ عام ١٩٧٧ تم تسخير الجهاز التعليمي للمؤسسة الدينية . وقد سئل ذات مرة اليغازر سموئيلي والذي عمل لسنوات طويلة مديرا لوزارة التربية والتعليم ، لماذا لم يمنح القانون للتعليم الحكومي نفس المكانة المستقلة التي يتمتع بها التعليم الحكومي الديني والتعليم الحريدي (الديني المتشدد) ، وقد أوضح أن رؤساء الدولة في الخمسينات لم يتطرق لفكرهم أن وزارة التعليم سيتم وضعها في أيدي وزير ديني . لقد كانت الأطر المستقلة للتعليم الديني حينذاك معدة وتستهدف الدفاع عن الأقلية الضعيفة .

إن نظام التعليم الاسرائيلي الغني ومحا جزأ كبيراً من الثقافة العامة . إن خريج المدرسة الثانوية الاسرائيلي لم يفتح في حياته القرآن ، ولا العهد الجديد . وليس لديه أي معرفة ولو ضئيلة بديانات الشرق ، والأخطر من كل ذلك هو أنه لا يعرف أي شيء عن وجود معظم المفكرين الذين شكلوا المجتمع العلماني المعاصر الذي ينتمي اليه .

إن النص السياسي الوحيد الذي تم تدريسه ذات مرة في النظام التعليمي كان "مرافعة" لأفلاطون وحتى ذلك النص خارج المناهج منذ عدة سنوات . إن تاريخ العصر الحديث ألغى على مدى أعوام من المناهج التعليمية . وفي معظم المدارس يحظى التلاميذ بثلاث ساعات اسبوعياً لدراسة التاريخ اليهودي والعام . وجزء من المدارس الثانوية تم اغراؤها بمقابل مادي وذلك لإدخال برنامج "تلي" والذي أساسه التخلي عن ساعات التاريخ في مقابل تعاليم صفحة من الجمارا .

لقد نما لدينا أجيال من المواطنين البالغين والذين لا يفهمون الأساس الخاص بقيم العالم العلماني ، والذين ينتمون اليه اليوم . فالتلميذ الديني يعرف اقتباس أقوال رامبام (رب موسى بن ميمون) ، أما التلميذ العلماني فلم يسمع حتى عن "عموئيل كانت" إن ضعف المعرفة العلمانية خلقت نوعاً من النفوذ في المفاهيم لشلة الدراويش الحريدية .

إن العلمانيين يطأطئون رؤوسهم في مواجهة الدعاية الدينية إنها قيم لغيب الفكر المستقل ، وكرهية الغير ، ومعارضة لمسيرة الديمقراطية ، وحرية الفرد ، وحرية الكلام ، ومن أجل استعباد النساء ، ومن أجل استعباد روحاني للزعماء الدينيين ، ومن أجل جهل تحول لنوع من الكيان الروحاني .

رئيس هيئة الأركان الحريدي الأول:

لا توجد فائدة ولا طائل من النقاش الموضوعي مع الأحزاب الدينية . إن النقاش والجدال معهم ليس موضوعياً . فمن ورأي أي مبرر والذي يبدو وكأنه موضوعي ، تختفي وجهة نظر أصلية قوامها القوة والاحتقار الكامل للمجتمع الديمقراطي ، فالعديد من العلمانيين الخانعين سقطوا في السلة الحريدية خلال النقاش حول مفهوم "كل شيء قابل للحكم" .

إن موقف باراك بأن كل شيء قابل للحكم (التحكيم) ليس إلا وضعاً للواقع . فكل موضوع عليه مواجهة وصادم بين أفراد أو بين أفراد ومجتمع وسلطة ، هو في جوهره قابل للتحكيم . ألا يوجد في النهاية من يحسم النزاع . فعندما لا تحسم المحكمة الأمر فإن شخصاً ما آخر يحسمه : السياسيون ، ضباط الجيش أو محكمة العالم السفلي ، فالجدال ليس هو : هل كل شيء قابل للتحكيم ، بل من سيكون القاضي .

فعندما يقول الحريديم أن "ليس كل شيء قابلاً للتحكيم" فهم يقصدون أنه بدلاً من أن تحسم المحكمة الأمور حسب قوانين الكنيسة فإن من سيحكم في الأمر حاخاماتهم ومن يتولون شئونهم .

وكذلك أيضاً الزعم المشكوك فيه ضد "الصفوة القضائية" والمطالبة بتمثيل حريدي في المحكمة العليا ، والتي حظيت أيضاً ببعض المتعاطفين العلمانيين . فالحريديم يحظون بتمثيل في المحكمة العليا ، مثلما يحظون بممثلين في هيئة الأركان العامة للجيش ، أو في طاقم الاساتذة لمعهد فايتسمان . فعندما ينتهي الحريديم من الدراسة في كليات الحقوق ، سيسيطرون على قوانين دولة إسرائيل مثلما يفعل قضاة المحكمة العليا ، وسوف يكون بالطبع أيضاً قضاة حريديم في المحكمة العليا . وحتى ذلك الحين عليهم البحث عن رزق آخر .

أمر تجنّب:

إن المتدينين اعلنوا حرباً على "الميثاق الاجتماعي" الخاص بنا . وهو مصطلح هناك شك إذا كان الحاخام عوفاديا يوسف أو مناحم بروش قد سمعوا عنه في حياتهما . إن أيام نتيها هو الأخيرة تسرع من المسيرة التي كانت تحدث من تلقاء نفسها ، فالدولة التي تحت حكمه تتصرف مثل الليكود الذي تحت حكمه : تفكك وحرب الكل في الكل . إن مظاهرة يوم الأحد تخلق واقعا سياسياً آخر . إن الحريديم لا يسمحون لنا للتهرب من الحرب . إنها حرباً حاول معظم العلمانيين منعها على مدى سنوات عديدة . إن ميزان القوى الحالي لا يتيح حل وسط . إن التسامح العلماني يخلق لدى فرعي المجتمع الديني أوهام قوة لا تتيح التفهم . فلا يوجد حوار بيننا وبينهم وكذلك لن يكون . فنحن نتحدث بلغة أخرى .

في تلك الحرب سوف يخسر الحريديم لأنهم أقلية وسيظلون كذلك أيضاً في المستقبل . فعلى النقيض من الإنطباع الذي تولد وبرز من المظاهرة الضخمة هذا الاسبوع ، فلا توجد تغييرات جوهرية في نسبة السكان المتدينين في إسرائيل على مدى الخمسين عاماً منذ قيام الدولة . وأن نمو شاس جاء أساساً على حساب حزب المفاذل وانتقال ناخبين اصوليين من حزب الليكود . إن صراعاً علنياً وميدانياً أمام المجتمع العلماني ، ليس له أي فرصة للنجاح .

ويشار الانطباع بأن جزءاً من الحريديم يتم تحريكهم بواسطة شهوة الانتحار السياسي . فلدى العديد منهم توجد ضرورة نفسية عميقة في اداء مهمته الصحية . وأن المقارنة التي

تكرر وتعود على نفسها مع مأساة النازي وتشبيهه العلمانيين بالنازيين تبدو وكأنها تخدم هذه الحاجة. إن توازنا جديدا في المجتمع الاسرائيلي سوف ينشأ فقط بعد أن يتم التعبير عن علاقات القوى الحقيقية بالتشريع وبالتسويات الحكومية التي تلقى التدخل الديني في العالم العلماني. إن الانتخابات القريبة من المحتمل أن تكون نقطة التحول. ويجب الافتراض بأن المجتمع العلماني سيكون منتصرا عقليا، وهو الأمر الذي يصعب أن تتوقعه من الجانب الديني. إن الحل الوسط إن جاء، فهو محتمل من خلال

موقف قوة علماني. ولو كان الحريديم مستعدين لقبول قواعد اللعبة الاساسية للمجتمع الاسرائيلي، لكانوا سيندهشون لاكتشاف أن مسائل عديدة تعتبر موضوعية، مثل مساعدة الضعاف ومساعدة الأسر ذوى الأبناء الكثيرة والذين لا يجدون مأوى، وحق الامتزاج في المجتمع، فهي مسائل وموضوعات تحصل على تأييد اليسار، وأنه يوجد عدد غير قليل من رجال الدين في الصحافة والذين سيساندون الصراع ضد العنصرية والفرقة الحقيقية للحريديم.

هآرتس ٥ / ٣ / ١٩٩٩

بقلم : نحميا شترملر

باراك ضد بن عامي

حوار عن الاقتصاد مع ايهود باراك

اليوم، كل من لا يوصف بأنه "سياسي - اجتماعي" يفتقد الفرصة. فمن هو "الاجتماعي"؟ إنه من يعلن أنه سيهتم بالفقراء، وأنه سيعمل على رفع مستوى الطبقات الدنيا ويقلص من فجوات الدخل في الاقتصاد. وإزاء الصراع الدائر بين الليكود والعمل حول الرقعة الاجتماعية، سألت ايهود باراك: هل يرى في نفسه ليبراليا اقتصاديا أم اشتراكيا، وهل هو من أنصار السوق الحرة أم يؤيد التدخل العميق من جانب الحكومة في الاقتصاد.

فقد بدأ باراك كلامه بتميم تاريخي وقال "هناك صيغتين اقتصاديتين تمت تجربتهما في الغرب في الجيل الأخير. الأولى هو دولة التكافل التي كانت سائدة في أوروبا، والثانية هي صيغة ميلتون فريمان ومارجريت تاتشر.

وأنا أقول أن كلتا الصيغتين قد فشلتا. فقد فشلت دولة التكامل لأنها دخلت في دائرة خارج السيطرة من النفقات من أجل إرضاء نهم الجماهير التي تطالب بالمزيد والمزيد من الخدمات والرفاهية، وبذلك فشلت هذه النظرية. من جانب آخر، فإن النظرية المتطرفة لتنفيذ أفكار ميلتون فريدمان والتاتشرية، قد فشلت هي أيضا.

س - ولكن تاتشر عاجلت الاقتصاد البريطاني الذي كان قبل عهدها بمثابة الطفل الأوربي المريض. فقد جعلت منه اقتصادا ناميا مع انخفاض حاد في البطالة.

ج - إنني لا أقول أنه لم يكن لسياسة تاتشر تأثير إصلاحي على الاقتصاد البريطاني، ولا أتجاهل قدرتها على التحكم في مجالات (التدليل) التي كانت موجودة آنذاك، وفي النقابات العمالية، والدعم الحرج جدا. كان يجب أن تظهر في ذلك التوقيت، ولكن هذه السياسة وصلت إلى النهاية لأن الثمن الاجتماعي الداخلي أصبح باهظا جدا، والآن أيضا الثمن الاجتماعي الداخلي في

إسرائيل باهظا جدا).

وبالتالي فإن باراك يبحث عن طريق وسط ما بين اقتصاد السوق وبين الاشتراكية. إنه يقول إنه من كبار المؤمنين بالاقتصاد الحر، وهو يؤمن أيضا بالخصخصة والترشيد، ويقول "الخصخصة حيوية.. ليس من شك أن الملاك هم أفضل من يديرون المؤسسات الانتاجية. المقصود هو خصخصة كل شيء باستثناء بعض الاحتكارات الطبيعية، مع الاهتمام بمصالح العمال" إنه يريد حكومة صغيرة تستثمر أساسا في البنية الطبيعية، وفي الأبحاث والتطوير وتعمل على تقليص البيروقراطية. ولكن يجب على الاقتصاد الحر أن يكون ذا حس اجتماعي، وعلى سبيل المثال يتكلم عن التعليم ويقول: "قرار حكومي بإنفاق شريحة كبيرة من الميزانية في مجال التعليم، هذا قرار لا يعتبر بالضبط جزءا من اقتصاد السوق الحرة".

س - وهل يريد الليكود تحسين وضع التعليم؟

ج - إن لي مع الليكود جدل آخر لأن هناك من قدم وعدا عند بيبي، وكل شيء عنده بفضل بيبي، وكله كلام ولا يوجد فعل، إنه يقدم الوعود فقط ولا يفعل شيئا. لقد وعد بالكثير في مجال التعليم، ولكن لم ينفذ شيئا.

ويطرح باراك مثالا آخر للأداء الاقتصادي للحكومة، فهو يحكي عن زيارته للناصر، هناك شاهد مصانع نسيج مغلقة وبطالة متزايدة من جانب وبناء فندق ماريوت الناصرة الذي يحتاج إلى مئات من العاملين من ذوي الكفاءة الفندقية، من جانب ثان. ويضيف باراك "إننا نعلم منذ عدة سنوات، أنه بحلول عام ٢٠٠٠ سيكون هناك طلب سياحي متزايد في الناصرة، ونعلم أيضا أن الفرصة أمام صناعة النسيج ضعيفة. لهذا فإن دور الحكومة هو أن تقوم

فى الوقت المناسب بعملية مؤلمة بتحويل مهنة عمال النسيج الى عمال سياحة، وهذا مالم يحدث الى الآن".

س - كيف يمكن تمويل تحسين خدمات التعليم والصحة، إذا كنت لا تريد زيادة عبء الضرائب على المواطنين ؟

ج- الحل يكمن فى استئناف التنمية . فى مجال الصحة يجب تحصيل رسوم زيارة للطبيب ، مع حد أقصى للطبقات الفقيرة. فى مجال التعليم يجب أن يكون التعليم من نصيب الجميع، بدءاً من سن الثالثة أو الرابعة، وهذه هى أيضا الطريقة الوحيدة لوقف الميول الى مؤسسات شاس . إنه نوع من السخف أن تضخ ملايين الجنيهات لمؤسسات التعليم التابعة لحركة شاس لتمويل مؤسساتها ، وهكذا يتحول أولياء الأمور الى حريديم بعد أولادهم، وهذا أمر سيئ . يجب أن يكون هناك يوم تعليم طويل وحسرية

الالتحاق بالجامعات . لقد سبق لرايين أن فعل الكثير من أجل التعليم حيث زاد ميزانيته من ٧ مليارات الى ١٤ مليار.

س - ولكن كل ماتقوله هنا حول اقتصاد السوق، والخصخصة والترشيد يتعارض تماما مع منظور شلومو بن عامى الذى احتل المركز الاول فى الانتخابات الداخلية.

ج - أنا الذى سأقود وأوجه السياسة . المهم العودة الى التنمية. مع هذا، سيكون جيدا لو ارتفع صوت بن عامى. هل على ضوء وجهات نظرهما المختلفة، يستطيع بن عامى أن يصبح وزير مالية باراك، لو فاز حزب العمل فى الانتخابات ؟ يتهرب باراك من إعطاء إجابة واضحة: " إننى لم أعده بمنصب وزير المالية . إن بن عامى هو شخص متعدد المواهب ولديه القدرة على إدارة أى وزارة كبرى".

هل هناك فرق ؟

يديعوت احرونوت
١٩٩٩ / ٣ / ٧
بقلم : يوسى بن اهرن

* ماهو الفرق بين الطريق الذى يعرضه نتنياهو والطريق الذى يعرضه ايهود باراك ؟ فبعد دراسة نتائج سياسة حكومة اليسار وأداء حكومة الليكود اتضح ان هناك فرقا بالفعل، ولكن فى مجال التصريحات.

يحاول زعماء الليكود والعمل اقناعنا بان كل حزب من الحزبين يعرض طريق خاص ومختلف تماما عن الطريق الذى يعرضه الحزب الآخر فيما يتصل بمعالجة عملية السلام . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : ما الفرق الحقيقى بين الحزبين ؟ عن تفحص الامر سنجد أن: العمل والليكود يؤيدان استمرار عملية اوسلو ويؤمنان بضرورة التعاون مع السلطة الفلسطينية، ويؤيدان كذلك المزيد من الانسحاب من مناطق ارض اسرائيل . ومن المعروف ان كل حزب من الحزبين يؤيد بطريقة أو بأخرى اقامة دولة فلسطينية.

ويدعو الليكود والعمل الى استئناف المفاوضات مع سوريا ويوافقان على الحل الاقليمى فى هضبة الجولان. وفيما يتصل ببلبنان فإن الحزبين يوافقان على إعادة جيش الدفاع الى الحدود الدولية مقابل ترتيبات أمنية مناسبة - حتى بدون التوصل الى اتفاق سلام مع لبنان .

وقد اضاف نتنياهو الى حكومته انجازات جديدة وعلي رأسها نجاحه فى كبح جماع الارهاب الفلسطينى. ولكن هذه الحكومة تدعى فى نفس الوقت ان عرفات هو الذى يعطى الإشارة لعناصر الارهاب الفلسطينية بتصعيد أو تخفيف نشاطها . وإذا كان الامر كذلك فإن مستوى العمليات الارهابية يخدم مصالح ياسر عرفات ومن ثم فان قلة عدد هذه العمليات هى نتيجة لقرار عرفات وليست بمثابة انجاز لحكومة اسرائيل .

وليست هناك خلافات ايدولوجية تفصل بين نتنياهو

وباراك وليست هناك مواقف مبدئية فيما يتصل بما يسمى "عملية السلام مع الفلسطينيين ومع سوريا . والشئ الذى يفصل بينهما فى حقيقة الامر هو ذلك الخصام الشخصى والرغبة فى السلطة . وأما فيما يتعلق بتصريح ايهود باراك بأنه سوف يخرج جيش الدفاع الاسرائيلى من لبنان خلال عام فإن الامر لا يعدو الا ان يكون مناورة انتخابية . وللأسف الشديد فإن هذا التصريح سوف يجعل موقف سوريا فى المفاوضات اكثر تشددا ويرفع ثمن الانسحاب من لبنان . وفى هذه الاثناء سوف يستمر جنودنا فى دفع ثمن حماقة الساسة.

وفى نفس الوقت فإن حزب الوسط لم يوضح للجماهير حتى الآن موقفه ولم يحدد الطريق الذى سيسير عليه. ولكن تصريحات زعماء حزب الوسط ، موردخاى وشحاك حتى الآن تشير الى ان موقف هذا الحزب ازاء عملية اوسلو لا يختلف فى جوهره عن موقف حزب العمل.

وتجدر الإشارة الى ان العنصر الاساسى الذى تسبب فى سقوط حكومة نتنياهو ، هى جبهة ارض اسرائيل فى الكنيس ، حيث ان اعضاء هذه الجبهة قد اعطوا ظهورهم للحكومة بعد ان توصلوا الى نتيجة وهى ان اتفاقيات الخليل وواى تعتبر انحرافا شديدا عن السياسة التى عرضها نتنياهو فى بداية طريقه كرئيس وزراء . ولولا ذلك لاستطاعت حكومة نتنياهو ان تستمر حتى نهاية ولايتها على الرغم من الهجوم الشخصى والحملات الساخنة التى شنتها حركات اليسار ضدها.

وهذه النقطة تعتبر أهم التقاط على الاطلاق. وسوف يحاول رؤساء حزب العمل خلال المعركة الانتخابية ان يزيلوا اوجه التشابه بينهم فيما يتصل بتنفيذ اتفاق اوسلو. وسوف

يبدلوا قصارى جهدهم من اجل ابراز خلافات ليس لها وجود في الاساس وسيحولون النقاش الى امور غير جوهرية ، وسيرفض كل منهم الآخر وسيصور كل منهم الآخر على انه يشكل خطراً على الدولة.

ولكن من يحاول ان يقارن نتائج سياسة حكومة اليسار في سنوات حكمها مع اداء حكومة الليكود في العامين الأخيرين سوف يكتشف ان الفارق بين الاثنين يكمن في التصريحات وليس في مجال التنفيذ والتطبيق .

مواجهة الكراهية

معاريف ٨ / ٣ / ١٩٩٩

بقلم : امنون شومرون

الوزراء هو المرشح لرئاسة الحكومة في انتخابات مايو ١٩٩٩ .

ومن المعروف ان نسبة كبيرة من الجماهير في اسرائيل تشعر بالكراهية تجاه نتيهاو . وأعتقد ان الجماهير تكره نتيهاو اكثر مما تكره عرفات على الرغم من ان الاخير يعتبر اكبر اعداء اسرائيل طوال الخمسة وثلاثين عاما الماضية . وليس من المبالغة ان ندعى ان نتيهاو هو اكثر المكروهين في الدولة .

وأقصد الكراهية الحقيقية او ما يقال عنه "المقت الشديد" . لدرجة ان كراهية نتيهاو تحولت الى حقيقة رسمية ومقبولة ومفهومة تماما . فهو يذكر على أنه مقيت ويشير الاشمئزاز ولا يحظى إلا بتأييد متواضع للغاية بين دوائر المثقفين . ونذكر انه عندما كان أسى ريان يتسلم احد الجوائز في حفل التكريم الذي اقيم له بتمويل من الدولة دعا نتيهاو الى التنحي ، وهنا حظى بعاصفة مدوية من التصفيق .

ان تأثير نتيهاو وقدرته الشخصية ومعدل عمله لم تغفر له ولم تضاف له نقاطا جديدة لصالحه . بل ان العكس هو الصحيح حيث ان اعتزازه بنفسه وثقته بنفسه وأناقته قد تسببت في زيادة مشاعر الاحباط والغیظ منه . ونشير في هذا الصدد الى ان الدعاية الانتخابية ليهود باراك وإسحاق موردهاي تعتمد اساسا على السؤال القائل : من يملك الاحتمالات للاطاحة بنتيهاو ؟ أو بعبارة أخرى من تشعرون تجاهه بكراهية اكثر .. نحن أم نتيهاو ؟

ان كثرة حديث نتيهاو عن انجازاته السياسية والأمنية الحقيقية لا يعفيه من ضرورة مواجهة هذه الظاهرة ألا وهي ظاهرة الكراهية تجاهه والتي بدأت تؤثر ايضا على قطاعات كبيرة من مؤيديه والذين يشعرون بالحيرة من نتائج استطلاع الرأي التي تعتبر نتيهاو بمثابة فشل ، وهم يشعرون بالتخبط : هل يقترعون لصالح رئيس وزراء يكون لازما عليه ان يصدر قرارات مصيرية في الوقت الذي يعاني فيه من كراهية ٥٠٪ من الشعب .

* ان الشعور بالكراهية تجاه نتيهاو قد اصبح عادة لدينا . ولكن يجب على رئيس الوزراء ألا يتجاهل ذلك . من بين اللافتات السياسية المشهورة للغاية ذلك الذي صممها دافيد تراكوفر والذي تظهر فيه صورة نتيهاو اسفل صورة اسحاق رابين . وكتب على صورة رابين : "لن ننساك" . وكتب على صورة نتيهاو : "لن نسامحك" . والتفسير المحتمل لهذه اللافتة هو انها تحمل صور القاتل وصورة القتيل .

وهناك لافتة اخرى لنفس الشخص تعرض صورة نتيهاو وجوارها مباشرة صورة ايجال عامير (قاتل رابين) ، ومكتوب اسفل الصورتين "بن - يامين" والتفسير المحتمل لهذه اللافتة هو "ابن القاتل" . وتجدر الاشارة الى انه في مظاهرة اليسار في اكتوبر ١٩٩٧ تم التلويح بالنشورات واللافتات الآتية : " يجب ان تذهب فداء لليسار اليهودي ايها المجنون" .. " لقد تحدثت عن السلام الأمن وخرجت في النهاية مصاب بالمجنون" .

ان هذه الكراهية التي بدأت مع بداية نظام حكم نتيهاو قد تزايدت كلما كثر ظهوره في حياتنا العامة . ومنذ اللحظة التي تأكد فيها ان نتيهاو يشكل كارثة بالنسبة للدولة نسبوا اليه كل المعاناة والامراض والحوادث والكوارث التي اصابته الدولة .

ومن المدهش ان الدولة ركزت خمسون عاما من المشاكل التي تتعلق بكيانها ووجودها في عامين ونصف العام ، هي زمن حكم نتيهاو .

لقد خلق نتيهاو المشاكل الاقتصادية ومشاكل الأمن والفروق الاجتماعية والعلاقات المتوترة بين الدينيين والعلمانيين وبين اليهود والعرب . وليس هناك مسئول عن ذلك قبله ولن يكون هناك مسئول عن ذلك بعده ونحن في حاجة الى بحث شامل يدرس سياسة الكيل بمكيالين فيما يتصل بالحكم على اساليب نتيهاو بالمقارنة الى من سبقوه ، ولكن ها هي نتائج البحث نراها مسبقا امام اعيننا . " ان نتيهاو الرجل والانسان ، وليس رئيس

إسرائيل / علاقات خارجية



معاريف ١٧ / ٣ / ١٩٩٩

بقلم : يهوشع بورات

لماذا تتسلح مصر؟

كبيرة جدا، سواء في الكم أو في الكيف. وهذا لا يشير قلق وزرائنا أو معلقينا. فهم يقولون ان مصر قد وقعت على اتفاق سلام مع اسرائيل، وهي ليست مصدرا للخطر. ولم يجرؤ واحد منهم على ان يتساءل لماذا تنفق مصر موارد نادرة وباهظة على حملة التسليح، اذا لم يكن في نيتها استخدام هذا التسليح. لم يجرؤ واحد منهم على استخلاص النتائج من ذلك الارتباط الخطير ما بين تصعيد العداء في مجال التعليم والثقافة والدبلوماسية، وبين تعاظم القوة العسكرية.

طبقا للقانون الامريكى، يجب على الكونغرس ان يصدق على صفقات الاسلحة من غرار تلك التي وقعت لها الادارة مؤخرا مع مصر. في الماضي تجرأت حكومة اسرائيل واتجهت الى الجمهور الصديق في الولايات المتحدة والى المتعاطفين معها في الكونغرس الامريكى، وعملت عن طريقهم من أجل كبح اجراءات مهمة من جانب الادارة. لقد فعلنا ذلك مع قضايا اقل اهمية وخطورة عن صفقة الاسلحة الجديدة. هذه المرة تصمت حكومتنا.

لماذا؟ هل نحن خائفون لهذه الدرجة من أن نغضب حسنى مبارك وعمرو موسى؟ ألسنا نريد ان نتجاهل اكثر تلك الرسوم الكاركاتورية والمقالات العدائية في الصحف المصرية؟ هذا ليس بالامر الجميل، ولكن هذه الامور خطيرة بشكل اقل عن سلاح طيران يصل في تسليحه الى مستوى سلاحنا الجوى، وسلاح مدرعات قادر على تحجيم مدرعاتنا.

هناك مصلحة وجودية عليا وموضوعية في هذا الشأن على كفة الميزان. اذا لم تسارع حكومة اسرائيل بالعمل في الكونغرس، فقد نواجه في يوم ما مفاجأة غير لطيفة على الاطلاق.

(اسرائيل تدفن رأسها في الرمال ولا ترصد ذلك الخطر الكامن في الاتفاق المصري الضخم على الجيش) في الأيام الاخيرة انشغل رجال السياسة وأجهزة الاعلام والجمهور بتقرير تساليم وقضية ارييه درعى، واهملوا جميعا التطور الخطير جدا الذى يحدث عبر حدودنا الجنوبية، في مصر. فرغم اتفاق السلام مع اسرائيل، تسعى مصر على الدوام وبقوة للتسلح، وإجراء عملية تحديث لجيشها عن طريق استخدام الاسلحة الامريكية، وهي سياسة مصحوبة ايضا بتصعيد العداء تجاه اسرائيل.

في الوقت ذاته تحرص أجهزة الاعلام المصرية، وجهاز التعليم وصفوة المثقفين على تعميق العداء العميق تجاه اسرائيل، وطبيعتها العدوانية وعدم شرعيتها. ولا ترك الدبلوماسية المصرية فرصة حتى تضر علاقات اسرائيل مع أى جهة دولية محكنة، وتبذل السلطات المصرية كل جهد ممكن لمنع أية اتصالات سلام حقيقية مع اسرائيل في مجالات الثقافة والاقتصاد والسياحة.

لماذا تنفق مصر الفقيرة شطراً هاماً من مواردها على التسليح العسكرى الضخم؟ من هم اعداؤها؟

من الشرق توجد ليبيا، الفقيرة في السكان وذات الجيش الصغير، والتي تستطيع مصر التغلب عليها بواسطة كتبتين وفرقة موسيقية. في الجنوب توجد السودان، الفارقة على الدوام في حرب اهلية، وذات البنية المتخلفة والتي لا تفكر في المساس بمصر أو بمياه النيل، مصدر الحياة في مصر. والنتيجة، مثلما يشير المصريون انفسهم اكثر من مرة في خطب رسمية ومقالات تحليلية هي ان قوتهم العسكرية موجهة ضد الخطر الكبير الذى يحيق بها من جانب اسرائيل.

وقد عقدت مصر صفقة اسلحة كبيرة مع الولايات المتحدة، ستؤدي الى ازدياد الاسلحة الجوية والمدرعات الى أحجام

العلاقة بين مونيكا وبيبي

الملحق السياسي لجريدة معاريف

١٠ / ٣ / ١٩٩٩

بقلم : أوري أفيري

يحب الآن مونيكا . وأقوالها مازالت تقوى تعاطف نتنياهو الشعب مع الرئيس المطارد . إن كلينتون يعرف ويعلم أن نتنياهو أطلق يده لمطاردي كلينتون ، فقد اعتمد عليهم نتنياهو عندما قال لكلينتون في الواقع : " خذ اتفاقية وای وادفعها ، أنت تعلم لأين " . في العامين الباقيين لكلينتون ، وفي الأعوام التي ستأتي لمن سيحل مكانه ، من المؤكد تقريباً آل جور ، سوف يكون بنيامين نتنياهو شخصية غير مرغوبة في البيت الأبيض وربما أيضاً في الكابيتول وإذا ما انتخب نتنياهو مرة ثانية . والعياذ بالله فذلك سيكون كارثة .

ليس نفقا في القدس هو "صخرة وجودنا" وكذلك ليست قطعة أرض في رأس العامود . إن علاقاتنا مع الولايات المتحدة الأمريكية هي ضرورة وجودنا . إن الولايات المتحدة تمنحنا سنوياً هدية مالية مذهلة . إنها تمنحنا سلاح جوي ، معلومات أمنية ، ومساعدة مخابراتية . إنها تستعمل حق الفيتو من أجل أن تدافع عنا من حكم الشعوب . إنها الوحيدة التي تصوت معنا في الأمم المتحدة (باستثناء ميكرونيزيا بالطبع) . إنها تمنحنا تأمين نووي وتتجاهل أفعالنا في هذا المجال .

وكذلك فإن الأمر جزء من مجمل العلاقات فعشرات الدول في العالم أقاموا معنا علاقات وقيمون معنا أعمال وصفقات لسبب واحد وهو أنهم على قناعة بأن إسرائيل هي حليفة أمريكا . فحسب رأيهم فهم يطلبون توصية من إسرائيل من أجل الحصول على مساعدة أمريكية ، والتوجه للكونجرس والدخول للبيت الأبيض . إن هذا الاعتقاد مشترك لدى المعادين للسامية في روسيا ، ولدى المسلمين المتزمتين في طاجيكستان ولدى الحكام الطاغين في إفريقيا السوداء . إنهم يأتون للقدس من أجل الوصول لواشنطن .

كل ذلك قام نتنياهو بتدميره بسبب خطأ فادح في فهم شئون أمريكا ، البلد الذي تربى فيه . إن عرفات بالذات ، الشخص البعيد عن الواقع الأمريكي ، قدر حساباته بصورة صحيحة وتحول هناك لحليف مرغوب فيه . لقد أعلنت الإدارة الأمريكية هذا الأسبوع أنها أرجأت دفع المليار دولار - المعونة التي وعدت بها لإسرائيل - في الوقت الذي صدقت فيه على دفع الدعم الذي وعدت به عرفات . إن الأمريكيين يحبون القصص التي تحوى الأخيار والأشرار . وفي تلك القصة ، مونيكا ، كلينتون وهيلاري هم الأخيار . وستار ومؤيدوه اليمينيون ومعهم نتنياهو هم الأشرار .

نتنياهو هو أطلق يده لمهاجمي كلينتون ، وإسرائيل تدفع عن ذلك ثمنًا باهظًا .

إن مونيكا تملكني . فقد توقعت رؤية صائدة رجال خبيثة مأكرة ، ومتوسله . ولكني رأيت شابة مثقفة ، حساسة ، ذات قدرة على الحديث وعلى روح الفكاهة . لقد آمنت لها . إن القصة نفسها ، كما تبدو من أقوالها عادية للغاية . قصة غرام بين رجل بالغ ، في مكانة رفيعة ، منعزل في منزله ، وقلعته ، وقد أسر بحرارة قلب الشابة الصغيرة ، والتي أحبت دون وعي ودراسة . إنها شابة لأسرة متمزقة ، وجدت الثقة في النفس في حب الرجل ذو المكانة الرفيعة ، والذي منحها الاحساس بأنها جذابة ومثيرة للمشاعر .

قصة غرام صغيرة ، منحت لحظات من السعادة لكليهما ، وتنتهي كالعادة كنهج قصص الغرام من هذا النوع ، حيث تخلف وراءها صداقة أو مرارة . إلا أن السماء قد هبطت عليهم .

إن مونيكا مثل هيلاري ، تؤمن أنه كان هناك تواطؤ (مؤامرة) لليمين المتطرف ، والذي استغلها بصورة بالغة للانتقام من رئيس ليبرالي محبوب شعبياً . وأنا أيضاً مؤمن بذلك . وهنا يدخل الموضوع الإسرائيلي .

ليس بالصورة الساذجة التي طرحت في عدد من وسائل الاعلام العالمية . إن مونيكا ليست الملكة استير ، وهي لم ترسل بواسطة مورداخي الصهيوني لكي تؤثر على الرئيس احشو قروش . وكذلك الحال حول تنصت الموساد من أجل الابتزاز ، فذلك يبدو لي هراء . فإن تدخلنا في الموضوع مختلف تماماً .

والأمر هو كذلك : إن العناصر اليمينية التي ربطت بين الأمور من أجل إسقاط الرئيس بواسطة مونيكا ، هم المحبسون لنفس رئيس وزراء إسرائيل ، لقد جند اليمين المتطرف ، المسيحي الاصولي من أجل زلزلة الأرض تحت أقدام الرئيس كلينتون ، رأس إتفاقية أوسلو . لقد زار نتنياهو بأسلوب تظاهري ، القيس فولول ، في زيارة سريعة لدى الخصم قبل أن يلقي بكلينتون . وعلى مدى سنوات اجتهد لكي يحظى نتنياهو بتأييد الجمهوريين اليمينيين ، أعضاء مجلس الشيوخ والنواب ، أولئك الاشخاص الذين حاولوا شق كلينتون بحبل مونيكا .

إن كل هؤلاء الاصدقاء أصيبوا الآن بصدمة لا طمة . إنهم منتشرون في كل مكان . إن اذاعات مونيكا بمثابة المسامير الاخيرة في نعشهم السياسي ، إن غالبية الشعب الأمريكي

من سيهاجم الصواريخ؟

هآرتس ١٠/٣/١٩٩٩
بقلم: أمنون بارزيلي

* سيمتار في قاعدة الاسطول:

وصل الإسرائيليون إلى مصنع تلداين بعد البقاء ثلاثة أيام في قاعدة الأسطول الأمريكي في سان دييجو على شاطئ الخليج. ما يقرب من ٤٠ إسرائيليًا جرت دعوتهم إلى سيمتار أعدته إدارة الدفاع ضد الصواريخ الباليستية في القاعدة البحرية. اجتمع الميجور جون مورتى، المكلف من قبل البنتاجون بمشروع IBIS، مع الإسرائيليين ليستمع منهم إلى عرض شامل حول التقدم الذي تحقق في تطوير الطائرة بدون طيار الإسرائيلية لمهاجمة الصواريخ الباليستية. كان الاهتمام بهذا المشروع ينصب على ثلاث نقاط: صواريخ هجومية (مواف)، نظام التحكم والمراقبة، وتطوير البرنامج ككل. وحسب ما أعلنته مصادر غربية، فقد أطلق على الطائرة بدون طيار تسمية HA - 10 - وهي الحروف الأولى لـ High Altitude.

والتي تشير إلى قدرتها على التحليق على ارتفاع عال. وتجري عملية التطوير على نار هادئة. ومنذ بدأ التعامل مع الفكرة، قبل أربعة أعوام، تمت مرحلتان بالفعل: الأولى فحص وتحديد القياسات. والثانية تقليل المخاطر وخصص لهاتين المرحلتين، بموافقة الكونجرس، حوالي ٣٦ مليون دولار (الثلاثين من هذا المبلغ بتمويل من البنتاجون)، وهي أموال قليلة مقارنة بالاستثمارات التي أنفقت في تطوير صواريخ «جيتس» أو بعض المنح التي أعطيت لمشروعات أمريكية. وأورد الإسرائيليون في تقريرهم أنه في المرحلة الثانية (الحالية) يتم التدقيق في الاخطار التقنية وكفاءة تصور الهدف، وكذلك القدرة على مهاجمة الصواريخ في مرحلة الدفع الباليستي. ويجري ذلك بواسطة المحاكاة والأنفاق الهوائية في الصناعات الجوية. وخلاصة ما توصل إليه الإسرائيليون في تقريرهم: إن علامات الاستفهام التكنولوجية قابلة للحل، وتصوير الهدف يعمل جيدا. وخلال شهرين إلى ثلاثة أشهر ستنتهي المرحلة الثانية أيضا وسيكون من الممكن البدء في بناء فيروس التيفوس. تلك هي المرحلة الثالثة والمعقدة، التي ترتبط أيضا باستثمار ضخم: من ٣٠٠ - ٤٠٠ مليون دولار، وهو السبب وراء التريث الأمريكي لدراسة «جلوبال هوك». وقد ينتهي الأمر، إلى بناء فيروس التيفوس للطائرة بدون طيار بالتمويل المالي من دافع الضرائب الأمريكي.

كذلك فإن وزارة الدفاع في حاجة لمزيد من الوقت، خاصة لبلورة قرار يحدد أهداف الطائرة بدون طيار: هل يستهدف اعتراض الصاروخ الباليستي في مرحلة الدفع أم منصات الصواريخ قبل الإطلاق. وهناك احتمال آخر تمت دراسته يتمثل في تزويد الطائرة بدون طيار بصواريخ من أنواع مختلفة، لضرب المنصات وضرب الصواريخ بعد إطلاقها

قبل ما يقرب من ثلاثة أشهر وقف وفد وزارة الدفاع والصناعات العسكرية على أبواب مصنع «تلداين رايان ايرونوتيكال» في سان دييجو الواقعة في ولاية كاليفورنيا. والمصنع الذي تملكه شركة «أل-جيانى رايان» ويقع بأحد أجمل مناطق الولاية، ينتج لحساب البنتاجون الطائرة بدون طيار - جلوبال هوك - وهي مخصصة لمهام تكتيكية واستراتيجية. وفي مارس ١٩٩٨ قامت الطائرة بأول تجربة تحليق لها. وتعتبر جلوبال هوك، ودارك ستار أو النجم المظلم وهي نموذج آخر لطائرة بدون طيار، قمة التكنولوجيا. وكلتاهما بمثابة قفزة في مجال تطوير الطائرات بدون طيار من أجل ميدان القتال في المستقبل.

وكان الغرض من مشروع التطوير أن تستبدل «جلوبال هوك» أو «الخطاف الكروي» بطائرة التجسس القديمة يو-2. ولكن لدى الأمريكيين اعتبارات أخرى بالنسبة للطائرة بدون طيار، فقد طرأت على إدارة الدفاع ضد الصواريخ الباليستية (BMDO) بالبنتاجون فكرة أن إسرائيل تستخدم جلوبال هوك كطائرة بدون طيار لمهاجمة الصواريخ الباليستية في مرحلة الدفع أو لمهاجمة منصات الصواريخ حتى قبل إطلاقها. ولذلك وجهت الدعوة إلى الإسرائيليين لزيارة المصنع.

لم يكن ممكنا رفض الدعوة الأمريكية الرسمية. فقد كشف ذلك عن طفرة نوعية في التعامل الأمريكي مع الفكر الإسرائيلي: مهاجمة الصواريخ وهي مازالت في منطقة العدو. غير أن الاقتراح تم قبوله في إسرائيل بمشاعر متداخلة. فمن ناحية، يصعب التعامل مع إمكانية الحصول على منتج جرى تطويره كاملا بالخارج ووضع على الرف. ومن ناحية أخرى، لدى وزارة الدفاع الإسرائيلية مصالح خاصة. ومع أن الشراء من على الرف يقلل التكلفة بدرجة كبيرة، فهناك الرغبة في الحفاظ على استقلالية تطوير أنظمة التسليح.

هكذا، وفي أعقاب الدعوة الأمريكية، جرت الزيارة لمصانع تلداين في ١٧ ديسمبر ١٩٩٨. وكان على رأس الوفد الإسرائيلي د. أهرون موس، من كبار مسئولى إدارة تطوير الوسائل القتالية والبنية الأساسية بوزارة الدفاع، ويتولى موس إدارة العلاقات مع البنتاجون كما أنه المسئول أيضا عن مشروع IBIS الذي يجرى في إطاره تطوير الطائرة بدون طيار والتي تعترض الصواريخ في مرحلة الدفع BPI. وضم الوفد بعض العاملين الكبار من إدارة تطوير الأسلحة القتالية، والصناعات الجوية، وشركة تديران، المشاركين في المشروع. إلى جانب أفرايم تسوكرمان، مدير مصنع ميلط - منتج الطائرات بدون طيار للصناعات الجوية - الذي شارك في الزيارة.

بوقت قصير.

* الاقتراح الأمريكي..

تلوح إدارة البنتاجون بعدة أهداف تكنولوجية لجلوبال هوك حتى تقنع وزارة الدفاع بدعم الطائرة الأمريكية بدون طيار تجاه المهام الاستراتيجية الإسرائيلية. فوقت بقاء الجلوبال هوك في الجو ٤٢ ساعة، والمدى التنفيذي لها حوالي ٢٥ ألف كيلو مترا وسرعة تحليقها ٣٤٣ كيلو مترا في الساعة. وأهم ميزة فيها القدرة على الطيران في ارتفاع ٦٥ ألف قدم (أماحتس 1 - هارون - طائرات بدون طيار استراتيجية ينتها الصناعات الجوية الإسرائيلية فتصل إلى ٣٢ ألف قدم فقط). وتحقق قدرة تحليقها بفضل امتداد اجنحة تصل إلى ٣٠ مترا. والجلوبال هوك مزودة أيضا بنظام راداري متطور وبكاميرا مهيأة لاستخلاص صور بدرجة فصل حتى ٣٠ متر.

صحيح، أن الطائرة بدون طيار تلبى الاحتياجات الاستخبارية، مما يلبي هدف احلالها محل الطائرة يو-2، ولكنهم في البنتاجون يؤكدون على فخامة الجلوبال هوك، فهي مهيأة لحمل ما يزن طن - وهي ميزة ذات أهمية كبيرة إذا عرفنا أن الطائرة من المفترض أن تحمل صواريخ. والجلوبال هوك مزودة أيضا بمحرك نفاث من انتاج ألبسون مركب في المؤخرة، وهي ميزة هامة مقابل الطائرة الإسرائيلية المزودة بمحرك مكابس.

وللوصول إلى مستوى تنفيذي غير مسبوق، وبالإضافة إلى ما فيها من امكانات، تم تجهيز جلوبال هوك بالقدرة على المراوغة والتخفى من الرادارات. وكان المفترض أن الارتفاع الكبير الذي تحلق فيه يعطيها خاصية دفاع طبيعية أمام اجهزة الرادار وصواريخ أرض - جو. لكن الأمر يختلف في منطقة التهديد المباشر. لذلك فلكى تكون فعالة كطائرة بدون طيار تهاجم الصواريخ، تقترح شركة تلداين تزويد جلوبال هوك بوحدة قتالية اليكترونية تتعامل مع أية محاولات لضربها، وتزيد قدرة بقائها في ميدان المعركة.

ذلك ما اقترحه الأمريكيون لاتمام المشروع الذي بدأ قبل حوالي خمس سنوات. ففي منتصف التسعينيات اشتركت الصناعات الجوية الإسرائيلية وتلداين في مناقصة البنتاجون لهذا المشروع، وقد رفض عرض الصناعات الجوية الذي قدمته بشراكة مع شركة تي. آر. في. وفازت تلداين بالمناقصة وبدأت في تطوير جلوبال هوك. والآن تقترح الشركة الأمريكية، بتشجيع من البنتاجون، تشكيل اتحاد مالى من الشركات لبناء الطائرة الإسرائيلية الاعتراضية بدون طيار. تقوم تلداين بتمويل المشروع، وتتولى هيئة تطوير الوسائل القتالية الصواريخ، وتتولى تلديرون نظام السيطرة والمراقبة. وستكون الصناعات الجوية الإسرائيلية مسئولة عن التجميع وعن بناء الحمولات المطلوبة.

* مأزق إسرائيلي:

لقد تسبب القرار بزيارة شركة تلداين، منتجة جلوبال هوك، في ازعاج بعض أعضاء الوفد الإسرائيلي، خاصة رجال الصناعات الجوية. حيث خشوا من أن تفسر هذه الزيارة باعتبارها تلميحا بأن عليهم أن يدلوا بما عندهم. إذ أن

الاعتقاد الإسرائيلي أن جلوبال هوك أكبر وأعلى من الاحتياجات الإسرائيلية. وبعد أن اتضح مقدرتها على التحليق في ارتفاعات شاهقة، فإن دور جلوبال هوك، في الواقع سيماثل قمرا صناعيا.

المعروف أن الزيارة إلى مصنع تلداين لم تتكرر، ولا يتوقع ذلك. غير أنه خلال الأسابيع الأخيرة فحسب اتضح أن وراء التفكير الأمريكي - بالربط بين جلوبال هوك ومشروع IBIS الإسرائيلي - تتوارى مشكلة لم يكن الإسرائيليون على علم بها. فسلح الجو الأمريكي لا يعرف كيف يستغل الطائرات غير المدرجة لمهام محددة. وفي نهاية أكتوبر الماضي نفذ « فيروس تيفوس » الثانى التابع للطائرة بدون طيار الاستراتيجية « النجم المظلم » تجربة تحليق رابعة. ولكن في الشهر الماضى فقط أوقف سلاح الجو الأمريكى تطويرها بواسطة لوكهيد مارتن وبوينج، بحجة مشكلة اعتمادات مالية.

وكشفت المجلة الأمريكية المعنية بشئون الطيران « أقيشان ويك » عن أن مصيرا مشابها ينتظر جلوبال هوك. والشركة على وشك اتمام بناء خمس منها، وليس لدى سلاح الجو الأمريكى النية فى تخصيص موارد لانتاج منتظم لها. وحتى يجدوا تمويلا مناسباً، فإن الشركة ستضطر إلى وقف خط الانتاج وتسريح العاملين فيه. وحسب ما أوردته المجلة الأمريكية الاسبوعية، فإن الشركة الأم ألبيني تلداين رايان ايرونوتيكال قررت كرد فعل، أن تعرض للبيع انتاجها من جلوبال هوك. ولكن لابد من أن تعلن مسبقا عن اغلاق المشروع.

وفى وزارة الدفاع لا يجدون أية صلة بين الأزمة فى الشركة الأمريكية وبين مستقبل مشروع IBIS الإسرائيلي. لكن الحقيقة أن القرار بإنهاء ووقف المشروعين الأمريكيتين الطموحين المتصلين بتطوير طائرات بدون طيار لأسباب مالية، سيلحق ضررا ما بالمشروع الإسرائيلى يضعه على مفترق طرق.

وفى ميزانية البنتاجون المقترحة لعام ٢٠٠٠ هناك بند خاص بالاعتماد المالى للمشروع الإسرائيلى. وبينما يخصص البنتاجون للمشروعات العسكرية الأمريكية التى وصلت إلى مراحل تطوير مختلفة مئآت الملايين من الدولارات وأحيانا مليارات، فإن المبلغ المقابل للمشروع الإسرائيلى هو صفر. وهنا يكمن التشابه بين مشروع سان دييجو والمشاريع المشتركة لبناء طائرة إسرائيلية بدون طيار.

وهكذا لم يتضح بعد متى سيتخذ القرار بشأن « فيروس التيفوس » (وهى المرحلة الرئيسية والأهم) للطائرة الإسرائيلية بدون طيار. هل سترصد وزارة الدفاع من ميزانيتها المبالغ المطلوبة أم ستنظر البنتاجون؟

وطالما أن الأمر يعنى ميزانية بمئآت الملايين من الدولارات، فالقرار سيكون مرتبطا بعملية طويلة ومعقدة لموافقة الكونجرس. ومن المشكوك فيه أن تتم هذه العملية قبل الانتخابات الإسرائيلية، ولكن لنا أن نفترض بأن الاطمق الفنية الإسرائيلية، على عكس مثيلاتها فى الولايات المتحدة، لن يتم تسريحهم انتظارا للميزانية الأمريكية.

الأردن حليف

هآرتس ١٩٩٩/٣/١

بقلم: هيئة التحرير

كان من المفترض أن تترك زيارة رئيس الوزراء ووزير الخارجية للأردن انطباعاً أولياً للملك عبدالله عن العلاقات بين إسرائيل والأردن. وبالفعل فقد تأهب الجانبان في الوقت المناسب لتقريب القلوب حيث سارع بنيامين نتنياهو بالإعلان عن استعداد إسرائيل لتأييد النظام الجديد في الأردن والتعاون معه ومساعدته. وأما الملك عبدالله من جانبه، فقد وصف نفسه بأنه أخ لإسرائيل وأنه يرغب في العمل مع نتنياهو. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو: من الذي دفع نتنياهو على ضوء العلاقات الخاصة مع الأردن إلى الزج بإسمها كمثال للدولة التي حاولت إحياء الجبهة الشرقية؟ إن الإجابة على هذا السؤال عند نتنياهو وحده.

ولو كان تصريح نتنياهو قد جاء على ضوء العلاقة الشخصية العميقة والقوية مع زعماء الأردن لكان من الممكن التقليل من قيمة هذا التصريح. ولكن رئيس وزراء إسرائيل مشهور بشكه في الزعماء العرب ولديه القدرة على تخریب العلاقات الشخصية مع الزعماء العرب، والمنظور التاريخي لا يخدم إدعاء نتنياهو، وعلى سبيل المثال نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها أيدت العراق إلى أن قامت بغزو الكويت، وإسرائيل نفسها حاولت في الماضي دراسة إمكانية إقامة علاقات مع العراق. وقد تجاهل نتنياهو، حتى يقوى إدعائه، اتفاقية السلام الموقعة بين إسرائيل والأردن والتي تشمل بنود دفاع متبادلة، وتجاهل أيضاً حقيقة أن للأردن مساهمة غير رسمية في المحور الاستراتيجي القائم بين إسرائيل وتركيا. ومعروف عن نتنياهو قدرته على رسم سيناريوهات كئيبة ولكن جميع الدلائل تشير إلى أن الأردن تعتبر السلام مع إسرائيل قيمة كبيرة للغاية.

وقد بذل نتنياهو والمتحدثون بإسمه جهوداً كبيرة حتى يوضحوا وينفوا ويصلحوا الخطأ ويمحوا الانطباع السيئ الذي تركته تصريحات نتنياهو في المحاضرة التي القاها في

جامعة برايلان.

ولكن ليس المهم هنا الدقة التاريخية، على الرغم من أن إهمالها غير مطلوب. ويمكن القول أن تصريحات نتنياهو قد فعلت فعلتها حتى أن رد الفعل الأردني على المستوى الشعبي قد ترك شرخاً كبيراً في العلاقات. والشئ الغريب والمدهش أن رئيس وزراء إسرائيل بالذات هو الذي أدلى بهذه التصريحات بعد أن عكفت الحكومة في الأسابيع الماضية على تحليل الموقف في الأردن لمعرفة أو لتخمين ماهو الخط السياسي الذي ستتخذه الأردن بعد موت الملك حسين، وبعد ذلك يأتي هذا التصريح عديم المسؤولية الذي يدل على أزمة عدم ثقة في التزام الأردن بالعلاقات مع إسرائيل.

لقد أصبحت الأردن في الفترة الأخيرة دولة معرضة للعزل، حيث تسعى سوريا إلى أن تعيدها إلى ما يسمى «بالدرب العربي» وأما مصر فإنها تحاول طمس الخط الاستقلالي الذي تتبعه الأردن. ومن المؤكد أن ياسر عرفات يرى أن هناك فرصاً جديدة في ظل وجود الملك عبدالله. وكذلك دول الخليج فإنها لا يمكن أن تقدم هدايا دون أن يكون هناك ثمن سياسي لها. وعلى الرغم من ذلك فإن الأردن ليست في مفترق الطرق والطريق الذي سلكه الملك حسين هو الأساس الذي سيبني عليه عبدالله سياسته. وهذه السياسة - وحتى لو كانت مستقرة - في حاجة إلى تأييد إسرائيل والتي ستثبت للجماهير الأردنية أن الطريق الذي سلكه قادة الأردن في صالح الجماهير.

ومن الممكن الشعور بالأسف لأن لقاء العمل الأول لرئيس وزراء إسرائيل مع ملك الأردن قد تحول إلى لقاء لاطفاء الحرائق وبدلاً من العمل على رعاية العلاقات بين الدولتين فإن نتنياهو سوف يضطر مرة أخرى إلى العمل بكل قوته من أجل أن يسير في محله وأن يبرر ما قاله وأن يرضى الأردنيين ويحاول تحقيق المصالحة معهم.

المسألة الكردية ضربة قاسمة للحركة السرية

معاريف ١٩٩٩/٢/١٧

بقلم: عوديد جرانون

قُبيل فجر أمس سجلت نقطة درامية في تاريخ النضال العنيف للحركة السرية الكردية في تركيا من أجل الحصول على الاستقلال. فزعيم التنظيم المكروه لدى الأتراك، تم القبض عليه بواسطةهم وكرد للفعل غمر مؤيدوه أوروبا بموجات من الاعتراض واتهموا إسرائيل أيضاً بالمسؤولية في القبض عليه. وعلى مدى أكثر من ٢٠ عاماً قاد أوجلان (ومعناه المنتقم)

رجال لآلاف العمليات الارهابية ضد السلطة التركية، والتي من جرائها حسب زعم أنقرة قتل أكثر من ٢٠ ألف شخص. وعلى مدى كل هذه الفترة اعتمد أوجلان أساساً على المساعدة التي حصل عليها من خارج تركيا. فقد سمحت له دول مثل سوريا، والعراق وإيران بإقامة قواعد لشن العمليات في أراضيهم وإدارة الهجمات بشكل حرب العصابات من هناك

إلى داخل الأراضي التركية. كما قام الأكراد الاغنياء الذين يعيشون في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بالمساهمة بالأموال وساعدوه على إفراز خلايا سرية كذلك في الغرب. إلا أن العام السابق كان عاما سيئا على الحركة السرية لأوجلان، والتي تحمل اسم حزب العمال الكردستاني. فقد وعد الإيرانيون الأتراك بوقف مساعدتهم للحزب السري. وكذلك تعهد الفرعان الكرديان بالعراق لمسعود برزاني وجلال طالباني بتصفية وجود التنظيم في المنطقة التي تقع تحت سيطرتهم في شمال العراق.. وذلك في أعقاب اتفاق المصالحة الذي تم بينهم في واشنطن.

وكانت الضربة القاسية للغاية قد وقعت على التنظيم في نهاية العام الماضي عندما تراجع السوريون أيضا وفي ظل التهديد العسكري من قبل تركيا، حيث أغلقوا قواعد الحركة

السرية الكردية في أراضيهم وطردها أوجلان إلى الخارج. ومن تلك اللحظة تحول المنتقم إلى حيوان مطارد يبحث عن ملاذ وكانت نهايته معروفة مسبقا.

من ناحية السلطة التركية، فإن القبض على أوجلان هو بمثابة إنجاز غال كبير، ومن ناحية الحركة السرية فإنها بمثابة ضربة قاصمة ولكنها ليست ضربة الموت. فالنضال لم ينته بعد. فتركيا وبعثاتها الدبلوماسية في الخارج في أنحاء العالم ستتحول الآن إلى أهداف لمحاولات عمليات إرهابية صعبة من قبل مؤيدي الحركة السرية، طلبا لإطلاق سراح زعيمهم في المستقبل، وكما يمكننا التخمين، انتقاما لاعدائه المتوقع. وإسرائيل إذا لم تنجح في إقناعهم بأنه لا يد لها في التورط في قضية القبض على زعيم الحركة السرية الكردية، فإنها من المحتمل أن تصاب بالأضرار أيضا.

نزاع سخي

ملحق معارف

١٩٩٩/٢/٢٣

بقلم: شموئيل شنيتر

الأمريكان من مصير قري كاملة تم سحقها من على وجه الأرض في شرق تركيا أو في شمال العراق، واقع لا يمكن إنكاره.

إن الحركة القومية التي ترغب في أن تسجل في الجدول العالمي، تحتاج قبل أي شيء إلى علاقات طيبة مع رجال الاعلام الغربيين. وقد تفهم الصهيونيون ذلك جيدا، وقد تلقوا المساعدة بشكل ليس قليل بواسطة صحفيون ورؤساء تحرير في بلاد مختلفة والذين تم تجنيدهم بأيدي رؤساء الحركة الصهيونية. وقد حظى الأكراد قبل سنوات عديدة جدا بنجاح دبلوماسي هام، وذلك عندما تم الاعتراف بمطالبهم في الحكم الذاتي الإداري في اتفاقية السلام «سيفر» والتي كان من المفروض أن تلخص الحرب العالمية الأولى على الجبهة التركية، حكما ذاتيا إداريا وثقافيا في إطار تركيا العثمانية المهزومة. بيد أن معاهدة سيفر للسلام لم يتم التصديق عليها أبدا، بل إنها في الواقع لم تخرج لحيز التنفيذ.

وكانت معاهدة سلام أخرى متأخرة، أخذت في الاعتبار انتعاش تركيا بعد سقوطها من أيدي البريطانيين، كانت تلك المعاهدة قد محت البند الكردي. ومنذ ذلك الحين لم يتوقف الأكراد عن النضال حول حقوقهم في سلطة ذاتية وحكم ذاتي ثقافي، ولكن كل الدماء التي سفكت لم تغير ميزان اللامبالاة والاصرار على الدم.

إن المشكلة الكردية ببساطة لم تطرح على جدول اهتمامات الأمم.

إن الأكراد هم شعب، بل وقد فرقههم التاريخ في ثلاث بلاد مجاورة. وإذا ما فكروا خطوتين للأمام وبحثوا عن التقارب لدى اليهود والإسرائيليين بدلاً من إثارة الخصومة معهم بسبب شكوك ليست حقيقية، فربما نستطيع أن نساعدتهم في إخراجهم لوعي الأمم، وهي فقط، التي تستطيع أن تساعد ذلك الشعب الشجاع والذكي في الوصول إلى أهدافه.

هناك كثير من الأمور المشتركة بين الأكراد والإسرائيليين، ولا يوجد سبب واحد لكي يتحاربوا فيما بينهم.

إن الصراع بين اكراد تركيا والإسرائيليين هو من الصراعات السخيفة في التاريخ، والتي تضع هؤلاء ضد أولئك.. قوميتان - حسب أي منطق - يحتاجان بعضهما لبعض. فإذا ما استطاع الأكراد أن يتحرروا من الشك المريع لديهم، والاقتناع بأن إسرائيل لم يكن لها يد في القبض على زعيمهم أوجلان وتسليمه إلى أيدي السلطات التركية، وكذلك لم يكن يهمها أمر الاضرار بالحركة القومية الكردية، ربما تنفتح إمكانية دراسة مسألة: كيف يمكن للقوميتين مساعدة بعضهما البعض؟. إن دولة إسرائيل في حاجة لكل عنصر غير عربي في الشرق الأوسط المليء بالنزاعات، والذي يمكن أن يتعاون معها ضد الأغراض العربية التي تسود في الشرق العربي. والشعب الكردي يستطيع أن يستغل إلى مدى كبير العلاقات الطيبة التي تتمتع بها دولة إسرائيل مع الدولة العظمى المنتصرة الآن، والوحيدة على وجه الأرض.

إن مشكلة الأكراد هي، أنه بعد مرور أجيال على الصراعات القومية، لم ينجحوا في أن يدفعوا مشكلتهم إلى وعى الأمم الأوروبية الغربية. فالعالم المتحضر يختار له بشكل استعراضي قليلا الظلم والجور القومي الذي هو ملزم بالمساعدة في تعديله. فالمشكلة الفلسطينية، على سبيل المثال، حظيت بحظ وفير حيث سجلت بحروف مقدسة بجدول الاهتمامات الدولي. وتحولت مشكلة كوسوفا في يوجوسلافيا السابقة إلى مشكلة أمريكا وبريطانيا وحلف شمال الأطلسي، وذلك بعد أن أذيعت وعرضت صور المواطنين الذين قتلوا بتليفزيونات الشعوب كلها. إن المسألة ليست عدد الضحايا. فلا شك أن عدد قتلى الأكراد أكبر بكثير من عدد شهداء ألبان كوسوفا. وحقيقة، أن مصير أي منشق أعزل في الصين أقرب لقلب

هآرتس ١٤ / ٣ / ١٩٩٩

بقلم : رونى سيناي

وضع القدس : عاصمة وحالة نفسية ■

زمرة الدول التي تعترف بالقدس ، لا تعترف أيضا بسيادة اسرائيل على القدس الشرقية ، وإنما هي تعترف فعليا بالقدس الغربية فقط كعاصمة لاسرائيل ، حتى الكونغرس الأمريكى المتعاطف امتنع عن الاعراب عن موقف يتعلق بسيادة اسرائيل على المدينة الشرقية ، وإن كان يمكن الاستنتاج من صيغة القانون ، انه يعترف أيضا بشرق المدينة كعاصمة لاسرائيل . فى الفقرة الفرعية (أ) بالبند (٣) بالقانون ، جاء أن "القدس يجب أن تظل مدينة موحدة" ، وفى الفقرة الفرعية (ب) جاء "يجب الاعتراف بالقدس كعاصمة لاسرائيل".

ولكن الموقف الرسمى للولايات المتحدة ، وكذلك دول أوربا هو أن يتم تحديد الوضع النهائى للقدس فى المفاوضات بين اسرائيل والفلسطينيين مثلاً ، عندما قام الرئيس كلينتون بزيارة اسرائيل عام ١٩٩٤ رفض أن يتجول فى المدينة القديمة ، لأن عمدة المدينة ايهود أولمرت أصر على أن يرافقه ، وهو الأمر الذى يفسر على أنه اعتراف أمريكى بأن اسرائيل لها السيادة على القدس الشرقية أيضا. وفى حل وسط لم يرض أى طرف ، أرسل زوجته هيلارى للقيام بجولة عند حائط المبكى مع أولمرت.

كذلك لا تشترك الولايات المتحدة فى مراسم التوقيع على اتفاقيات دولية ، لو أجريت هذه المراسم فى الوزارات الموجودة فى القدس الشرقية . نفس السلوك يتبعه الاوربيون .

ويقول الدكتور موسى هيرش ، استاذ القانون بالجامعة العبرية ، والباحث بمعهد القدس أن سفير المجموعة

هذه الأيام تشق ورقة طريقها عبر قنوات البيروقراطية الأمريكية ، وهى تتبجح للرئيس كلينتون نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب الى القدس. والوثيقة التى سيوقع عليها كلينتون الشهر القادم تهدف الى منع تطبيق القانون الذى صدر فى ١٩٩٥ بأغلبية ساحقة فى الكونغرس الأمريكى ، والذى يعترف بالقدس كعاصمة لاسرائيل ، ويؤكد على نقل سفارة الولايات المتحدة اليها فى موعد أقصاه ٣١ مايو ١٩٩٩.

كذلك جاء فى هذا القانون إنه إذا لم تنفذ الادارة الأمريكية هذا القانون ، فسوف يتم تقليص ميزانيتها . إلا أنه إزاء الاعتراض الشديد من جانب الادارة ، قدم المشرعون للرئيس اقتراحا ، يتبجح له أن يعلن عن عدم تنفيذ القانون لأنه قد يضر المصالح الأمريكية فى المنطقة. وعلى الرئيس ان يجدد هذا التصريح كل ستة شهور طالما أنه لا يرغب فى تطبيق القانون .

إن الخلاف الحاد بين الادارة والكونغرس بشأن القدس ، والحل الموجود لتخطى هذا الخلاف ، يوضحان مقدار الحساسية المفرطة التى تبديها أغلب دول العالم تجاه وضع القدس ، والفجوة التى بين مواقفها المعلنة ، وبين أعمالها الفعلية ، ووسائل المناورة الابداعية ، وأحيانا الكوميديا التى سلكوها على مر السنين.

هناك بالفعل ثلاث دول فقط فى العالم تعترف رسميا بالقدس كعاصمة لاسرائيل وهى : الولايات المتحدة ، والسلفادور وكوستاريكا . والاعتراف الأمريكى - كما رأينا . مقيد بسبب موقف الادارة ، وكذلك توجد فى القدس سفارتان أجنبيتان فقط ، وهناك أكثر من ٨٠ سفارة أخرى موجودة فى تل أبيب وضواحيها . ولكن

الأوروبية في إسرائيل يرفض المشاركة في الاجتماعات التي تنظمها الجامعة بغندق هيات الملاصق لقناء الجامعة عند جبل الأنبياء ، وذلك لأن جبل الأنبياء نفسه كان جيبا إسرائيليا حتى عام ١٩٦٧ ، ولذلك لا يعتبر أرض محتلة ، أما المنطقة المقام عليها الفندق فلم تكن تحت السيطرة الاسرائيلية . وكان الحل الذي وجدته الجامعة هو عقد الاجتماع الذي يدعون السفير اليه داخل الحرم الجامعي نفسه .

إن موضوع القدس مشحون جدا من الناحية القانونية والسياسية والحسية والرمزية ، حتى أن دول أوروبا تفضل دائما أن تتخذ مواقف مبهمه تجاهه إلا إذا أجبروها على أن تفصح عن ذلك الموقف ، مثلما فعل وزير الخارجية ايريل شارون ردا على طلبه ، بالألا يشارك ممثلون دبلوماسيون أجانب في اجتماع التلقين الذي دعاهم إليه فيصل الحسيني في بيت الشرق بالقدس الشرقية ، ورد الاتحاد الأوروبي بشكل مهذب ولكن بتشدد ، بأن القدس هي (كيان منفصل) ، ولذلك فإنه ليس من حق إسرائيل فعلا أن تملأ على تمثيلها ماذا يفعلون في المدينة .

والموقف الرسمي للدول الأعضاء بالأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ ، ومثلما صدق عليه أيضا في بداية الخمسينات ، هو أن القدس تعتبر كيانا منفردا ، يجب أن تحصل على وضع دولي وأن تديرها الأمم المتحدة ، هذا الموقف في حالة غفوة منذ زمن طويل . حتى الفاتيكان الذي تبني هذا الموقف من خلال رغبته بحماية الأماكن المسيحية المقدسة ، هجره في السنوات الأخيرة مقابل أن يؤيد البابا أية تسوية يتوصل إليها الفلسطينيون وإسرائيل ، مع منح ضمانات دولية للوضع الخاص للأماكن المقدسة .

رغم إنه لا توجد دولة واحدة تعترف بسيادة إسرائيل على القدس الشرقية ، وثلاث دول فقط تعترف رسميا بالقدس الغربية كعاصمة لإسرائيل ، إلا أن جميعهم يعترف بغرب القدس كعاصمة مع وقف التنفيذ . وقد ضعفت المقاطعة التي فرضتها جميع دول العالم على القدس الغربية على مر السنين . في الخمسينيات ، مثلا ، رفض السفراء الأجانب المشاركة في المراسم التي كانت تتم في المدينة ، أو تقديم أوراق اعتمادهم للرئيس في القدس . يحكى ميرون بنبنشي الحبير في تاريخ القدس إنه في عام ١٩٥٣ كان السفير الايطالي سيقدم أوراق اعتماده ، ولحسن حظه ، أن الرئيس إسحاق بن تسيقي كان يقضى اجازته في طبرية في ذلك الوقت . عند ذاك لم يتكاسل الوزير وسافر الى طبرية . في أعقاب ذلك أعلنت إسرائيل أنها المرة الأخيرة التي ستتسلم فيها أوراق اعتماد لسفير خارج مدينة القدس .

بعدما انتقلت تقريبا جميع الوزارات من تل أبيب الى القدس في بداية الخمسينات ، نقلت بعض الدول سفاراتها الى هناك مثل هولندا واليونان .

يقول رجل القانون د . شموئيل بركوفيتش أنه من بين

١٣٦ دولة بينها وبين الولايات المتحدة علاقات دبلوماسية ، تعتبر اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي لا توجد السفارة الامريكية في عاصمتها . في عام ١٩٨٠ ، عندما صدر قانون أساسي بأن القدس هي عاصمة إسرائيل ، قامت الدول القليلة التي كانت لديها سفارات بها بنقلها من المدينة . ومنذ ذلك الحين لم تعد سوى السلفادور وكوستاريكا . أما بوليفيا وباراجواي فقد وصلتا فقط الى حدود منطقة ميسرت تسيون القريبة من القدس ، وهو ما قد يورط هذه الدول في حالة ما إذا تم تنفيذ مشروع ضم منطقة ميسرت تسيون الى الحدود البلدية للمدينة ، وقانون القدس - الذي بادرت به جيئولا كوهين - كان ذا قيمة إعلانية فقط لأنه في عام ١٩٦٧ قامت إسرائيل بضم شرق المدينة ، ولكن ما قيل فيه ، أجبر الدول الأجنبية على أن تأخذ موقفا ضده .

إن ضم القدس عام ١٩٦٧ ، وضع أمام المندوبيات الأجنبية مجموعة متنوعة من المشاكل الجديدة فيما يتعلق بموقفها تجاه القدس . لقد كان لكثير من هذه الدول قنصليات في شرق المدينة ، كانوا يمثلونها أمام النظام الأردني . بعد الحرب رفضوا أن ينقلوا اعتمادهم لإسرائيل ، وهو الأمر الذي خلق تعقيدات غير قليلة . مثلا كان لدى الولايات المتحدة قنصلية في القدس منذ الربع الأخير من القرن الماضي ، بعض مكاتبها فتح في غرب المدينة في شارع أرجون ، والبعض في الشرق . وقد أقام القنصل العام في مقره الرسمي في شارع أرجون ، وكان ينتقل عبر بوابة مندلباوم في طريقه الى مكاتبه بشرق المدينة . وكان قسم منح التأشيرات للإسرائيليين موجودا في غرب القدس وفي القدس الشرقية القسم القنصلي للأردنيين .

بعد الحرب تقرر أن يعمل القسم القنصلي في القدس الشرقية ليخدم الاسرائيليين والفلسطينيين ، وعلى التأشيرة الامريكية التي يحصل عليها الاسرائيلي مواطن القدس ، يوضع ختم (القدس الغربية) ، أما القسم السياسي فقد استقر في شارع أرجون . حاليا يقيم موظفو القسم السياسي في الجزء الشرقي - في بيت جينيا وشوعفاط ، واتصالاتهم الرسمية مع الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة . أما القنصلية الامريكية في القدس ، فهي تعتبر بالفعل سفارة أمريكية للضفة والقطاع ، حسبما يقول بنفنستي .

وليس لموظفي القنصلية أية اتصالات رسمية مع وزارة الخارجية الاسرائيلية باستثناء القسم القنصلي الذي يرعى القضايا الادارية ، مثل اللوحات المعدنية الدبلوماسية لسيارات السفارة . وتقوم القنصلية بمخاطبة وزارة الخارجية مباشرة في واشنطن ، وليس للسفارة في تل أبيب .

العلاقة الوحيدة للقنصلية الامريكية مع جهة رسمية في إسرائيل هي بلدية القدس ، وذلك على غرار علاقة

القنصلية البريطانية، والفرنسية، والبلجيكية وباقي القنصليات الأجنبية الكائنة في المدينة الشرقية. يقول بنبنشتي إنه في السبعينيات أراد عمدة المدينة تيدى كوليك إقامة حفل عيد الاستقلال الرسمي في الحديقة المجاورة لبرج داود. وكان هذا هو الحفل الوحيد الذي اعتاد الممثلون الأجانب في المدينة أن يحضروه لأنهم كانوا يمتنعون عن الاستقبال الرسمي في مقر الرئيس. ولكن في أعقاب قرار كوليك، أعلن عميد سلك القناصل - وكان آنذاك بنبنشتي نائبا للعمدة، أن الفريق الدبلوماسي لن يستطيع حضور حفل الاستقبال لأنه أقيم في منطقة محتلة. ويقول بنبنشتي أخرجت خريطة وأوضحت أن المكان الذي سيقف فيه تيدى كوليك ويستقبل الضيوف كان حتى عام ١٩٦٧ منطقة مهملة، فقال له عميد القناصل إذا تعهدت بذلك، فسوف نحضر، وهذا ما حدث. كذلك رفضت القنصليات الأجنبية في

القدس الشرقية في السبعينيات دفع عوائد أبنتهم للبلدية. وفي النهاية تم التوصل الى حل حيث قاموا بالدفع مقابل خدمات مثل جمع القمامة. ومازال الى يومنا هذا الحذر مستمرا من جراء خطوات قد تفسر على إنها اعتراف بسيادة إسرائيل على القدس الشرقية. وتحرص القنصلية الفرنسية الموجودة عند خط التماس بين شرق المدينة وغربها على عدم دعوة إسرائيليين وفلسطينيين لديها في وقت واحد. ولا تقوم أية قنصلية بدعوة مسئولين بالحكومة الاسرائيلية الى حفلات الاستقبال الدبلوماسية التي تقيمها. وعلى مدار أكثر من مائة عام هيأت القنصليات الموجودة في القدس قواعد سلوك عامة، وطقوس ورموز تتناسب مع التقلبات السياسية في المدينة. يقول بنبنشتي "إنها أمور حساسة يجب أن تعامل بصورة دبلوماسية، وليس بشكل فظ، مثلما فعل وزير الخارجية الحالي".

خطة سرية لبلدية القدس ووزارة للاستيعاب : تحويل المدينة الى هدف وحيد امام استيعاب المهاجرين

هآرتس
١٧ / ٣ / ١٩٩٩

في وثيقة مشتركة لوزارة الامن الداخلي وبلدية القدس، وضعت في بداية شهر يناير ١٩٩٩ على مكتب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، وعلى مائدة اللجنة الوزارية لشئون القدس، تم التأكيد على ان الاغلبية اليهودية في عاصمة اسرائيل تواجه الخطر.

في خطاب ارسله عمدة القدس ايهود اولمرت الى رئيس الوزراء في يناير ١٩٩٩، جاء ان (عدد غير اليهود في القدس يقدر حاليا بنسبة ٣١ - ٣٥٪ ومؤخرا، في اجتماع مشترك لوزراء الصناعة والتجارة والاستيعاب، اتفقنا على أن نوصي امام الحكومة بتحويل القدس الى هدف قومي مفضل (ووحيد) لاستيعاب المهاجرين، وبخاصة من دول الكومنولث الجديد في خطة خمسية سنوية. وقد اتفقت وزارة الاستيعاب والبلدية على خطة امتيازات خاصة، في اطار برنامج عام من اجل تحويل القدس الى مكان جذاب امام المهاجرين. وتقدر التكلفة العامة لهذا البرنامج بـ ٢٥٠ مليون شيكل على مر

خمس سنوات. ومن أجل تنفيذ البرنامج عام ١٩٩٩ مطلوب ميزانية مقدارها ٣٥ مليون شيكل).

ويؤيد رئيس الوزراء هذا البرنامج مبدئيا. وفي لقاء عقد مؤخرا برئاسته، شارك فيه اولمرت وكبار المسئولين في وزارة المالية أكد نتنياهو على موقفه الايجابي في هذا الشأن.

في تلك الاثناء تزايدت مطالب بلدية القدس لاستيعاب الهجرة الى ٥٨ مليون شيكل في عام ١٩٩٩. وسوف يحسم نتنياهو موضوع المبلغ الدقيق حتى اجتماع الحكومة الخاص بقضية القدس، وذلك في منتصف الاسبوع المقبل.

ويبلغ اجمالي المطالب الخاصة للقدس لعام ١٩٩٩، ٢٦٣ مليون شيكل، منها ١٣٠ مليون لتطوير البنية التحتية بالقدس الشرقية، ٥٧ مليون كممنحة خاصة و ٥٨ مليون للاستيعاب.

دور "العبرية" فى الثقافة السياسية الإسرائيلية

أمين اسكندر

إذن نحن أمام سلوك ناتج عن نص مقدس وشعب مقدس وسلوك مقدس أيضاً! ذلك هو جوهر الثقافة السياسية السائدة لدى التجمع الإسرائيلى على أرض فلسطين. وحتى تستكمل دائرة القداسة لا بد من تناول اللغة العبرية، فهى أيضاً لغة مقدسة - حسب الرأى السائد عند اليهود وعند الحركة الصهيونية - ومن هنا كان الحفاظ على الأبجدية العبرية فى المعابد والكنس فى فترات طويلة من زمن الشتات عاملاً فاعلاً فى الحفاظ عليها، بل أن كتابة اللهجات واللغات الأخرى - مثلما حدث فى اللاديتو واليديش - بالأبجدية العبرية حافظ عليها كأداة للتواصل والانعتاق والتعبير عن الشخصية اليهودية. والعبرية لغة من مجموعة (اللغات السامية)، وقد جاءت نظرية اللغات السامية من التسمية التى أطلقها (شلوتسر) على العرب والفينيقيين والعبرانيين ومجمل الشعوب المذكورة فى التوراة على أنها من نسل (سام بن نوح) والقرباة بين اللغات السامية وثيقة جداً، وقد أدرك ذلك كثير من مستشرقى القرن السابع عشر، كما أدرك كثير من العلماء قبلهم بمئات من السنين، كان من بينهم عالم يهودى (يهودا بن قريش) وهو من الذين عاشوا فى القرن العاشر. وقد أشار هذا العالم لوشائج القرابة التى تجمع بين اللغات السامية وبين الخصائص اللغوية العديدة المشتركة بين تلك الألسن. وقد دفعت تلك الخصائص المشتركة بعض العلماء للحديث عن وجود لغة أم فى الأيام القديمة تولدت منها بعد

قامت التوراة بدور الحضانة، ومن ثم المفرخة المستمرة للصهيونية كأيدولوجية لشتات وجماعات وطوائف اليهود المنتشرة فى أرجاء المسكونة بغرض إقامة وطن أرض الميعاد - حسب وعد الله لهم - ولما كان هؤلاء اليهود هم شعب الله المختار - حسبما جاء ذكره فى التوراة - نجدنا أمام حالة تمايز بشر عن بشر، فهم فقط شعب الله المختار من كل المؤمنين فى العالم، وهم شعب الله المختار من كافة الشعوب السامية، لذا فنحن أمام ثقافة سياسية تمتد منذ آلاف السنين تغذيها التوراة حتى الآن، بل تعلم دروسها عبر المدارس الدينية وغير الدينية وفى كافة مؤسسات الدولة الصهيونية حتى الآن. لقد طبعت التوراة شخصية الشعب والمواطن الإسرائيلى على السواء. فالتوراة كتاب مقدس! ونزل على شعب مقدس! وكل قادة الشعب فى عصور ما قبل الدولة مقدسين! وحروبهم مع أصحاب الأرض الفلسطينية والعربية مقدسة حتى ولو كانت عدواناً! وقد أكد ذلك د. رشاد الشامى فى كتابه الهام «الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية» عندما كتب فى صفحة ١٧١ ما نصه: «هذه النصوص التوراتية التى تغذى الوجدان الإسرائيلى بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية تدرس فى المدارس الإسرائيلية دون أن تحظى بأى معالجة نقدية تذكر.» لذا لم يكن غريباً أن تكون مذبحه قانا ومن قبلها دير ياسين هما امتداد لمذبحه أريحا على يد يشوع بن نون - بطل التوراة حسب قول بن جوريون -

تفاعلات كثيفة وأزمان مديدة مجموعة اللغات السامية. وبما أنه من غير الممكن التعرف على اللغة السامية الأم حيث أن الكتابة لم تكن معروفة في ذلك العهد، درس المستشرقون أقرب اللغات السامية إلى الأصل، كما يذكر د. جواد علي في مؤلفه الموسوعي «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام».

من ذلك الدرس تم ملاحظة أوجه الشبه الظاهرة بين البالية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والآرامية والعربية والحبشية والنبطية واللهجات العربية الجنوبية، فهي تشترك في أمور أصلية وأساسية من جوهر اللغة (جذور الأفعال - أصول التصريف - زمن الفعل - أصول المفردات والضمائر والأسماء - تصريف الأفعال... الخ).

ورغم القدم الموهل في التاريخ الانساني لتلك اللغات السامية فلا بد أن نؤكد على أنه ليس هناك لغة واحدة تستطيع أن تدعى إنها سامية صافية ونقية خالية من فعل الناس على الأرض عبر الأزمان. بل دائماً ما كانت تتأثر تلك اللغات بمجموعات لغوية أخرى غير سامية وذلك بسبب اختلاط الشعوب واتصال الألسنة.

والعبرية هي إحدى اللغات السامية المتفرعة من الشجرة الكنعانية التي تعددت في التعبير عن الجماعات التي هاجرت من أهل الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب.

وقد ورد ذكر كنعان في رسائل العمارنة التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكانت تطلق على القسم الجنوبي من بلاد الشرق الحايوية لأرض فلسطين والتي استولى عليها تحتس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وكنعان هي نفس التسمية التي وردت في التوراة وذلك نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح، ويؤكد (الدكتور كلود شافر) بالاستناد إلى لوحات تل العمارنة، وإلى وثائق (رأس شمرا) المكتشفة حديثاً ما ذهبت إليه التوراة في تحديد حدود كنعان «ثبت لنا أن بلاد كنعان بين شواطئ المتوسط الشرقية، وصحراء سورية اتسعت في الجنوب من فلسطين الجنوبية إلى أوغاريت (رأس الشمرة قرب اللاذقية) وفي الشمال استعمر الكنعانيون سهول دانوفا (أدنة) الخصبة».

ومن المعروف أن أهل كنعان كانوا يتحدثون لغة هي بالتأكيد أقرب إلى اللغة السامية الأم (أي اللغة العربية البائدة) وبعد أن توزعت أرض كنعان بين الكنعانيين والفلسطينيين والعبريين، ظلت اللغة الكنعانية هي السائدة. لذا فمنذ فجر التاريخ المكتوب، أي منذ خمسة آلاف عام، لم تعرف فلسطين حتى عهد الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠، سوى لغات ثلاث: الكنعانية أولاً، والآرامية ثانياً (لغة السيد المسيح)، والعربية ثالثاً، كما تؤكد د. بيان نويهض الحوت في كتابها الهام عن

«فلسطين: القضية. الشعب. الحضارة».

ومن هنا فإن أعظم عمل قدمه الكنعانيون للحضارة هو اختراعهم الأبجدية الهجائية، ويتفق حول ذلك كثير من الباحثين، وقد نقلها الآراميون فيما بعد إلى آسيا حتى الهند، كما نقلها الفينيقيون إلى أوروبا، وعن ذلك يقول العلامة الألماني الدكتور مورتكات في وصف الكنعانيين، حسبما جاء في ص ١١٢ من كتاب «العرب واليهود في التاريخ» للدكتور أحمد سوسة: «إننا نعلم من خلال الحفريات التي أجريت في جبيل (بيبلوس القديمة) في وسط ساحل بلاد الشام، وبلاستناد إلى المراسلات الملكية في مدينة ماري، ومن موجودات الطبقات السفلى في تل العطشانة بالقرب من انطاكية أن اناساً عرباً غربيين قد قطنوا بلاد الشام على الأقل منذ نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، وأن هؤلاء كانوا على قرابة مع تلك الفئة العربية التي حكمت بلاد ما بين النهرين منذ سلالة «حمورابي» و«أما من ناحية التسمية الخاصة فتطلق على هؤلاء العرب في بلاد الشام اسم الكنعانيين، ولغتهم يجب أن تكون نفس اللغة التي اقتبسها أولئك اليهود».

بعد هذا الانتشار الكنعاني والعموري، تدافعت هجرات عربية متعددة، تسمت بالآراميين نسبة إلى آرام بن سام بن نوح، واستقر الآراميون في منطقة الفرات الأوسط في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد اقتبسوا الكثير من العموريين والكنعانيين ومن الحضارات التي جاوروها على مستوى الحياة والحضارة واللغة ومفرداتها.

وقد ساعد الموقع الذي أقام فيه الآراميين، في توسيع تجارتهم ونشر لغتهم (اللغة الآرامية المولودة من الكنعانية) والتي بقيت دهوراً طويلاً اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد في بابل وأشور وفارس ومصر وفلسطين، كما كانت الآرامية لغة المسيح واللغة التي كتب بها الانجيل وظلت تلك اللغة حتى الفتح العربي في القرن السابع بعد الميلاد وهي إحدى اللغات السامية وأقربها إلى العبرية، وبمرور الزمن انقسمت الآرامية إلى عدة لهجات يمكن حصرها في فرعين: الفرع الشرقي في وادي الفرات حيث سادت اللهجة المندائية والسريانية ولهجة الحضر، أما الفرع الغربي فقد سادت فيه آرامية التوراة والانجيل واللهجات الآرامية في حماء وتدمر وبلاد النبط. ومن الآرامية تولدت بعد أزمان طويلة اليونانية والبهلوية والآرمينية والعبرية.

ومن هنا فالعبرية هي إحدى اللغات السامية من المجموعة الكنعانية، كما يقول د. عبدالوهاب المسيري في ص ٢٢٦ من موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.

وعمر العبرية كلغة ليس بعميق، حيث إنها لم تظهر كلغة مستقلة إلا حوالي عام ١٤ قبل الميلاد، وأول النصوص

المعروفة بهذه اللغة يرجع تاريخها إلى ١٢٠٠ قبل الميلاد، وقد ظل العبرانيون يتحدثون بها حتى السبي البابلي في ٨٥٦ قبل الميلاد، ثم أخذت موضعها بعد ذلك في دوائر الحاخامات وأماكن العبادات والكتب الدينية المقدسة مثل (المشناه - الهالاخاه - المدراش).

هكذا تبلورت العبرية في القرن الثاني قبل الميلاد، وتميزت كلغة في القرن الخامس الميلادي، وهكذا نستطيع أن نقسم مسيرة اللغة المواكبة لحياة اليهود إلى ثلاث مراحل رئيسية:

١ - عصر النبي إبراهيم ويرجع تاريخه إلى القرن ١٩ قبل الميلاد، ولغة هذا العصر كانت الأرامية من الأسرة الكنعانية.

٢ - عصر النبي موسى ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة المصرية والكنعانية.

٣ - عصر اليهود ويرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، ولغة هذا العصر السائدة الأرامية والعبرية. وعن ذلك يقول جودت السعد في كتابه «أوهام التاريخ اليهودي»: «أول الكتابات التي يمكن نسبتها لليهود هي المخطوطات على المسكوكات اليهودية من ١٢٥ قبل الميلاد إلى ١٣٢ - ١٣٥ ميلادي في وقت كانت فيه اللغة العبرية تنمو».

كما يؤكد الباحث الإسرائيلي «موشيه دافيد كاسوطو» أن اللغة العبرية ليست سوى لهجة انفصلت عن «الجذع الكنعاني.. وهذه الفرضية لا يمكن دحضها».

ولما كانت الأرامية هي بمثابة الأب عن الجد الكنعاني، كان من الطبيعي أن تنقل العبرية عبر الكتاب اليهود الأوائل الأحرف الأرامية البالغة (٢٢) حرفاً والتي اعتبروها الأحرف العبرية، كما نقلوا طريقة كتابتها من اليمين إلى الشمال مثلما كانت تكتب الأرامية.

وهكذا نستطيع أن نوجز تطور مسيرة الخط العبري عبر ثلاث مراحل:

أ - الخط المربع (الأرامي) وهو الذي استخدم في الطباعة القديمة.

ب - الخط الرياني المستخدم من قبل رجال الدين في العصور الوسطى.

ج - الخط الطباعي المتصل والمتأثر بالخط البولندي والألماني والمختلط باللهجات التي سادت السفارديم والاشكيناز، وهو الشكل المستخدم الآن للخط العبري.

وما يهمنا أن نؤكد عليه من تتبع مسيرة تلك اللغة التي انبثقت من لغة سبقتها، وتفاعلت مع لغات عاصرتها وأحاطت بها، إن اللغة العبرية قد إستمدت بناءً على ذلك نحو ثلث مفرداتها من اللغة العربية الحديثة والثلث الثاني من الأرامية (اللغة العربية القديمة)، والثلث

الأخير مفردات أوروبية حديثة من الانجليزية والألمانية والفرنسية والروسية (حسبما عاش اليهود في الشتات). وبهمنا أيضاً أن نؤكد على اختلاط العبرية بلهجات ولغات أخرى في مناطق جغرافية متعددة، فنجد السفارديم الذين عاش أسلافهم في أسبانيا في القرون الوسطى، وبعدما تم طردهم منها عام ١٤٩٢ أقاموا في فرنسا وهولندا والمجلترا واليونان وتركيا وما وراء البحار (أمريكا وأستراليا) وكانت لغتهم هي لغة الـ «لادينو» وهي لغة اسبانيا في القرون الوسطى ممزوجة بعبارات عبرية ومكتوبة بأحرف عبرية (أرامية الأصل).

أما الاشكيناز الذين عاش أسلافهم في ألمانيا في العصور الوسطى وكانوا يتكلمون لغة اليديش وهي لغة ألمانية قديمة تحتوي على بعض التعبيرات العبرية وتكتب بأحرف عبرية، وظلوا يتكلمونها حتى نهاية القرن التاسع عشر. بالإضافة إلى ذلك كان هناك يهود الأندلس الذين تحدثوا بالعربية اليهودية، أي العربية المطعمة بالعبرية.

إذن لم تكن العبرية لغة اليهود إلا فترة وجيزة من تاريخ العبرانيين في فلسطين، أما بالنسبة للأقليات اليهودية في أرجاء المسكونة فقد كانت عاداتها اللغوية تختلف باختلاف الزمان والمكان إلا إنها حافظت في معظمها على الابجدية العبرية وعلى العبرية في المعابد وبين رجال الدين.

ومن هنا أخذت العبرية سمات القداسة التي أعطتها قوة تأثير هائلة في الجمهور اليهودي مثل التوراة - تقريباً - فهي اللغة السامية التي صاحبت اليهود على أرض فلسطين قبل السبي البابلي، وهي اللغة التي عاشت معهم في الشتات عبر الصلوات والكتابات، وهي اللغة التي طعمت بها لهجات ولغات أخرى عاش اليهود ناطقين بها في مناطق كثيرة مثل اللادينو واليديشية، وهي اللغة التي كتب بها بعض مبدعي يهود الشتات أدبهم مثل الأديب اليهودي الروسي تشرنخوفسكي، كما كانت هي اللغة التي كتبت بها بعض الكتب الدينية المقدسة مثل المشناه والهالاخاه والمدراش. ومن هنا حافظ يهود الجيتو على قداسة الابجدية العبرية - في اعتقادهم - ورغم عدم حديثهم بها إلا أنهم أصروا على كتابة اليديشية بالابجدية العبرية، كما أنهم منعوا أطفالهم من الدراسة في مدارس الأغيار (الجويم) لأن التصور الذي كان سائداً بينهم أن اليهودي الذي ينظر إلى أبجدية غير العبرية تحرق عيونه يوم القيامة (حسب ما جاء تحت لفظة عبرية في موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية للدكتور عبدالوهاب المسيري).

وعندما حاول المفكر الصهيوني (بن يهودا) رائد إحياء اللغة العبرية الحديثة، وصاحب القاموس العبري القديم والحديث، التأكيد على الطابع القومي للعبرية قوبلت تلك

المحاولات من بعض المتدينين اليهود باستهجان ومقاومة لا اعتقادهم بأن العبرية لغة مقدسة لا بد أن تكون بعيدة عن رجل الشارع واستعمالاته الحياتية إلا أن يهودا كان يرى أن العبرية لغة مقدسة لذلك فهي القادرة على تجميع الشتات والتعبير عن الشخصية القومية لليهود. لذا فهي اللغة القومية.

وقد أعيد بعث اللغة العبرية في الحديث على يد مفكرى حركة الاستنارة «الهسكالاه». كما أدركها رائدها الروحي موسى مندلسون بإعتبارها حركة إحياء ثقافى يهودى فى القلب منها إحياء اللغة العبرية باعتبارها لغة التراث اليهودى الأصلى. لذلك أصدر مجلة لنشر الثقافة العالمية بالعبرية، وفى عام ١٨٥٦ ظهرت أول جريدة بالعبرية، وفى عام ١٨٥٨ حتى عام ١٩٢٣ عمل اليغازز بن يهودا من أجل تخليص العبرية من الشوائب، وهو القائل «بأن إحياء اللغة لا يتم إلا بعد إحياء الأمة» وهو القائل أيضا «لو لم أكن مؤمنا بخلاص الشعب اليهودى لاعتبرت اللغة عائقا لا فائدة لها» وأخيرا يجمع رأيه فى الآتى «حياة إسرائيل فى روحها، وهذه الروح موجودة فقط فى التوراة، ولا يمكن التعبير عن هذه التوراة إلا بلغة الناس نفسها، لذا إذا تخليصنا عن لغتنا يعنى إننا تخليصنا عن روحنا - وبالتالي حكم علينا بالموت».

إذن نحن أمام مواقف متعددة ومتنوعة إلا أنها تصب كلها فى إعطاء كل الأهمية للغة العبرية، فهناك من رآها لغة مقدسة لا بد من حفظها فى أماكن وكتب العبادة، وهناك من رآها لغة مقدسة لا بد من تطعيم لغة الحياة بها عن طريق استخدام الأبجدية، وهناك من رأى إنها لغة مقدسة فلا بد أن تكون رباط الشعب اليهودى واللغة القومية له. الكل حافظ على دور لهذه اللغة، وقد استمدت تلك اللغة من قداستها المرغوبة سندا قويا فى استمرارها والحفاظ عليها والتعبير عن طريقها عن اليهود ومشروعهم الصهيونى، لذا كان طبيعيا أن يكون بن جوريون من دعاة بعث اللغة العبرية وإهمال اليديشية، وأن تعمل «دولة إسرائيل» منذ تأسيسها على تسييد منهج لتدريس اللغة العبرية على الأجيال الجديدة منذ التحاقهم بالتعليم الابتدائى وما قبله، كما عملت على تسييد برنامج مزمّن لتدريس اللغة بالنسبة لليهود الصهاينة القادمين من بلاد العالم المختلفة ليستوطنوا فلسطين. من هنا كانت اللغة بمثابة الرباط القومى فى بناء الدولة، كما كانت بمثابة الرباط المقدس فيما قبل الدولة.

لذا فقد لعبت التوراة دورا محوريا فى بعث وإحياء الحركة الصهيونية الاستيطانية على أرض فلسطين، وذلك عبر توظيفها فى التعبير عن الهوية اليهودية، وعبر توظيفها

فى التعبير عن جوانبها العنصرية. وقد جاء كل ذلك متضافرا مع مرحلة ما بعد العصر الصناعى والرأسمالية فى طورها الاستعمارى الباحثة عن أسواق جديدة، لذا كانت التوراة هى الحضانة الطبيعية للصهيونية والعنصرية، كما كانت اللغة العبرية هى بمثابة الرباط المقدس - حسب اعتقاد اليهود - لهذه الدعوة ولهذا الشعب.

وقد ساعدت عوامل أخرى كثيرة فى الحفاظ على ذلك الفاعل المحورى ذى الأبعاد المتكاملة (التوراة) كان منها الجيتو اليهودى الذى حافظ على كل الموروث اليهودى عبر الأزمان والعصور.

من هنا ظل الدين اليهودى لفترة طويلة منذ القرن الثانى قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى بمثابة العامل الرئيسى فى توجيه الحياة اليهودية لدرجة أن المؤرخ اليهودى (إسحق بير) يقول فى هذا الشأن: بالرغم من انه كان للدين فى تاريخ اليونان والرومان، وفى تاريخ أوروبا فى القرون الوسطى تأثير حاسم، فإنك لتجد لدى هذه الأمم، مع ذلك فصولا فى السياسة والأدب لا دخل للدين فيها. أما عندنا فإنك لا تكاد تجد مثل هذين الميدانين فى الزمن القديم إلى عشية عصر التنوير».

من هنا كانت التوراة فاعلا ذا أبعاد متعددة، وكانت العبرية بصورة ما لغة مقدسة والحفاظ عليها حفاظ على هوية وموروث مقدس.

وقد ساهمت تلك العوامل (التوراة - الصهيونية - العنصرية - العبرية.. الخ) فى تشكيل الثقافة السياسية السائدة فى التجمع الصهيونى على أرض فلسطين، كما ساهمت فى تشكيل الصور النمطية السائدة عن الآخر. ويكفى أن نعلم إن الحروب التى تشنها (إسرائيل) على الدول العربية هى - وفق «الهالاخاه» (الشرعية النظرية) المحفوظة بالعبرية - حروب مقدسة للدفاع عن الشعب المقاتل من أجل حريته!!

والسلام طبقا للشرعية عند الربى يعقوب اريئيل «هو نبوة آخر الأيام، ومعناه اعتراف العالم «بالوحدانية المطلقة للرب الواحد.. واعتراف سكان البلاد الذين يقيمون فيها من غير اليهود، بالقدس عاصمة روحانية لهم ومصدرا لوجيهم الأخلاقى، وحيث أن هذا اليوم ليس قائما فى مجال المستقبل الواقعى والنبوة السياسية، وليس إلا جزءاً من أيام المسيح نفسها، فإن فكرة السلام مع إسرائيل والعرب مرفوضة تماما».

هكذا سارت المفاهيم الموروثة سريان الدماء فى شرايين الحياة الحديثة لليهود، وهكذا تشكلت الثقافة السياسية السائدة الآن فى التجمع الصهيونى.

الدولة الإسرائيلية والفجوة الطائفية

باهر شوقي

تبدو إسرائيل في العديد من الكتابات والتحليلات السوسيولوجية كنموذج يحتذى على صعيد الاستيعاب والدمج المجتمعيين، فهي أرض الفرص المتكافئة ودولة كل مواطنيها بغض النظر عن الطابع التوليقي والفوق القومية التي تسم تركيبها السكانية (الأشكناز أو اليهود ذوي الأصول الغربية - السفارديم أو اليهود ذوي الأصول الشرقية - الصابرا أو اليهود المولودين في إسرائيل - عرب ١٩٤٨) ورغم الأزمات والتوترات الاجتماعية التي شهدتها الدولة في العقود الأولى من نشأتها، وعلى رأسها حركة الفهود السود ١٩٦٩، إلا أنه غالبا ما يتم تجاوزها باعتبارها ذكريات كئيبة لمخاض عسير، وفي هذا السياق غالبا ما يتم التأكيد على تجسير الفجوة الاجتماعية بين التكوينات الاثنية والطائفية المكونة للمجتمع الإسرائيلي، خاصة بين الأشكناز والسفارديم، وعلى الرغم من الهيمنة النسبية لهذه الرؤية إلا أن ذلك لا يعنى الانتفاء الكامل لأية رؤى بديلة حيث توجد العديد من الأطروحات المضادة التي تنتقد خرافة بوتقة الصهر الإسرائيلية فاضحة اختزال مفاهيم الديمقراطية والمواطنة وقصرها على فئات وطوائف دون غيرها مما يؤسس لما يطلق عليه عدد من المحللين «ديمقراطية عرقية»، وهو الأمر الذي يؤدي بدوره لزيادة الاحتقان الاجتماعي وبلورة مفاهيم من قبيل «إسرائيل الثانية» بكل ما تعنيه من تمايز وانشطارات اثنية وطبقية.

وعلى الرغم من التباين الحاد الذي تعكسه هذه الرؤى، إلا أن أزماتها مجتمعة تكمن في إغفالها للسياق الموضوعي الناظم لتغيرات المجتمع الإسرائيلي، سواء تلك المتعلقة برأب الصدوع الاجتماعية والاقتصادية بين التشكيلات الاثنية والطبقية خلال الحقبة الوسيطة من نشأة الدولة، أو انبعث تلك الصدوع مجددا منذ أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينات، فالنمو الاقتصادي ونموذج دولة الرفاه الذي اعتمدته دولة إسرائيل منذ بداية نشأتها قد ساهم بالفعل في خلق آليات مؤسسية للتقريب بين الفئات والطوائف اليهودية، إلا أن ذلك لم يؤد مطلقا لخلق ما يمكن تسميته بوحدة عضوية فوق عرقية للمجتمع الإسرائيلي، حيث ظلت الانقسامات العرقية/الطبقية تمثل صدعا أساسيا في بنيته، وهي

الوضعية التي تفاقمت بشكل حاد مع ما شهدته التوازنات الحرجة للمعادلة الاثنية/الطبقية من تغيرات نوعية مع تدفق موجات الهجرة الأخيرة.

تغيرات الموزاييك الإسرائيلي:

كمجتمع مهاجرين يعد المشهد الإسرائيلي فسيفساء إثنية فعلية، حيث تعدد الأصول العرقية والطائفية التي تنتظم تحت مفهوم المواطنة الإسرائيلية، وبشكل أولي يمكن تقسيم مواطني إسرائيل إلى جماعتين قوميتين، أغلبية يهودية (٨١،٤٪) وفقا لإحصاءات ١٩٩٣، وأقلية عربية فلسطينية (١٨،٦٪) عند ضم سكان القدس العربية وهضبة الجولان، ونحو ١٥،٤٪ عند استثنائهم)، وتحت هذا التصنيف العام تنقسم كل جماعة قومية إلى جماعات اثنية فرعية، حيث ينقسم اليهود لجماعات عديدة طبقا لبلدان المهجر «الدياسبورا» وإن كانوا يعودون للانتظام مجددا تحت التصنيفات الثلاثة الرئيسية، اشكناز - سفارديم - صابرا والذين يمثلون على التوالي ٣٩،٩٪، ٣٦،٣٪، ٢٣،٨٪ من إجمالي السكان اليهود، وفي المقابل ينقسم العرب إلى ثلاث جماعات دينية (مسلمون وهم الأغلبية ويمثلون نحو ١٤،١٪ من إجمالي السكان - مسيحيون ويمثلون نحو ٢،٨٪ - دروز وآخرون وهم حوالي ١،٧٪)، وقد مرت المعادلة الاثنية بعدد من المراحل اتسمت أولاها - والتي استمرت من نشأة الدولة ١٩٤٨ إلى أوائل الستينيات - بغلبة العنصر الاشكنازي من حيث العدد، حيث كانت النسبة بينهم وبين السفارديم ٥٢،١٪ - ٤٧،٩٪، أما الثانية فقد استمرت من أوائل السبعينيات إلى منتصف الثمانينيات وشهدت انقلاب المعادلة الطائفية، حيث تقلصت نسبة اليهود الغربيين لصالح اليهود الشرقيين فأصبحت النسبة بين الطرفين ٤٤،٢٪ مقابل ٤٧،٤٪ وذلك في عام ١٩٧٢، وقد انعكس ذلك بشكل ايجابي - ولو نسبيا - على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لليهود الشرقيين، إلا أن هذه الوضعية قد تعرضت بدورها لمراجعة جذرية من أواخر الثمانينيات وحتى الآن، حيث شهدت هذه الفترة موجات هائلة من الهجرة، شكل يهود الجمهوريات السوفيتية السابقة الشطر الأعظم منها الأمر الذي أثر بشكل عضوي على

تركيبة المجتمع الإسرائيلي - فعليا على المستوى العرقي، وضمنا على المستوى الطبقي - حيث بلغ إجمالي هؤلاء المهاجرين نحو ٧٦٩ ألف مهاجر - طبقا لآخر تقديرات عام ١٩٩٨ - نحو ٨٥٪ منهم على الأقل يهود غربيون «اشكناز»، وهو ما انعكس في تزايد حجم الاشكناز مقابل السفارديم (٣٩، ٩٪ مقابل ٣٦، ٣٪، بينما مثل الصابرا نحو ٢٣، ٨٪) الأمر الذي يعنى قلب المعادلة العرقية رأسا على عقب لصالح الاشكناز وينسب ترجع إلى العهد الأولى من نشأة الدولة اليهودية، وإذا ما أضفنا إلى ذلك ارتفاع المكون التعليمي / الفني / المهاري هؤلاء المهاجرين - ٤١٪ من مهاجري الموجة الأخيرة من ذوى الدرجات العلمية والجامعيين، ٣٤٪ من العمال المهنيين والتقنيين مقارنة بنحو ٩٪، ١٧٪ على التوالي بين السكان اليهود في إسرائيل فإن ذلك سوف يعنى بدهاء انتشار هؤلاء المهاجرين بنسب متعاضمة من الوظائف سواء المستجدة أو القائمة بالفعل، وهو ما سيكون في الأغلب على حساب السفارديم الذين يمثلون النسبة الأعلى من العاملين والمهنيين في المستويات الوسيطة والدنيا من الهيكل الوظيفي سواء في القطاع الحكومي أو الخاص.

كل ذلك فضلا عن الأقلية العربية والتي تقع في أسفل السلم الاجتماعي (من حيث حصتها من التعليم - الوظائف - الخدمات - الدعم) مقارنة بالاشكناز والسفارديم، فهذه الأقلية التي تمثل نحو ١٩٪ من سكان إسرائيل هي الأكثر عرضة لدفع كل من فاتورة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها الدولة الإسرائيلية حاليا، إضافة إلى التكلفة الاجتماعية لاستيعاب المهاجرين الجدد، وهو الأمر الذي سيجسد عمليا في ارتفاع معدلات البطالة فيما بينهم مقارنة بالتكوينات العرقية الأخرى.

تبدو التكهات السالفة للوهلة الأولى وليدة قراءة متعسفة للتشكيلة الاجتماعية الإسرائيلية، خاصة إذا ما راعينا مؤشرات التنمية البشرية والتي تصنف المواطن الإسرائيلي في مصاف مواطني الرأسماليات الغربية المتقدمة (من حيث متوسط الدخل السنوي - مستويات التعليم - الرعاية الصحية - الضمانات الاجتماعية وغيرها)، إلا أن ذلك لا يعدو الوجه البراق للعملة والذي يخفى في طياته تمييزا مؤسسيا ضد العديد من الفئات والطوائف العرقية، حيث يختلط الاثنى بالطبقي ليؤيد الوضعية الدونية لكل من السفارديم والعرب مقارنة بالاشكناز، وعلى الرغم من الندرة النسبية لبيان توزيع الدخل / الدعم / الخدمات على المتواليات الاثنى إلا أن الدراسات والاحصاءات القليلة المتوافرة تكفى لبلورة صورة شبه مكتملة عن التمايز الطائفي في الدولة الإسرائيلية.

الدولة الإسرائيلية: التكريس المؤسسي للتمايز:

يمثل الانتماء معيارا للفرز والاستقطاب المجتمعيين داخل الهرم الطبقي الإسرائيلي، حيث يشكل الغربيون «الاشكناز» غالبية البرجوازية المحلية، فضلا عن الشرائح العليا والوسطى من الطبقة الوسطى، بينما وفي المقابل يشكل الشرقيون «السفارديم» غالبية الطبقة العاملة، حيث تشير احصاءات الجهاز المركزي الإسرائيلي لعام ١٩٩٥ أن حوالي ٤٤٪ من

أبناء الجيل الأول من المهاجرين الاشكناز ينتمون لشريحة ذوى الياقات البيضاء مقابل قرابة ٢٠، ٦٪ من السفارديم والوضعية ذاتها تتكرر وإن كانت بشكل أكثر حدة فيما يتعلق بالجيل الثاني حيث ينتمى نحو ٥٠٪ من أشكناز الجيل الثاني إلى شريحة ذوى الياقات البيضاء مقابل ٥٪ فقط من السفارديم، كما أن نحو ٢٨٪ فقط من الاشكناز يعملون في مجال الخدمات مقابل حوالي ٥٤٪ من السفارديم، ويعكس التشريح السوسولوجي للمجتمع الإسرائيلي المعاناة التاريخية لكل من السفارديم والعرب فيما يتعلق بحصتهم من فرص العمل، والدخل، والخدمات وغيرها، الأمر الذي يعزز الانطباع بأن الفجوة الاثنى لا تتضاءل بل يتم مأسستها ونقلها إلى الأجيال التالية، وهو الأمر الذي يتأكد عبر مطالعة البنية التشغيلية اليهودية ومقارنتها بالانتماء الاثنى، فوفقا للاحصاءات الإسرائيلية الرسمية لعام ١٩٩٣ يمكن تقسيم المجتمع الإسرائيلي للفئات التالية:

(أ) الاشكناز أو اليهود الذين ولدوا لآباء أوروبيين / أمريكيين، وسيطرون على الدرجات العليا في السلم الوظيفي، حيث يمثلون نحو ٤٠، ٢٪ من إجمالي المهن العلمية والفنية والأكاديمية، كما أن مستوى تعليمهم عموما أعلى من بقية التكوينات العرقية الأخرى (٥١، ٩٪ منهم أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر) ونتيجة لذلك فإن متوسطات دخولهم أعلى بكثير من متوسطات دخول الشرائح الأخرى، حيث تراوح حوالي ٧٨٢١ شيكلأ شهريا.

(ب) المهاجرون من الاشكناز، وبأتون بعد الشريحة الأولى من حيث الموقع الوظيفي (٣٠، ٧٪ منهم يشغلون وظائف علمية وفنية وأكاديمية) كذلك من حيث مستوى التعليم (٤٢، ٧٪ منهم أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر) ومن البديهي أن ذلك يتعكس بدوره على دخولهم وبالتالي على أوضاعهم الاجتماعية والمعيشية.

(ج) يهود المصابرا أو اليهود الذين ولدوا هم وآبائهم في إسرائيل، هؤلاء تتراوح أوضاعهم المهنية والمعيشية بين الشرائح العليا الغربية والشرائح الدنيا الشرقية (٢٨، ٣٪ منهم يشغلون وظائف علمية وفنية وأكاديمية) كما أن نحو ٣٢، ٦٪ منهم قد أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر، وهو ما ينعكس بطبيعة الحال على متوسط الدخل الشهري لهذه الشريحة والذي يبلغ حوالي ٦٤٢٦ شيكلأ.

(د) السفارديم أو اليهود الشرقيون وهم أدنى في أوضاعهم الاجتماعية مقارنة بالفئات السابقة، حيث يمثل العمال - المهرة وغير المهرة - النسبة الأكبر من أبناء هذه الطائفة (٢٨، ٨٪ من إجمالي مواقعها الوظيفية وذلك مقابل نحو ١٨، ٧٪ في المهن الفنية والأكاديمية) كذلك فإن مستوى تعليمهم أدنى (٢١٪ منهم أنهوا ١٣ سنة دراسية فأكثر)، الأمر الذي ينعكس على أوضاعهم المعيشية حيث تتراوح متوسطات دخولهم حوالي ٥٥٠٨ شيكلات شهريا.

(هـ) المهاجرون الشرقيون، ويمثلون أدنى الطوائف العرقية اليهودية، سواء فيما يتعلق بالتوزيع المهني (٢٩، ٦٪ عمال مهرة وغير مهرة، مقابل نحو ١٤، ٩٪ مهن علمية وفنية

وأكاديمية) أو من حيث مستوى التعليم (٨٠, ٤٥٪) أنها أقل من ٩٠, ٤٪ سنة دراسية) وبداية فإن ذلك ينعكس سلباً على دخولهم وأوضاعهم المعيشية.

(و) العرب، ويأتون من حيث التصنيف الاجتماعي في قاعدة السلم الطبقي للمجتمع الإسرائيلي، سواء من حيث التوزيع المهني (٥٤, ٥٪ عمال مهرة وغير مهرة مقابل حوالي ١٢, ٥٪ في المهن الفنية والأكاديمية) أو من حيث مستوى التعليم (١١, ١٪ فقط أنها ١٣ سنة دراسية فأكثر) وهو الأمر الذي ينسحب على أوضاعهم المعيشية حيث لا تزيد متوسطات دخولهم عن ٣٩٣٨ شيكل شهرياً.

تظهر المعاملات السابقة عمق الفجوة الاجتماعية التي تسم المجتمع الإسرائيلي، وهو الأمر الذي يثبت خطأ التحليلات التي تؤبن الانقسام الاثنى / الطبقي باعتباره كابوساً تاريخياً وظرفياً تم تجاوزه، فالأوضاع الآتية تثبت بجلاء استمرار التمايز الاجتماعي على قاعدة الانتماء العرقي، بل إن الأخطر من ذلك يكمن فيما يمكن أن نطلق عليه مأسسة التمايزات أو إعادة إنتاجها بشكل هيكلي داخل بنية المجتمع ذاته، فالتباينات الفاصلة بين الطوائف والعرقيات المختلفة المكونة للمجتمع الإسرائيلي سواء تلك المتعلقة بالمستوى التعليمي أو بالقدرات الفنية والمهارية، تلك الاختلافات التي كان يمكن تفسيرها مع بدايات الدولة باختلاف دول المهجر وتباين الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للمهاجرين، فضلاً عن الاختلاف في ظروف الهجرة ذاتها وبالتالي قدرة الدولة على الاستيعاب والتي كانت تخلق إلى حد ما معايير موضوعية للتمييز، تلك الاعتبارات ذاتها قد تحولت إلى مجرد منظومة تبريرية لتسويق الوضع القائم، فبدلاً من القضاء على حتى تقليص هذه الفجوة الاجتماعية (عبر زيادة مخصصات التعليم، الخدمات، حصص التوظيف للفئات الأدنى اجتماعياً) يشهد المجتمع الإسرائيلي عملية مؤسسية لإعادة إنتاج هذه التمايزات حيث يتم نقلها للأجيال التالية سواء من اليهود أو العرب، فانطباق معامل الطبقة / الطائفة يخلق ميكانزماً لتكريس الوضعية الدونية للسفارديم والعرب فيما يتعلق بتأهيلهم العلمي والفني وتلك الوضعية بدورها توفر الآليات اللازمة موضوعياً لاستبعادهم وتهميشهم مهنيًا واجتماعياً، فبعد مرور خمسة عقود على نشأة الدولة مازال التمثيل الطائفي لليهود في المراحل التعليمية المختلفة يعكس الملامح الكئيبة للتمييز والازاحة المجتمعية، حيث تبلغ نسبة حملة الشهادات الجامعية في أوساط الإسرائيليين المنحدرين من أصول اشكنازية ضعف نسبتهم في أوساط المنحدرين من أصول آسيوية ونحو ثلاثة أضعاف ونصف مقارنة بالمنحدرين من شمال أفريقيا، ولا يبدو أن هذا التباين الهائل في سبيله للتضاؤل، فعلى سبيل المثال يشكل اليهود الشرقيون حوالي ٢٦, ٣٪ من مجمل الطلبة الدراسين بالجامعة في مرحلة الليسانس وذلك على الرغم من كونهم يمثلون نحو ٥٧٪ من مجمل الشباب الإسرائيلي في المرحلة السنية بين ٢٥-٢٩ عاماً، كما أن نسبتهم محدودة للغاية فيما يمكن أن نطلق عليه كليات القمة (الكليات العملية ذات المستقبل المهني المضمون)، حيث لا تتعدى نسبة اليهود

الشرقيين في كليات الهندسة ٢٣٪ من إجمالي الطلبة، كما أنها لا تتعدى ٢٠, ١٪ في كليات الطب، وحوالي ١٩, ٥٪ في كليات الحقوق، وفي المقابل فإن نسبتهم تقدر بنحو ٣١, ٨٪ في كليات الآداب، و٢٨, ٤٪ في كليات العلوم الاجتماعية، وبطبيعة الحال فإن الوضع ذاته يتكرر على مستوى الدراسات العليا حيث لا تزيد نسبة السفارديم الذين يدرسون للحصول على درجات الماجستير والدكتوراة عن ٢٢, ٣٪، ١٤, ٥٪ على التوالي، والوضع ذاته بالطبع يتكرر ويشكل أكثر حدة بالنسبة لعرب ٤٨، الأمر الذي يؤثر بدوره على القدرات التنافسية للطوائف الثلاث داخل سوق العمل والذي يمكن رصد ملامحه في تباين معدلات البطالة فيما بينهم، فوفقاً لأرقام عام ١٩٩٥ كانت نسب البطالة بين الاشكناز، السفارديم، العرب ٣, ٦٪، ٨, ٨٪، ١٩٪ على التوالي، وإذا ما أضفنا إلى ذلك التمييز الذي يواجهه اليهود الشرقيون والعرب بخصوص أنماط معينة من الوظائف والمهن الفنية لا تضح لنا حجم التأثير الذي يمارسه البعد الطائفي في الواقع الاجتماعي الإسرائيلي، فهناك العديد من المؤسسات التي لا يشكل السفارديم والعرب فيها سوى أقلية ضئيلة، ومثال ذلك الهيئة القضائية، حيث يمثل الاشكناز حوالي ٧٦٪ من إجمالي الهيئة القضائية مقابل ١٧٪ للسفارديم، ٦٪ للعرب، وذلك فضلاً عن شركة الكهرباء التي يبلغ عدد عمالها ١٣ ألف شخص ليس من بينهم عربي واحد. توضح المعاملات السابقة حجم التناقضات التي غدت ملمحاً عضوياً في بنية المجتمع الإسرائيلي، بيد أنه من الضروري مراعاة أن تاريخية ومؤسسية هذه التباينات لا يعنى القبول المجتمعي بها فإحتدام التمايزات الطبقيّة وتطابقها مع الانقسامات العرقية والطائفية تخلق الأسس الموضوعية للتناحر السياسي، الأمر الذي بدأ يتجلى فعلياً في الآونة الأخيرة والتي شهدت تصاعداً في حجم الاحتجاجات والتذمرات الجماهيرية والعمالية، وفي الحقيقة فإن هذه الوضعية مرشحة للتفاقم في ظل التغيرات التي يمر بها المجتمع الإسرائيلي، خاصة تلك المتعلقة بإعادة هيكلة القطاع الانتاجي، مع ما يعنيه ذلك من تغير البنية التشغيلية، والتقلص المتزايد في القدرة الاستيعابية للقطاعات الانتاجية (سواء التابعة للحكومة أو الهستدروت)، حيث تشير الأرقام المتوافرة فعلياً إلى الانخفاض المتتالي لنسبة العمال المهرة وغير المهرة من إجمالي العاملين من ٣٥, ٢٪ عام ١٩٥٥ إلى ٢٣, ٩٪ عام ١٩٩٣، وانخفاض نسبة العاملين بالزراعة من ١٤, ٤٪ إلى حوالي ٣, ١٪ على التوالي، ونظراً لتركز كل من السفارديم والعرب في هذه القطاعات، فإن هذه الفئات هي التي ستعاني من الآثار السلبية لسياسات التحول الاقتصادي.

من ناحية أخرى فإن التدفق المستمر للهجرة الاشكنازية والتمييز النوعي لهؤلاء المهاجرين (علمياً / مهارياً) سيشكل ضغطاً هائلاً على فرص ومجالات العمل المتاحة، سينتهي في الأغلب باستبعاد شرائح متنامية من السفارديم والعرب بما يمثله ذلك من تدهور في شروط وجودهم المجتمعية، وهو الأمر الذي سيفاقم بدوره من حدة الأزمة بشقيها الاجتماعي والسياسي.

معضلة تعليم الفلسطينيين في إسرائيل

عبد القادر ياسين

الأقلية العربية المضطهدة في إسرائيل، ودرعا للحفاظ على الهوية القومية لهذه الأقلية. غنى عن القول بأن التعليم قضية سياسية بالدرجة الأولى. وليس هذا من قبيل المبالغة، أو للضرورة التحريضية ضد عدو الأمة. فتلك هي وزارة المعارف الإسرائيلية نفسها تشارك في إصدار «الموسوعة التربوية» الإسرائيلية، التي تؤكد بأن «التربية هي محصلة النظام السياسي من جهة، وعامل مشارك في خلق هذا النظام، من جهة أخرى».

في إسرائيل ثمة ما يربو قليلا على المليون عربي فلسطيني، يرزحون تحت نير الحكم الصهيوني المباشر، فوق الأرض التي اغتصبتها الصهيونية، خلال الحرب العربية الإسرائيلية الأولى (٤٧ - ١٩٤٨). وينخرط قرابة ثلث فلسطينيي ٤٨ في التعليم: تلاميذ في رياض الأطفال، والمدارس الابتدائية، والاعدادية والثانوية، والمعاهد العليا والجامعات.

أحوال متردية:

تعتبر أوضاع التعليم في الوسط العربي هنا عن كارثة، في أكثر من مجال. فعلى مستوى غرف التدريس - على سبيل المثال، اكتفت السلطات الإسرائيلية ببناء ٤٦ غرفة، فيما بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٤، حين كان الوسط العربي يحتاج إلى ٣٠٠ غرفة، سنويا، لسد التزايد السكاني الطبيعي في الوسط العربي. وفي سنة ١٩٨٤، وحدها كان الوسط العربي في أمس الحاجة إلى ١٥٠٠ غرفة تدريس، بما يوازي قرابة ٤٠ في المائة من مجموع غرف التدريس التي كان الوسط العربي يمتلكها، آنذاك. مما يعني أن الطلاب العرب في إسرائيل يتلقون تعليمهم في شروط غير إنسانية، وفي قطيعة تامة مع الاحتياجات الأساسية للعملية التعليمية.

أما في مجال المكتبات العامة، ففي السنة نفسها كانت

قررت قيادات عربية في إسرائيل في ٢٦ أغسطس الماضي، إعلان اضراب انذارى في المدارس العربية في إسرائيل احتجاجا على ما تعانيه هذه المدارس من سياسات الحكومة الإسرائيلية. وتحدد يوم ٧ سبتمبر ١٩٩٨، للبدء بالاضراب، وهو اليوم الذي تقرر أن تنظر فيه المحكمة العليا الإسرائيلية في الالتماس الذي قدمته «لجنة متابعة قضايا التعليم في الوسط العربي»، و«لجنة المتابعة العليا لرؤساء السلطات المحلية العربية»، ضد رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، لأن حكومته لم تأخذ في اعتبارها احتياجات التعليم في الوسط العربي، مما دفع العضو العربي في اللجنة الوزارية، المختصة بتطوير التعليم في إسرائيل، إلى الاستقالة. خاصة بعد أن ظلت الخطة الخمسية لتطوير التعليم العربي - (زها ٤٢٠ ألف دولار) - حبرا على ورق على مدى خمس سنوات متصلة.

وقد تشكلت القيادات العربية هنا من طاقم ضم اللجنتين السابقين الإشارة اليهما، إضافة إلى «الاتحاد القطري للجان أولياء الأمور»، وأعضاء كنيست عرب، و«اتحاد لجان الطلاب الجامعيين العرب»، وتربويين عرب. وحضرت هذه القيادات لمظاهرة طلابية، في القدس، بعد اسبوع واحد من انتهاء الاضراب.

على أن اللجنة المنظمة بگرت موعد بدء الاضراب إلى سبتمبر الماضي، بعد أن أعلن المعلمون في إسرائيل، في ذلك اليوم اضراباً مفتوحاً عن العمل بمجرد انهيار محادثاتهم مع الحكومة الإسرائيلية، بسبب امتناع وزير المالية الإسرائيلي، ياكوف نثمان عن توقيع اتفاق جديد يقضى برفع اجور المعلمين. وانتهى الاضراب صباح يوم ٩/٨ بعد الاستجابة لمطلب رفع الاجور.

التعليم والوطن:

يأتى التعليم، بعد الأرض، في مقدمة دعائم صمود

١٥١ قرية ومدينة عربية في إسرائيل قتل ١٣ مكتبة هزيلة، تشارك وزارة المعارف الإسرائيلية بما لا يتعدى ١٠ في المئة من تكاليفها المتواضعة.

إن ثمة اضطهاداً ملحوظاً للسلطات المحلية العربية في إسرائيل، حتى أن ٤١ سلطة محلية عربية، من بين خمسين تقبع في أسفل سلم توزيع الميزانيات. مما ينعكس سلباً، على جهاز التعليم العربي، وعلى الطلاب ومستواهم التعليمي. في السياق نفسه، هناك حرمان للمناطق العربية من مزايا مناطق التطوير.

إذا ما انتقلنا إلى الشببية (تحت سن ١٨ سنة)، فإننا نلاحظ بأنهم يشكلون زهاء ٧٠ في المئة من مجموع فلسطينيي ٤٨. أي أن المعالين يفوق عددهم كثيراً عن المعيلين، علماً بأن متوسط عدد أفراد الأسرة العربية الواحدة (٨ أفراد)، بينما نحو ٩٠ في المئة من نساء الوسط العربي لا يعملن.

كما أن هناك قرابة ٦٠ في المئة من فلسطينيي ٤٨ يقيمون في الريف، ونسبة غير قليلة منهم لا تعمل في أماكن سكنها، بحيث لا يعود هؤلاء إلى قراهم، إلا يوماً واحداً في الأسبوع، مما يكسبهم قسماً من ثقافة العدو، المتعارضة مع ثقافتهم القومية، ويفقد بعضهم هويته، وبهمش بعضاً آخر منهم، بما يفسح المجال للانحرافات السلوكية.

وفي المقابل يقيم قرابة ٧٠ ألف عربي في المدن المختلطة، مع مستوطنين يهود (حيفا، عكا، اللد، الرملة، ويافا)، حيث يبرز العرب تحت نير حياة اقتصادية، واجتماعية بالغة القسوة، يسودها التمييز الشامل ضدهم.

ومن ناحية أخرى، يقاسى البدو من الترحيل القسري المتكرر، والحرمان الشديد من الخدمات، بينما يتمرد شبابهم على الأسرة والقبيلة، بمجرد التحاق هذا الشباب بعمل ما في المدينة، ويحقق استقلاله الاقتصادي، مع هشاشة وعيه الاجتماعي، والوطني. وهنا الطامة الكبرى.

إن الشببية العربية ضحية إهمال الحكومة الإسرائيلية المتعمد لكيفية قضاء هذه الشببية أوقات الفراغ، وتطوير المواهب الواعدة من بينها. وتساهم وزارة المعارف الإسرائيلية بـ ٤٠ في المئة فقط، من ميزانيات بيوت الشببية العربية، تاركة للمجالس المحلية العربية أمر تغطية الـ ٦٠ في المئة المتبقية. وفي الوقت ذاته تتميز بيوت الشببية اليهودية عن نظيرتها العربية في تعزيز تمويل الأولى من «شركة المراكز الثقافية» و«مشروع ترميم الأحياء»، وغيرهما من المؤسسات الصهيونية، ناهيك عن دعم وزارة المعارف. مما حصر أمر الاهتمام بالشببية والرياضة العربيتين في ٩ مجالس عربية محلية لا غير.

لقد أسهمت الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية المتردية لفلسطينيي ٤٨، بالقسط الرئيسي في جنوح الأحداث والشببية العرب. فالمعروف أن

الأطفال يولدون، وينمون، في ثلاث بيئات رئيسية: المنزل، والمدرسة، والمحيط.

إن قيادة المجتمع (الدولة) غير العادلة، والمتحيزة ضد العرب، قد استمرت حل مشاكل مستوطنيتها اليهود على حساب المواطنين العرب، بما في ذلك مجال الخدمات الأساسية. حيث تحرم السلطات المحلية العربية من الموارد التي تمكنها من تقديم بديل لهذه الخدمات.

هذا كله دفع منحني ظاهرة جنوح الأحداث العرب إلى الأعلى. فحتى عام ١٩٨٠ كان الجانبون منهم لا يمثلون سوى ٢١ في المئة من مجموع الأحداث الجانبين في إسرائيل. وهذه نسبة معقولة لأقلية مضطهدة، تمثل قرابة ١٧ في المئة من مجموع سكان البلاد. على أن تلك النسبة ارتفعت، سنة ١٩٨٤، إلى ٤٧ في المئة، لتتجاوز سنة ١٩٨٧ النصف بقليل، توزعت إلى اعتداءات جسدية (قرابة النصف)، سرقة وسطو (٤٠٪)، وتبقى ١٠٪ للمخدرات، اتجاراً وتعاطياً.

رياض الأطفال وتعليم الكبار:

في رياض الأطفال لا ينخرط سوى أقل قليلاً من ١٠ في المئة من الأطفال العرب، مقابل ٩٨ في المئة من الأطفال اليهود، الذين تستقبلهم غرف عصرية، ووسائل تربية وترفيه متطورة. بل إن الكثير من الحضانات العربية مهددة بالإغلاق مما أدى إلى دفع قضية التعليم العربي في إسرائيل خطوات واسعة إلى الخلف، فتأخر التحاق الطالب العربي، سنتين أكثر من نظيره اليهودي، مع ما ترتب على هذا الاجحاف من مضاعفات.

وفي الوقت الذي تقرر فيه وزارة المعارف الإسرائيلية بأن لكل طفل ١,٥ متر، من مساحة الروضة، فإن خمس مجموع الرياض العربية هناك يفتقر إلى هذا الشرط مما زاد في تنفير الطفل العربي من التعليم ككل.

وإذا ما مددنا البصر إلى أوضاع التعليم المهني، نجده يضم قرابة ١٥ في المئة من طلاب المدارس الثانوية العربية، مقابل ما بين ٥٥ - ٦٠ في المئة في الوسط اليهودي. وقد أسهم ضعف التعليم المهني في تواضع مستوى التصنيع في الوسط العربي، بل إن لذلك الضعف دوراً غير قليل في تحول القرية العربية هناك من وحدة منتجة إلى وحدة مستهلكة.

بلغ الأرقام، ثمة عشرون مدرسة مهنية في الوسط العربي، متواضعة الامكانيات، يدرس فيها زهاء ١٠ في المئة من مجموع الطلبة العرب، يتلقون مبادئ ٦ مهن بسيطة، مقابل ٢١ مهنة راقية يتلقى مبادئها الطلبة اليهود. مع ملاحظة أن معظم التعليم المهني يدرس في المدارس العربية العادية، وليست المتخصصة، على النحو الذي يتم في الوسط اليهودي.

كما يتجلى التحيز المكشوف ضد العرب، من خلال حصة الطالب العربي في إسرائيل، التي لا تزيد عن ٧٥ شيكلاً

إسرائيليا (نحو ٢٠ دولاراً) في السنة، من «برنامج الرفاه»، مقابل ٦٣٢٨ شيكلًا لتظيره اليهودي، بفارق قدره خمسين ضعفاً، لحساب الثاني.

في مجال تعليم الكبار، أقامت وزارة المعارف - إبان السبعينيات - مراكز في ٣٥ قرية عربية. على أن تلك الوزارة عمدت - في أول موجة تقليص للمصروفات (١٩٨١) إلى إغلاق تلك المراكز، لتخلي الوسط العربي منها تماماً.

ننتقل إلى إدارة التعليم التي تكاد توحد أبوابها في وجه المثقفين والاكاديميين العرب، رغم توارى «الأسباب الأمنية» التي طالما انتصبت في وجوه العرب، بمجرد تجرؤ أي منهم على طلب وظيفة في أي من الوزارات الأخرى، خاصة الخارجية والدفاع. ومن بين ٩٥٠ وظيفة إدارة وتفتيش في وزارة المعارف الإسرائيلية ثمة ٤٠ فقط في القسم العربي، تستوعب ٣٤ عربياً، تجمعوا في أسفل السلم الوظيفي.

التعليم الابتدائي:

في البداية، طبق على العرب ما طبق على اليهود في مجال مناهج التعليم الابتدائي، «على أساس قيم وثقافة إسرائيل». إلى أن قاربت السبعينيات على الانتهاء، حيث تشكلت لجنة لتخطيط التعليم في إسرائيل، لعقد الثمانينيات، ترأسها البعادي بيليد. وانبثقت عن هذه اللجنة لجنة أخرى، ترأسها الجنرال نتياهو بيليد، اختصت بالتخطيط للتعليم في الوسط العربي. وانتهت اللجنة الأخيرة إلى اقتراح تعديل يقضي بأن تقوم التربية في الوسط العربي «على قيم الحضارة العربية، وعلى التطلع إلى السلام بين إسرائيل وجاراتها.. وعلى الاخلاص لدولة إسرائيل»! هكذا لاتزال مضامين التعليم غريبة عن هوية الطالب العربي في إسرائيل، وطرق التدريس التقليدية.

إن المتأمل في التعليم لدى الوسيطين العربي واليهودي، يلاحظ الفجوة الواسعة لحساب الثاني، الأمر الذي لم تستطع لجنتا التعليم اليهودي والعربي، المشار إليهما إلا أن تؤكد. حيث تجلت الفجوة في المناهج، ونوعية مواد التدريس، واهتراء نسخ الكتب المتداولة بين الطلاب العرب وضعف أهلية المدرسين، وتدنى مستوى الأبنية والخدمات هناك.

إن ذلك ينجم عن الضعف الواضح في الميزانيات، والكوادر المتخصصة في الوسط العربي. فمن بين ٢٣ منسقا للمناهج، خصص ٥ فقط، للوسط العربي، مما حرم المدارس العربية من تحديث طرق التعليم، ومناهجه. فضلاً عن اكتظاظ مناهج الطلاب العرب بمواضيعها (حيث ضرورة تعلم لغة إضافية).

هذا فضلاً عن إهمال تأهيل المدرس العربي، وتجاهل ضرورة ربطه بالمستجدات في عالم التربية. مما ترك آثاره السلبية على مردود التعليم العربي، خاصة على النتائج المتدنية للامتحانات، حتى أن معدل العلامات في

الرياضيات للصفين الرابع والثامن للسنة الدراسية الأخيرة (١٩٩٧ - ١٩٩٨)، لم يتجاوز الـ ٥٤,٥ في المئة، وفي اللغة العربية (اللغة الأم) بالكاد ٥٣ في المئة. مما دفع الوسط العربي إلى إيلاء اهتمام ملحوظ بالمدارس. وقد قطعت الجهود الذاتية العربية شوطاً غير قصير في هذا الصدد، حتى أصبح خريجو دور المعلمين يشكلون زهاء نصف مجموع مدرسي المدارس الابتدائية العربية.

ولعل ما له دلالة بالغة أنه - حتى أواسط الثمانينيات - كان ثلث الطلاب العرب يتسربون من المدارس الابتدائية، وقفزت هذه النسبة اليوم إلى قرابة ٤٥ في المئة من مجموع أبناء الجيل نفسه. وتشكل هذه النسبة زهاء ٧٥ في المئة في المتسربين في كل دولة إسرائيل. بينما نصف مجموع تلاميذ هذه المرحلة من العرب لا يفهمون ما يقرأون.

التعليم الثانوي:

لعل من نافلة القول بأن حصة المدرسة لا تزيد عن ١٥ في المئة من التكوين الفكري والوجداني للإنسان، وبقية الـ ٨٥ في المئة للأسرة، والشارع، والنادي، والعمل، ووسائل الاعلام، والكتب. وبرغم أهمية كل مراحل التعليم، فإن المرحلة الثانوية أكثرها أهمية، بسبب مرور طلابها بمرحلة المراهقة، بما تتضمنه من حس مرهف، وتوتر ملحوظ. يضاف إليها عند فلسطيني ٤٨ الأعباء الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية التي يرزحون تحتها.

معروف بأنه عند قيام إسرائيل (١٩٤٨)، لم يكن في أيدي العرب سوى مدرسة ثانوية واحدة، بأقل من مئة طالب، وزهاء عشرين مدرسا. وفي أوائل الثمانينيات، غدا العرب يمتلكون ٧٥ مدرسة ثانوية، بينها ٣٥ مدرسة إما مهنية، أو تتضمن أقساماً مهنية، فضلاً عن مدرستين زراعتيتين، بما يربو على الثلاثين ألف طالب، وقرابة ١٦٠٠ مدرس. وفي ارتباط حميم بهذا الاتساع للقطاع الثانوي تزايدت مشاكل هذا التعليم أيضاً، والتي تركزت في مجال الخدمات التي جمدت اعتباراً من مطلع سنة ١٩٨٠، بينما تراجعت المدة المخصصة للغة العربية إلى ثلثي المدة القديمة، فهبطت الحصص المخصصة لها من ٦ حصص إلى ٤ أسبوعياً، مما لا يكفي لتعليم الطلاب لغتهم القومية تحت وطأة ظروف قاسية، خاصة وأن التعليم العالي في إسرائيل لا يتعامل مع هذه اللغة. من جهة أخرى، اضطرت نسبة كبيرة من المدارس العربية إلى حشد الطلاب في الصفوف، بما يصل إلى أكثر من ٤٠ طالباً في الفصل الواحد، تلاقياً للعجز.

من جهة ثالثة، ثمة تجاهل للمناهج التي تتعرض للبعد القومي في دراسة الأدب، والتاريخ العربيين، فضلاً عن إسقاط الدولة الشعراء والكتاب الفلسطينيين من هذه المناهج.

لهذا كله تعلم المدارس العربية في إسرائيل دون أن تربي، حيث لا تعود الطالب على ممارسة حقوقه وواجباته. أما هذا التقصير فيعود، أساساً إلى قلة الامكانيات المتاحة، وضعف تأهيل المدرس.

في المحصلة، النهائية لا تتجاوز نسبة الحاصلين على شهادة الثانوية العامة في الوسط العربي الـ ٢٢ في المئة، وتراجع إلى أقل قليلاً من ١٠ في المئة بين بدو النقب في الجنوب.

التعليم الخاص:

بالتوازي مع تزايد الضغوط الاجتماعية والنفسية على العرب في إسرائيل، تزايدت التمايزات في صفوف التلاميذ العرب، في شتى المجالات، الاجتماعية والسياسية، والنفسية، والسلوكية. بيد أن هذه التمايزات لم تجد الأطر التي تستوعبها. حيث أن ثمة ما بين ١٠ - ٢٠ في المئة من الطلاب العرب في حاجة ماسة إلى تعليم خاص، أو مساعدة، مما أسهم في رفع نسبة تسرب التلاميذ العرب من مدارسهم على النحو المبين سلفاً. ناهيك عن تواضع نسبة المفتشين والمرشدين، والمدارس، والمهنيين، والمراكز النفسية، والميزانيات.

أخيراً دخل «قانون التعليم الخاص» حيز التنفيذ، بدءاً من العام الدراسي الحالي (١٩٩٨ - ١٩٩٩)، بينما الطلاب العرب محرومون من الأطر التي تمثلهم.

التعليم العالي:

لعل من فضول القول إن مصير التعليم العالي إنما يتقرر في مراحل التعليم التي تسبقه. فكيف يصل إلى الجامعة طلاب لا يستوعب نصفهم ما يقرأونه؟!

في الانتساب إلى الكليات والمعاهد العليا المختلفة، تسامح الحكومة اليهودي الشرقي (السيفارديم) بـ ١٥ في المئة من الدرجات المطلوبة، فيما لا يعامل الطلاب العربي بالمثل، وهو ابن الشقافة المغايرة. ناهيك عن الارتباك الذي يستبد بالطالب العربي، عند الانتساب إلى معهد عال أو كلية، فإلى أيها ينتسب؟ بعد أن أوصدت أبواب العمل في وجه العرب هناك، مما جعل نسبة الطلاب العرب الجامعيين تتراوح ما بين ٥ و ٧ في المئة فقط من مجموع الطلاب الجامعيين في إسرائيل، وخمس الطلاب العرب هنا من الفتيات. أي أن لكل ٢٥ ألف مواطن عربي ١٠٠ طالب جامعي، بينما تقفز هذه النسبة إلى ستة أضعافها للفلسطينيين خارج إسرائيل، حيث تبلغ ٤٠٠.

تواضع الرد:

لقد أدى ضعف القدرات الاقتصادية العربية في إسرائيل

إلى استعصاء الرد بإقامة مدارس أهلية. وإن استحدثت تسع عشرة سلطة عربية أقساماً للمعارف فيها. على أن ضعف الامكانيات جعل من مدير قسم المعارف يقوم بأعمال خمس وحدات في آن واحد (تربية، ثقافة، شبيبة، رياضة، ورياض أطفال). وثمة رقم بالغ الدلالة في هذا الصدد، إذ بينما وصل مجموع كوادرات أقسام المعارف في الوسط العربي إلى ٢٣,٥ وظيفة سنة ١٩٨٦، فإن عددهم في مستوطنة كريات آنا اليهودية، وحدها (٣٥ ألف نسمة)، وصل إلى ٢٣ وظيفة.

ومع كل الاستعصاءات، فإن النخبة العربية هناك لم ترفع راية الاستسلام، بل بذلت قصارى جهدها كي تتخطى حاجز غياب الامكانيات المادية. لقد قبلت «اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية» التحدي. ففي سنة ١٩٨٣، بدأ تسعة عشر مجلساً محلياً عربياً في الاسهام بتطوير امور التعليم المحلي على النحو المشار اليه سلفاً. قبل أن ينتقل الاهتمام بالتعليم العربي من المستوى المحلي إلى المستوى القطري، حيث عمدت اللجنة القطرية إلى عقد «مؤتمر التعليم العربي الثاني» في شفاعمرو، في ١٣/٥/١٩٨٤، بعد أن كانت عقدت المؤتمر الأول في الناصرة في ١٧/٥/١٩٨٠.

حضر مؤتمر شفاعمرو ما يربو على ٢٥٠٠ شخص، من رؤساء وأعضاء المجالس المحلية العربية، والنواب، والمحاضرين والاختصاصيين الاجتماعيين، والنظار، والمدرسين، وأعضاء لجان أولياء امور الطلبة، وغيرهم من المهتمين بقضية التعليم العربي هناك.

جاء المؤتمر ليؤكد، مجدداً، مدى قدرة فلسطيني ٤٨ على تنظيم أنفسهم في مواجهة قضية مصيرية، عدا ما أكدته انعقاد هذا المؤتمر من اهتمامهم بقضية التعليم، على نحو خاص.

لقد دشن مؤتمر شفاعمرو، مرحلة نوعية في مجال التعليم العربي في إسرائيل، حيث يعاني العرب من التمييز، امتداداً للتمييز ضدهم في المجالات الأخرى، مما جعلهم في معركة حقيقة.

وأخيراً، فما دام أمر تحرير فلسطين مرجأ، لم يحتل - بعد - موقعه على جدول أعمالنا، فلا أقل من أن يمد موسرنا العرب - فلسطينيون وغير فلسطينيين - يد العون المادي إلى أشقائهم في الكيان الصهيوني، ليتغلبوا على بعض مشاكلهم الأكثر إلحاحاً، والتي استمررت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة الماطلة في أمر تخفيف درجة معاناتهم.

عمليات حزب الله وأبعاد المأزق الإسرائيلي في الجنوب اللبناني

أحمد إبراهيم محمود

يكاد يكون جديداً، حيث أصبح واضحاً ومؤكداً أن بقاء القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني مكلفاً وخطيراً للغاية بالنسبة لإسرائيل، وبصورة قد تزيد كثيراً عن الفوائد المتحققة لإسرائيل من وراء البقاء عسكرياً في المنطقة الأمنية في الجنوب اللبناني.

خصائص الصراع المسلح في الجنوب اللبناني :

يعتبر الصراع المسلح في الجنوب اللبناني من بقايا وموروثات الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، فقد تعرضت القوات الإسرائيلية في تلك الحرب لدرجة عالية من الاستنزاف العسكري الحاد في لبنان. وعلى الرغم من أن إسرائيل قامت في عهد حكومة الوحدة الوطنية (الليكوذية - العمالية) عام ١٩٨٥، بسحب قواتها من لبنان، إلا أن هذا الانسحاب لم يكن كاملاً، حيث حرصت إسرائيل على خلق شريط أمني بحيث يكون منطقة أمنية فاصلة لحماية شمال إسرائيل من أية عمليات عسكرية تقوم بها المقاومة اللبنانية أو أي جماعات فدائية فلسطينية تفلح في التسلل إلى مناطق الجنوب اللبناني. وقد اهتمت إسرائيل بإقامة هيكل عسكري وأمني متكامل في منطقة الجنوب اللبناني، حيث قامت بنشر أعداد ضخمة من قواتها البرية، كما اهتمت بإنشاء ما يعرف بـ (جيش لبنان الجنوبي) العميل في منطقة الجنوب اللبناني، من أجل مساعدة قوات الاحتلال الإسرائيلي في أداء مهامها العسكرية في تلك المنطقة.

وقد نجحت إسرائيل في إشاعة الاعتقاد بأن وجودها العسكري في الجنوب اللبناني يرتبط بالاعتبارات العسكرية - الأمنية فقط، وبالأذات من أجل حماية المستعمرات الإسرائيلية في منطقة الجليل الأعلى. وظلت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تؤكد دوماً على أنها مستعدة للانسحاب من تلك المنطقة في إطار ترتيبات أمنية مع

فاقت العمليات الفدائية التي قامت بها جماعات المقاومة اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب اللبناني في شهر مارس الماضي من حدة المأزق الإسرائيلي في المسألة اللبنانية. ويتمثل جوهر هذا المأزق في أن إسرائيل خسرت معركتها الممتدة مع المقاومة اللبنانية، وأصبح استمرار احتلال الجنوب اللبناني مكلفاً للغاية بالنسبة لإسرائيل على كافة الأصعدة، في حين أن الحكومة الإسرائيلية لا تمتلك أي خيار حقيقي للتعامل مع هذا المأزق، سياسياً وعسكرياً، فهي لا تستطيع من ناحية الوصول إلى ترتيبات أمنية أو سياسية على المسار اللبناني، بعيداً عن المسار السوري، بسبب إصرار لبنان على مبدأ وحدة المسار اللبناني والسوري في عملية التسوية مع إسرائيل، بالإضافة إلى أن لبنان يرفض الطروحات الإسرائيلية لتسوية مسألة الجنوب، ويصر على التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥، ومن ناحية ثانية، فإن إسرائيل لا تستطيع الإقدام على أي عمليات عسكرية واسعة النطاق ضد لبنان، بفعل التكاليف السياسية والعسكرية الفادحة التي يمكن أن تتكبدها إسرائيل في مثل هذه العمليات. ومن ناحية أخرى، فإن إسرائيل لا تستطيع بدورها الانسحاب من جانب واحد من الجنوب اللبناني، لأن ذلك يعتبر - من وجهة نظر قطاعات واسعة من الساسة والمحللين الإسرائيليين - مكلفاً وخطيراً على المدى الطويل بالنسبة لأمن إسرائيل، لأنه يضع شمال إسرائيل تحت رحمة أي هجمات عسكرية يشنها حزب الله أو أية جماعات مسلحة أخرى. وبالتالي، فقد أدت العمليات الفدائية الناجحة لحزب الله ضد القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني إلى إشاعة درجة عالية من الارتباك والاضطراب في الأوساط السياسية والعسكرية والشعبية في إسرائيل، وتمثل النجاح الأبرز للمقاومة اللبنانية في مقتل الجنرال أيريز جيرشتاين مسئول الارتباط الإسرائيلي في الجنوب اللبناني. وقد أدت هذه التطورات إلى خلق وضع

الحكومة المركزية في لبنان من أجل منع أي عمليات مسلحة ضد شمال إسرائيل تنطلق من تلك المنطقة. ولكن هذا الطرح الإسرائيلي يخفي ورائه العديد من الأهداف السياسية والاقتصادية الأخرى، أبرزها أن الاحتلال الإسرائيلي للجنوب اللبناني يندرج في إطار المطامع الإسرائيلية في مياه نهر الليطاني في جنوب لبنان، والذي تسرق إسرائيل كميات ضخمة من مياهه لاستخدامها في مختلف مشروعاتها في شمال إسرائيل. أضف إلى ذلك، أن الاحتلال الإسرائيلي للجنوب اللبناني، ومن قبله الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، يندرج في إطار المخططات الإسرائيلية التقليدية الرامية إلى "بلقنة" منطقة الشرق الأوسط، وخلق كيانات طائفية في المنطقة، بما يخلق شرعية للأساس الديني - التوراتي الذي تقوّ عليه إسرائيل، علاوة على ما يؤدي إليه ذلك بالضرورة من إضعاف الدول العربية في مواجهة إسرائيل، وهو ما يوفر لإسرائيل قدرة أكبر على التحكم في حركة التفاعلات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط عموماً. وفي مواجهة هذا الاحتلال الإسرائيلي، نشطت جماعات المقاومة اللبنانية، وبالأخص حزب الله، في تنفيذ عملياتها الفدائية ضد القوات الإسرائيلية، وضد عناصر جيش لبنان الجنوبي العميل. وقد بدأت المقاومة اللبنانية للاحتلال الإسرائيلي منذ أواخر الثمانينات، ولكنها كانت تتخذ وقتذاك شكلاً أقلّ نظماً ومهارة في تنفيذ العمليات الفدائية، حيث كان يتم الاعتماد بدرجة أكبر على تكتيك الموجات البشرية، وهو ما كلف المقاومة اللبنانية أعداداً كبيرة من الضحايا وقتذاك، ثم خضعت عناصر حزب الله بعد ذلك لعملية تدريب وإعادة هيكلة واسعة، شارك فيها خبراء عسكريون من الحرس الثوري الإيراني. وقد شهد عام ١٩٩١ بدايات التحول في الاستراتيجية النضالية للمقاومة اللبنانية، حيث حققت منذ ذلك الحين تقدماً سريعاً في كافة مجالات التنظيم والتخطيط وجمع المعلومات الاستخبارية وتنفيذ العمليات الفدائية. ويلتزم حزب الله بسياسة الفصل بين العمل السياسي والعمل العسكري، فالقيادة السياسية تمنح حرية العمل الكاملة للقادة العسكريين الميدانيين في تنفيذ عملياتهم، وغالباً ما تكون العناصر الفدائية من خارج الشريط الأمني المحتل، وتذهب لتنفيذ العمليات داخل المنطقة الأمنية، ثم تعود إلى قواعدها في مناطق أخرى، وذلك حتى لا تقع في قبضة قوات الاحتلال الإسرائيلية أو جيش لبنان الجنوبي العميل.

وترتكز الاستراتيجية النضالية للمقاومة اللبنانية على مبدأ الاستنزاف من أجل إلحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر بقوات الاحتلال الإسرائيلي. وتقوم استراتيجية الاستنزاف في الأساس على استخدام أسلوب الضربات السريعة والحاطفة ضد العدو، في حالة تمتع هذا العدو بتفوق عسكري كبير، استناداً إلى أن هذا الأسلوب يمنع الخصم من استخدام تفوقه الكمي والنوعي. ولذلك، تركز هذه الاستراتيجية على محاولة استنزاف قدرات الخصم عن طريق إزالة خسائر بشرية ومادية بها، بشكل مطرد ومستمر على مدى زمني طويل

نسبياً بهدف خلق تأثيرات تراكمية لديها، بما ينهك الخصم مادياً وبشرياً، ويقوض معنوياته، ويدفعه في النهاية إلى الانسحاب والتجاوب مع أهداف الطرف المهاجم. وفي ظل هذه الاستراتيجية، ظلت عمليات المقاومة اللبنانية تزداد بصورة مستمرة، حتى أصبحت جبهة الجنوب اللبناني هي الجبهة العربية - الإسرائيلية الأكثر اشتعالاً. وتكبدت القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة، وصل معدلها إلى حوالي ٣٠ قتيلًا إسرائيلياً في المتوسط العام خلال السنة الواحدة طيلة الفترة ما بين ١٩٩٢ - ١٩٩٦، ووصلت الخسائر الإسرائيلية إلى أعلى معدل لها عام ١٩٩٧، حيث قتل حوالي ١٣٤ جندياً إسرائيلياً في الجنوب اللبناني في ذلك العام، وكان هذا العدد الكبير نسبياً من القتلى الإسرائيليين في ذلك العام عائداً إلى وقوع حادثة عسكرية إسرائيلية وفشل عملية خاصة، بالإضافة إلى استمرار المواجهات الحادة مع عناصر المقاومة اللبنانية.

وقد اعتادت إسرائيل عموماً على الرد على هجمات المقاومة اللبنانية من خلال القصف الجوي والمدفعي، أو تنفيذ العمليات الخاصة ضد قيادات حزب الله. وفي بعض الفترات، لجأت الحكومات الإسرائيلية إلى درجة أعلى من التصعيد العسكري، ووصل هذا التصعيد إلى ذروته في إبريل ١٩٩٦، مع تنفيذ القوات الإسرائيلية لما عرف بـ (عملية عناقيد الغضب)، في أواخر عهد الحكومة العمالية برئاسة شيمون بيريز. وقد فشلت هذه العملية في وقف هجمات المقاومة اللبنانية، بل إنها تسببت على العكس في حدوث أدانة دولية واسعة للسلوك الإسرائيلي، وبالأخص عقب وقوع مذبحة قانا. وقد انتهت هذه العملية بالتوقيع على ما عرف بـ (تفاهم إبريل / نيسان)، إلا أن جميع الأطراف تبنت تفسيرات مختلفة لهذا التفاهم. فالجانب اللبناني والسوري نظرا إلى التفاهم بوصفه يقتصر فقط على إلزام المقاومة اللبنانية بعدم إطلاق الصواريخ على شمال إسرائيل، مع إلزام إسرائيل بالمثل بعدم إلحاق الأذى بالمدنيين في عملياتها العسكرية ضد المقاومة، كما يؤكد التفسير اللبناني - السوري على أن التفاهم لا يمنع المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي، بالإضافة إلى أنه لا يلغى ما قبله من القرارات الدولية ذات الصلة، وبالأخص قرار مجلس الأمن رقم (٤٢٥). أما على الجانب الإسرائيلي، فقد جرى النظر إلى تفاهم إبريل على أنه يوفر الأمن للقوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني، ويلغى القرارات الدولية ذات الصلة، علاوة على محاولة استغلال هذا التفاهم في السيطرة والتأثير على القرارات السورية واللبنانية.

وخلال الشهور القليلة الماضية، ازدادت كثافة العمليات الفدائية التي تقوم بها المقاومة اللبنانية ضد القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني. والواقع أن هذا التكثيف يبدو عائداً إلى العديد من الاعتبارات، بعضها يعتبر امتداداً للاستراتيجية النضالية للمقاومة اللبنانية، بينما يعود بعضها الآخر إلى دوافع سياسية محضة. فمن الواضح أن الحكومتين السورية واللبنانية تدعمان بالضرورة التصعيد

الذي قام به حزب الله خلال الفترة الماضية، بل وربما كان السوريون هم الذين اعطوا الضوء الاخضر لهذا التصعيد. وهناك العديد من الاعتبارات التي تدعو الى الاعتقاد بأن هذا التصعيد يندرج في اطار استراتيجية سياسية سورية - لبنانية تقوم على محاولة احراج الحكومة الاسرائيلية برئاسة بنيامين نتانياهو في فترة ما قبل الانتخابات، من اجل اضعاف موقفه الانتخابي والاقبال من فرصه في الفوز مجددا بمنصب رئيس الحكومة الاسرائيلية. ويبدو ان المسؤولين السوريين واللبنانيين تخلوا عن الاعتقاد بأن الليكود والعمل شيء واحد، واصبحوا يتبنون قناعة بان اي حكومة اخرى، سواء برئاسة اسحق مردخاي او يهود باراك، سوف تكون افضل بكثير من حكومة نتانياهو الحالية في اسرائيل. ولذلك، فإن تكثيف العمليات الفدائية اللبنانية في فترة ما قبل الانتخابات الاسرائيلية يهدف على ما يبدو الى اضعاف الموقف الانتخابي لبنيامين نتانياهو، مما قد يقلل من فرصه في الفوز في الانتخابات القادمة.

عناصر المأزق الاسرائيلي :

كشفت العمليات العسكرية الاخيرة التي قامت بها المقاومة اللبنانية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي في الجنوب اللبناني عن حجم الارتباك في السياسة الاسرائيلية تجاه لبنان، حيث اصيب المسؤولون الاسرائيليون بحالة من الشلل والتشوش، حيث كانوا يتخذون موقفا، ثم يتراجعون عنه في اليوم التالي، وصدرت عن معظم المسؤولين والقادة الحزبيين في اسرائيل تصريحات متناقضة للغاية في الشأن اللبناني، كان من ابرزها قيام كل من بنيامين نتانياهو ويهود باراك بالاعلان عن النية لسحب القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبناني في حالة الفوز في الانتخابات، وذلك من اجل امتصاص ردود الفعل الحادة في اوساط الرأي العام الاسرائيلي تجاه الخسائر المتزايدة للقوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني.

ويتبدى ارتباك السياسة الاسرائيلية ازاء المسألة اللبنانية في العجز عن الوصول الى اجماع وطني بشأن كيفية التعامل مع المسألة اللبنانية، فهناك صراع ضارٍ بين التيارات السياسية الاسرائيلية، بل وداخل الحكومة الاسرائيلية، وداخل كل حزب سياسي على حدة. فالاسرائيليون يجدون ان من غير الممكن ان يستمر الوضع الحالي، والبديل لذلك يتمثل اما في الوصول الى ترتيبات سياسية او امنية مع لبنان من اجل سحب القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبناني، او انسحاب القوات الاسرائيلية من جانب واحد من لبنان. ولكل بديل من هذين البديلين مزاياه وعيوبه من وجهة النظر الاسرائيلية. فعلى الرغم من ان اسرائيل تستطيع ان تحصل على الأمن في حالة وصولها الى ترتيبات سياسية - امنية مع لبنان، تنسحب على اثرها القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبناني، الا ان الوصول الى هذه الترتيبات يعتبر مستحيلا، دون الوصول الى تسوية متزامنة على المسار السوري - الاسرائيلي، بحكم الارتباط الوثيق بين هذين المسارين. وفي

الوقت نفسه، فإن خيار التصعيد العسكري واسع النطاق يبدو مكلفا للغاية بالنسبة للحكومة الاسرائيلية، حيث تدعو بعض التيارات السياسية الاسرائيلية الى تبني خيار المواجهة العسكرية الشاملة ضد لبنان. وقد قامت هيئة الاركان الاسرائيلية بالفعل بإعداد خطط الحرب الشاملة ضد لبنان منذ عدة سنوات، وهي تقوم على التدمير الجسيم للبنية التحتية في لبنان عموما، وفي بيروت خصوصا، والتركيز على ضرب محطات المياه والكهرباء والكباري، مع امكانية تصعيد العمليات العسكرية الاسرائيلية وصولا الى درجة القصف الجوي والمدفعي الشامل، ولكن يظل من المستبعد في التخطيط الاسرائيلي ان يصل التصعيد العسكري الى درجة الدخول في مواجهات برية مباشرة مع المقاومة اللبنانية. ومع ذلك، فإن نتانياهو يخشى من توريط نفسه في مواجهة عسكرية خاسرة في الجنوب اللبناني، مما قد يقوض شعبيته ويضعف فرص اعادة انتخابه في الانتخابات القادمة في شهر مايو القادم، على نحو ما كان قد حدث مع رئيس الوزراء السابق شيمون بيريز الذي قام قبل انتخابات 1996 بشن اعتداء واسع على لبنان، مما تسبب في سقوطه في الانتخابات.

وحتى على مستوى التعامل الميداني اليومي، فإن القوات الاسرائيلية تبدو عاجزة عن ايقاف العمليات الفدائية للمقاومة اللبنانية بالوسائل العسكرية، لأن حزب الله يتمتع بتفوق كبير في مجالات الاستخبارات والمعرفة بالطبيعة الجغرافية لمناطق الجنوب اللبناني. وقد اقتضت ردود افعال المسؤولين الاسرائيليين على اعطاء حرية التصرف للقادة الميدانيين في مواجهة العمليات التي يخوضونها ضد المقاومة اللبنانية، بالاضافة الى ابتكار وسائل وتكتيكات قتالية جديدة لتقليل الخسائر في صفوف القوات الاسرائيلية.

والواقع، ان جانبا كبيرا من التعامل الاسرائيلي في المسألة اللبنانية ينصب على تناول الموقف السوري من التصعيد العسكري في الجنوب اللبناني، حيث يدرك الاسرائيليون تماما ان سوريا تلعب دورا حيويا في التطورات السياسية والعسكرية الجارية في لبنان عموما، وفي الجنوب اللبناني خصوصا، ويرون ان مفتاح وقف الهجمات الفدائية لحزب الله موجود لدى سوريا. ولذلك، فقد سادت درجة عالية من التشدد تجاه سوريا في الخطاب السياسي الاسرائيلي خلال الفترة القصيرة الماضية، حيث يرى تيار هام في الاوساط الحكومية الاسرائيلية ان من الضروري ان تدرك سوريا انها تخاطر بذلك بالصدام العسكري مع اسرائيل، بما ينطوي عليه هذا التلميح من امكانية تسخين الموقف العسكري بين سوريا واسرائيل، كما يعتقد العديد من السياسيين والمحللين الاسرائيليين ان الازمة السورية - التركية، وما انتهت اليه من خروج الزعيم الكردي عبد الله اوجلان من سوريا في ظل التهديدات العسكرية التركية لسوريا، تعني ان سياسة حافة الهاوية يمكن ان تحقق نتائج ايجابية في حالة اتباع اسرائيل لها ضد سوريا من اجل وقف عمليات حزب الله في الجنوب

اللبناني.

ويتعزز هذا الموقف من خلال حقيقة ان نتنياهو يتعامل مع مسألة الجنوب اللبناني من منظور المصلحة الانتخابية، بمعنى انه يمكن ان يقدم على تنفيذ كل ما من شأنه تعزيز فرصه في النجاح في المعركة الانتخابية القادمة. ويميل نتنياهو الى اتباع سياسة استنزافية في مواجهة حزب الله، تستهدف ضرب وتصفية قياداته الرئيسية وقواعده العسكرية، مع امكانية تطوير هذه السياسة الى درجة المواجهة العسكرية الواسعة المباشرة مع حزب الله، اذ وجد نتنياهو ان هذه المواجهة ضرورية، وانها سوف تعزز فرصه في الانتخابات القادمة، كما لا تستبعد سياسة نتنياهو الوصول الى حافة الهاوية مع سوريا ذاتها. ومع ذلك، فإن هذه السياسة ربما تكون مكلفة للغاية بالنسبة لاسرائيل، حيث انه اذا أقدمت اسرائيل على أية اجراءات عسكرية مضادة لسوريا في لبنان، فانها تغامر بذلك بإمكانية اقدام سوريا على سلسلة من ردود الافعال العنيفة ضد اسرائيل، مثل قيام وسائل الدفاع الجوي السورية بالتصدي للمقاتلات الاسرائيلية التي تحلق فوق الاراضي اللبنانية، او زيادة الدعم لحركتي حماس والجهاد الفلسطيني، او تعميق التعاون العسكري مع ايران، وربما العراق ايضا، بالاضافة الى امكانية ان تقدم سوريا على محاولة تخريب عملية التسوية بين اسرائيل وكل من الاردن والفلسطينيين. وبالتالي، فإن مثل هذا التصعيد ربما يكون مكلفا وموجعا للغاية بالنسبة لاسرائيل، وبالذات في ظل الحساسية الاسرائيلية الكبيرة لمقتل او اسر جنودها، وايضا في ظل اشتعال حدة الحملات الانتخابية الاسرائيلية.

اشكاليات التسوية على المسار اللبناني :

شهدت عملية التسوية على المسار اللبناني حالة من الجمود، فيما يمثل انعكاسا للجمود الذي اصاب عملية التسوية على المسار السوري. وعلى الرغم من ان الحكومة الاسرائيلية ابدت رغبة واضحة في الانسحاب من منطقة الشريط الحدودي المحتل في الجنوب اللبناني، تحت تأثير عمليات المقاومة اللبنانية، إلا ان الحكومة اللبنانية رفضت الطرح الاسرائيلي لاعتبارات عديدة، يأتي في مقدمتها ان لبنان يرفض الشروط الاسرائيلية الخاصة بالترتيبات الامنية التي ترى اسرائيل انه يتعين على الحكومة اللبنانية تنفيذها من اجل ضمان الأمن في مناطق الحدود الاسرائيلية في فترة ما بعد الانسحاب الاسرائيلي من الجنوب اللبناني. ويقوم الموقف اللبناني هنا على ان الجيش اللبناني لن يتحول الى اداة لضمان أمن اسرائيل، وان لبنان سوف يلتزم فقط باتفاقية الهدنة العربية - الاسرائيلية المبرمة عام ١٩٤٨، بينما ترى الحكومة اللبنانية ان من المتعين على اسرائيل ان تلتزم التزاما كاملا بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥، الذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الجنوب اللبناني فورا وبدون شروط. ومن ناحية اخرى، فإن الجانب اللبناني يرفض احداث اي تقدم في المسار اللبناني بصورة مستقلة عن المسار السوري، ايمانا من الحكومة اللبنانية بوحدة المسار السوري واللبناني في عملية

التسوية مع اسرائيل.

ولذلك، تسعى اسرائيل الى ممارسة ضغوط سياسية على كل من سوريا ولبنان من اجل الضغط على حزب الله لوقف او تقليل العمليات الفدائية التي يقوم بها ضد القوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني، كما تسعى اسرائيل الى تعديل تفاهم ابريل، لأنها ترى انه يقيّد حركة القوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني، ويضعها في موقف معقد امام المقاومة اللبنانية، علما بأن اسرائيل هي التي قامت مرارا وتكرار بانتهاك هذا التفاهم، وكان اخر وأبرز هذه الانتهاكات قيامها باحتلال بلدة (ارنون) اللبنانية، وضمها الى منطقة الشريط الحدودي، إلا ان الطلاب اللبنانيين قاموا بمظاهرة سلمية في تلك البلدة، وفككوا الاسلاك الشائكة التي اقامتها قوات الاحتلال الاسرائيلي، وأعادوا الوضع الى ما كان عليه في السابق، وهو ما اضطر الحكومة الاسرائيلية الى التسليم بالأمر الواقع، والتراجع عن هذه الخطوة.

وعلى الرغم من الانتهاكات الاسرائيلية المتوالية لتفاهم ابريل، إلا انها وجهت اتهامات عديدة للحكومة اللبنانية وحزب الله بانتهاك الاتفاق، وطلبت من الادارة الامريكية التدخل من اجل تعديل هذا التفاهم، إلا ان الحكومتين اللبنانية والسورية رفضتا الاستجابة لهذا الموقف. والواقع ان الموقف الاسرائيلي لم يكن مهتما بالالتزام بتفاهم ابريل، ولكنها تسعى فقط الى تقييد الاطراف الأخرى، وتسعى الى الاستفادة من اي تعديل في اطلاق يدها في ضرب المدنيين اللبنانيين وتدمير البنية الاساسية في لبنان، بحجة ملاحقة المقاومة اللبنانية. وفي المقابل، فإن الموقف اللبناني يقوم على رفض تعديل تفاهم ابريل بشأن الجنوب اللبناني، بالاضافة الى رفض الشروط الاسرائيلية الخاصة بضرورة الوصول الى ترتيبات امنية في الجنوب اللبناني، في مقابل تنفيذ القرار رقم ٤٢٥، كما ترفض الحكومة اللبنانية الالتزام بهدنة في الجنوب اللبناني الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية، وتتمسك بوحدة المسار اللبناني - السوري في عملية التسوية مع اسرائيل.

وبالتالي، يبدو واضحا ان الحكومة الاسرائيلية تواجه مأزقا بالغ الحدة في الجنوب اللبناني، ويعتبر هذا المأزق في جوهره نتاجا لسياسة غطرسة القوة الاسرائيلية، والتي تخلق احيانا اوهاما بشأن القوة الذاتية لدى المسئولين الاسرائيليين. فقد احتلت القوات الاسرائيلية الجنوب اللبناني بهدف ضمان أمن شمال اسرائيل، في ظل اعتقاد الاسرائيليين بأن تفوقهم العسكري يكفل لهم تحقيق هذا الهدف بسهولة، ولكن وجدت القوات الاسرائيلية نفسها متورطة في صراع مسلح لا يقيدها فيه كثيرا تفوقها العددي والنوعي، فهي حرب عصابات او حرب ثورية تقوم على الكر والفر، وليست حربا نظامية تقليدية. وسوف يظل المأزق الاسرائيلي مستمرا طالما ظلت الحكومات الاسرائيلية مصرة على مواصلة سياسة غطرسة القوة، ورفضها الخضوع لقرارات الشرعية الدولية بشأن المسألة اللبنانية، وكذا بشأن تسوية قضايا الصراع العربي - الاسرائيلي.



مختارات إسرائيلية

النشاط والأهداف

أنشئ المركز في عام ١٩٦٨ كمركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعي العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الراى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وايضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

الدوريات والمطبوعات:

- التقرير الاستراتيجى العربى: تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت اولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشترك فى اصداره جميع أعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة اقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- كراسات استراتيجية: سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- الكتب والكتيبات: أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.

- «ملف الأهرام الاستراتيجى»، شهرياً باللغة العربية. اعتباراً من يناير ١٩٩٥

- «مختارات إسرائيلية»، شهرياً باللغة العربية. اعتباراً من يناير ١٩٩٥

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).